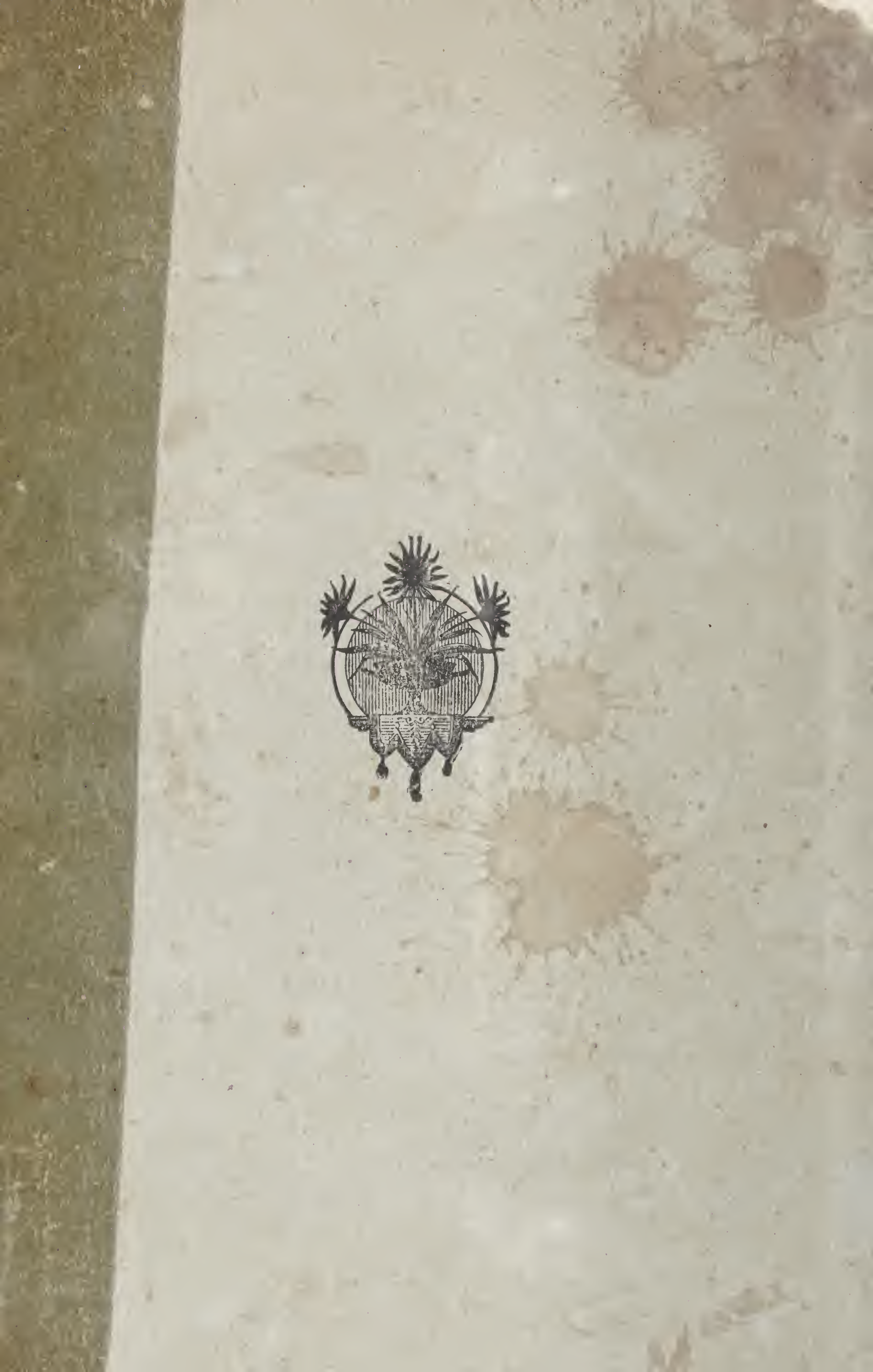


وثائق خطيّة

في

علائق آل طرّازي بالملّة السريانيّة

بقلم

الخورفسقفوس اسحق ارملة

السرياني

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٣٤

مقدمة

نشر حضرة الشيخ الورع الخورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس مقالة ذات احدى وخمسين صفحةً عنوانها «الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانيّة» . فتصفحناها مليًّا وأثنينا على مؤلفها الفاضل الذي خدم هذه الكنيسة خمسين عاماً خدمةً نصوحاً تُضرب بها الامثال . وخلّف فيها من الآثار الصالحة ما يدعو كل فردٍ من أفراد ملتنا السريانيّة الى الثناء عليه الثناء الجميل والاقرار له بالفضل الكبير.

وقد تضاعف اعتبارنا لهذا الاب الوقور اذ رأيناهُ يعترف صريحاً في توطئة كرّاسه بقوله: « انه فاتني شيءٌ وشيءٌ كثير ممَّا لم انتبه اليه او ممَّا لم أقف عليه راجياً العفو عمَّا اقصّر فيه في هذا الصدد سهوًا او جهلًا مني». فحبذا القول قوله ! ونعمت النيّة نيّتهُ ! وناهيك انه من أجلاء الكهنة الذين شرّفوا هذا المقام المقدّس قولًا وعملًا وكتابةً . ذلك ما يدعونا الى ان نوقرهُ من أعماق قلبنا ونكرّم في شخصهِ الفضل والفضيلة.

بناءً عليه رأينا اكمالًا لِما اهملهُ سهوًا او خفي عنهُ عفوًا ان ندوّن في هذا الكتاب مجمل الاخبار التاريخية الراهنة التي لم يتوفق حضرتهُ الى الوقوف عليها . وما هدفنا من ذلك الا هدفهُ الذي يرمي الى كشف الحقائق المنوطة بكنيسة مار جرجس خصوصاً وأبرشية بيروت عموماً . وعملًا

بسنّة التوسّع لا نرى مندوحةً عن اثبات بعض الابحاث التي لم ينشرها كاتبٌ ولم يروِها قبل الآن مؤرخ . وهي تتعلق بموضوعنا تعلقاً وثيقاً . وسيطالع القرّاء فيه حوادث خطيرة بقيت مطويّةً في بطون الاوراق الى ما شاء الله لو لم نُمِط عنها اللثام . وسيكون نشر تلك الوقائع المطويّة معززاً بلا ريب لتاريخ الملّة التي نتشرف بالانتماء اليها .

ولمّا كانت أُسرة طرّازي الجليلة محور ابرشية بيروت السريانية كما يعترف به الخاصّ والعام فقد ألفيناها لذلك مرتبطةً ارتباطاً مُحكماً متيناً باخبار ملّتنا النبلاء في كل أينٍ وآنٍ . فضلًا عن انها تفرّدت بالحرص على آثار نسبها وعلى اهمّ الوثائق التي ورثتها عن اجدادها . واحتفظت بتلك الذخائر جيلًا بعد جيل على سبيل التيمّن والافتخار . ولعمري ان هذا الحرص لسجيّة تسجّل لآل طرّازي صفحةً ذهبيّة في بطون التاريخ . وتبرهن عن شديد تشبُّثهم بآثار السلف خلافاً لاكثر ابناء الشرق الذين يقرّعهم الغربيّون لاهمالهم أخبار أجدادهم وعدم اكتراثهم لها .

وتحقيقاً لما تحرّيناهُ من وضع كتابنا هذا رأينا ان نلجأ الى ما نعرفهُ محفوظاً في خزائن آل طرّازي من الآثار القديمة والصكوك المهمّة . وهي على كثرتها جديرةٌ بان يُطلق عليها هذا المثل المشهور « كلُّ الصيد في جوف الفرا » لِما وعتهُ من المسائل التي يعزّ الفوز بها في سوى تلك الخزائن الثمينة .

فبين الوثائق التي استندنا الى محتوياتها المفيدة مجموعةٌ خطّيّة وحيدةٌ في بابها تتألف من احد عشر مجلّدًا ضخماً موسومةٌ بعنوان « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » . شاهدناها بامّ العين مصونةً كاثمن ذخيرة في دار الفيكنت فيليب دي طرّازي العامرة . وهي تشتمل على أُلوفٍ من الرسائل التي وجّهها البطاركة والمطارنة وسائر آل الكهنوت الى أُسرة طرّازي من كل صوبٍ في القرنين الاخيرين . والقسم الاوفر منها مخطوطٌ بيدهم عربوناً لشديد اعتبارهم لتلك العترة المباركة .

ولا ريب فانّ لهذه المجموعة قيمتها التاريخية لانها تتضمّن ايضاً اخباراً

ووقائع شتى منوطة ببلادنا الشرقية عموماً وبالملة السريانية خصوصاً . وما عدا ذلك كلّهُ فانَّها تنطوي على حوادث نادرة واسرار وافرة هيهات ان يجد الباحثون لمثلها اثرًا في جميع سجلّات البطريركيّة السريانيّة ومطرانيّاتها . يتضح من ذلك كلّه ان اسرة طرّازي كانت المرجع الامين لأَئمة السريان نظرًا لثقتهم بها وثقتها بهم . فانهم كانوا يكاشفونها بآرائهم ويعتمدون على اخلاصها وصدقها في الشؤون الخطيرة .

اننا لدى مطالعتنا تلك المجلّدات الضخمة تولّانا العجب من عبقرية الفيكنت فيليب الذي عُني بضمّ شتاتها وضبط مفرداتها بكل دقة طبقاً لمراتب الاحبار مرسليها ووفقاً لتسلسل تواريخها . ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نُعلن آيات معرفة الجميل لآل طرّازي لِما بذلوهُ من الجهود حرصاً على هذه العتائق الثمينة . ثم نمحض عواطف الشكر لعميدها الفيكنت المشار اليه لانهُ أَذن لنا ان ننتقي منها ما رأيناهُ ذا علاقةٍ بموضوعنا ومفيدًا للقرّاء الكرام .

ولدى الفراغ من وضع هذا الكتاب أَسميناهُ « وثائق خطيّة في علائق آل طرازي بالملّة السريانية » . فجاء وافياً بالمرام حاوياً الكثير من جلائل الحوادث في وجيز الكلام . نسأل الله سبحانه ان يفيد مطالعيه ويسدد خطواتنا لنشر كل ما يعود الى تعزيز الحق واعلاء منار الفضيلة والفضل . انهُ السميع المجيب .



القسم الاول

آل طرّازي وابرشية بيروت السريانية

الفصل الاول

نظر انتقادي

في

أغلاط « الذكرى الذهبية »

قبل الخوض في ما عزمنا على سرده في كتابنا هذا رأينا خدمةً للحقيقة التاريخية ان نشير في هذا الفصل الى بعض اغلاط طرأت في « الذكرى الذهبيّة » . ونعتقد ان تلك الاغلاط لن تقلّل من قدر المقالة ولاسيما لان منشئها يقرّ كما يقرّ كل خبيرٍ عاقلٍ بأن الكمال لله المتعال دون من سواه . فنقول :

١ : اول ما لفت نظرنا في « الذكرى » المشار اليها ان حضرة مؤلفها الجليل قال في الصفحة ٤ ما نصّه : « ان وضع الحجر الاول في كنيسة مار جرجس جرى في عهد بيوس التاسع وفي خلافة السلطان عبد العزيز في ٢٥ اذار ١٨٧٨ » . والحال ان البابا المومأ اليه استأثرت به رحمة الله في ٧ شباط ١٨٧٨ كما ان السلطان عبد العزيز توفي في ٤ حزيران ١٨٧٦ . فيكون اذاً الاحتفال بوضع الحجر الاول قد جرى في عهد البابا لاون الثالث عشر وخلافة السلطان عبد الحميد الثاني .

٢ً : قال في الصفحة ٨ : « ان البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت دشّن الكنيسة في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٤ » . وحقيقة الامر أن التدشين بالميرون المقدس جرى في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٥ كما هو مدوّن صريحاً في سجلات آل طرّازي .

٣ً : ذكر في الصفحة ١٢ : « أنّ اول من سُمّي نائباً بطريركياً في بيروت [في عهد السيّد اغناطيوس جبرائيل الاول الجزيل الطوبى] هو السيّد ثئوفيلس يوسف جرجي عام ١٩٢٩ » وأضرب عن ذكر السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الذي خلفه رسمياً في النيابة منذ السنة ١٩٣٠ الى السنة ١٩٣١ . ومما يؤيد ذلك ان الملة البيروتية احتفلت اثناء نيابته هذه في ١٦ نيسان ١٩٣١ بيوبيله الكهنوتي الذهبي . ثم أُعيدت النيابة ثانيةً الى السيّد ثئوفيلس يوسف جرجي حتى هذا اليوم .

٤ً : روى في الصفحة ١٢ : « أن الخوري يوحنا معمارباشي تولّى النيابة البطريركية في بيروت من السنة ١٨٦٥ الى السنة ١٨٧٢ » . والصحيح ان الخوري المومأ اليه لزم خدمة السيد اغناطيوس فيلبّس الاول منذ السنة ١٨٦٨ وسافر معه الى رومية عام ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتكاني المقدس . ونزلا معاً في سراي الامير تورلونيا في ساحة سكوسّا كافلّي . وقد اطلعنا على حقيقة ذلك في رسائل أنفذها الخوري يوحنا عينه عام ١٨٦٩ من رومية الى الكنت نصر الله دي طرّازي . على انه لمّا توقف المجمع المشار اليه عاد الخوري يوحنا الى ماردين صحبة السيد البطريرك . ثم شخص الى بيروت وتولّى فيها النيابة البطريركية للمرة الثانية منذ السنة ١٨٧٧ .

٥ً : ان المدة التي ذكرها المؤلف عن نيابة الخوري يوحنا معمارباشي في الصفحة ١١ لا تستند الى امرٍ راهنٍ ولا تتفق مع الوثائق المحفوظة لدى آل طرّازي . فقد كانت سياسة رعية بيروت في السنة ١٨٦٨ منوطة بالقس لويس صابونجي دون سواه . ثم عُين القس الياس شدياق معاوناً لهُ في خدمة النفوس بضعة اشهر . يؤيد ذلك منشور رسمي رأيناه بعيننا ما بين الرسائل المصونة

لدى آل طرّاي وهو مزيّن في اعلاه بصورة مار اغناطيوس النوراني شفيع الكرسي الانطاكي ومؤرخ في ٢٤ نيسان ١٨٦٩ . ثم انه لمّا سافر القس لويس للطواف حول الكرة الارضية عام ١٨٧١ نُصب الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة وكيلًا في بيروت مع بقائهِ رئيساً على الدير المذكور .

٦ : لا صحة لما ذكره المؤلف في الصفحة ١٦ عن ان «الخوري يوسف معمارباشي افضت اليه النيابة البطريركية عام ١٨٧٥» لان الخوري المشار اليه كان رئيساً على دير الشرفة ولم يتولَّ النيابة في بيروت رسمياً .

٧ : اثبت المؤلف في الصفحة ١٩ اسم عمّه الخوري موسى سركيس في سلسلة النواب البطريركيين . مع انه لم يكن إلّا خادماً للرعية ومعلماً في الوقت ذاته في مدرسة الآباء اليسوعيين .

٨ : اغفل المؤلف ذكر القس حنا طبَّاع في زمرة الكهنة الذين خدموا رعيّة بيروت . وغير خافٍ ان هذا الكاهن تولى تلك الخدمة مذ ٢٠ اذار ١٨٨٠ حتى ١٠ كانون الثاني ١٨٨١ وخلفه القس موسى سركيس .

٩ : قال في الصفحة ٢٣ : « ان الكنت شرل كابل البلجكي تبرّع على كنيسة بيروت في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة» وأهمل ذكر الشمعدانات الستة الكبيرة الثمينة التي أتى بها الفيكنت سليم دي طرّازي عام ١٨٩٧ من اوربا وأهداها الى الكنيسة . وهي تفوق الشمعدانات الاولى قيمةً وجمالًا وقياساً .

١٠ : صرّح في الصفحة ٢٧ : «ان الخوري افرام حيقاري اتفق مع رئيس الجمعية الخيرية شقيقنا يوسف اليان سركيس ومع معاونيه الفاضلين الفيكنت فيليب دي طرّازي والخواجا نجيب موصلّي وحصلوا لهم (يعني المهاجرين) ما كفاهم لسدّ حاجتهم » . وفاتهُ ان المرحوم يوسف شقيقه لم يترأس الجمعية الخيرية الّا بالاسم فقط ولم يتعاطَ شأناً من شؤونها . ولم يكن الفيكنت دي طرّازي والخواجا نجيب موصلّي معاونين لهُ اصلًا بل

لم يجتمعا معهُ لشؤون الجمعية مطلقاً. وكلٌّ يعلم ان الخواجا موصلّي لم يقبل يوماً من الايام — عن حكمةٍ يُشكر عليها — وظيفةً في الجمعية الخيريـة على الاطلاق. وممَّا يؤَيد حقيقة قولنا ان سجلّ الجمعية المذكورة — اللهمَّ ان كان لها سجلّ او شبه سجلّ — لا يحتوي على توقيـعٍ واحدٍ مُمضىً باسم الرئيس الموما اليه.

١١ : روى في الصفحة ٢٧ عينها ما نصّهُ : « فقـد جدّ الخوري افرام (حيقاري) مع الڤيكنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليهما في جمع طائفةٍ من المال عام ١٩٢٤ من ابناء الملة وغيرهم. واشتروا ارضاً ابتنوا فيها بيوتاً خشبيَّة لايواء المهاجرين وأَطلقوا عليها اسم «حارة مار يعقوب». والحال ان هذه الرواية عاريةٌ عن الصحة بل مخالفة للحقيقة. فان الخوريَ افرام حيقاري الموقر لم يكن لهُ علاقة بجمع الاموال لمشترى بقعة الارض المذكورة. وانمـا يعود الفضل كلّهُ في ذلك اولَ بدءٍ الى الڤيكنت فيليب ثم الى صديقهِ الخواجا نجيب دون غيرهما. على اننا ما برحنا نحن نذكر عدّة رسائل استكتبنا اياها الڤيكنت المشار اليه وأَرسلها الى أَعيـان الابرشيات السريانية والى رؤَساء جمعيَّاتها الخيرية استنهاضاً لهممهم في هذا المشروع المبرور. كما اننا نذكر ايضاً رحلة الڤيكنت الغيور الى الاسكندرية والقاهرة في هذا السبيل عينهِ. وقد جمع حضرتهُ من مكارم المحسنين سواء أَمِن ابناء الملّة ام من غيرهم المبلغ الكافي لمشترى بقعة الارض المذكورة. وتأييدًا لهـذه الحقيقة الراهنة نروي هنا ما نشرتهُ «جمعية المساعي الخيرية السريانية» في برنامجها عن السنين ١٩٢٤ و١٩٢٥ و١٩٢٦ صفحة ٦ فما بعد ونصّه :

« وكان صندوق الجمعيَّة في ذاك الحين خالياً من المال. بل ان موارد اوقافها لم تكد تكفي بحاجة فقرائها الوطنيين دون سواهم. فدفعت الغيرة عضوين (لا ثلاثة) من اعضائها همـا الڤيكنت فيليب دي طرّازي ونجيب افندي موصلّي لعمل اكتتاب يُرصد رَيعهُ لمشترى بقعة أَرض وتعمير مساكن فيها تقي فقراء المهاجرين من قيـظ الصيف وبرد الشتاء. فتكلّلت مساعيهما

بالنجاح واستطاعا من فضل اهل الاحسان وذوي الحنان ان يقتنيا بقعة ارض تبلغ مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع ».

فاستناداً الى نصّ هذا البرنامج الذي وافق عليه رسمياً السيّد اغناطيوس افرام الثاني البطريرك الانطاكي يتضح جلياً ان هذين العضوين النشيطين قد استقلّا وحدهما دون الخوري افرام حيقاري الموقّر بجمع تبرّعات المحسنين واستطاعا ان يقتنيا بقعة الارض المذكورة.

١٢ : فات المؤلف ان يثبت اسم الكنت انطون دي طرَازي (صفحة ٤٠) في زمرة المحسنين الى كنيسة بيروت مع انه سرد اسماء كثيرين ممن لم يحسنوا اليها بجزء يسير مما احسن اليها هو. وقد اطّلعنا في سجلّات آل طرَازي على عدة وثائق تصرّح بمآتي الكنت المشار اليه ومساعيه ولاسيما عند انشاء اليانصيب عام ١٨٨٢ في سبيل كنيسة بيروت. فعرفنا بنوع خاص انهُ أهدى الى هذه الكنيسة شمعدانين كبيرين بشكل ثريّاً يرتكزان على قاعدتين خشبيتين الى جانب المذبح الكبير في المواسم الحافلة.

١٣ : عثرنا ايضاً في الوثائق المصونة لدى آل طرَازي على ان المرحوم نعمة الله شقّال أَحسن بسخاء الى كنيسة بيروت وقت المباشرة ببنائها. وقد تبرّع ايضاً خاله المرحوم جبرا شقال بمبلغ من المال كما هو مدوّن في لائحة الاكتتاب الاول لبناء الكنيسة. أفما كان يجدر اذاً بمؤلف « الذكرى الذهبيَّة » ان يذكر اسميهما في جملة المتبرّعين ؟

١٤ : أهمل المؤلف اثبات اسم المرحوم ابرهيم قزما في فئة المحسنين الى كنيسة بيروت. وقد عرفنا معرفة تامة ان هذا الرجل يُعدّ من اقدم المحسنين اليها لانَّ اسمهُ ورد صريحاً في اول اكتتاب جرى عام ١٨٧٨ بحضور السيّد البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس وفي الاكتتاب الثاني الذي تلاهُ. وعلاوةً على ذلك فان شيوخ الملّة السريانيّة في بيروت يذكرون الى هذا اليوم بالرحمة مريم زوجة ابرهيم قزما المعروفة بامّ حبيب قزما. وهي التي خدمت الكنيسة نيفاً وعشرين سنة خدمةً مجّانيّةً اذ كانت تجلس يومياً الى

باب الكنيسة من اول قداس حتى آخر قدّاس لجبـاية صدقات المؤمنين . فاقتضى اذاً ان نثبت اسمها واسم قرينها بالدعاء والرحمة .

١٥ : لم ينوّه مؤلف « الذكرى » بفضل نعمة الله وفتح الله طرّازي . مع اننا قرأنا اسميهما في طليعة المحسنين الى كنيسة مار جرجس بعـد اسم شقيقهما البكر الكنت نصرالله وقبل اسماء سائر المتبرّعين . واستدللنـا كذلك من الوثائق المصونة لدى آل طرّازي على انهما رحمهما الله تعالى كانا متولّيَين قضاء مصالح الملة في مرسيليا . وكان البطاركة والاساقفة لـدى ذهابهم الى اوربـة يحلون عليهما ضيوفاً كراماً كما كانوا يحلّون على اسرتهما في بيروت .

١٦ : عثرنا ما بين الوثائق المخزونة لدى عميـد الاسرة الطرّازية في بيروت على اسم رجل سرياني من أُسرة « حنّ » الحلبيَّة توفاهُ الله تعالى دون عقب . وقد خلَّف في وصيّته الاخيرة مبلغاً من المال معتبرًا بقي وديعةً في مصرف امين باطلاع السيّد البطريرك ماراغناطيوس جرجس الخامس والكنت نصر الله دي طرّازي شيخ الملة السريانيّة . ثم استدان دير الشرفة هـذا المبلغ بفائدةٍ معلومةٍ في عهد رئاسة الخوري يوسف معمارباشي . وقد ضُمّ بعد ذلك الى المبالغ المجموعة في سبيل بنـاء كنيسة بيروت . فكانت معرفة الجميل اذاً تحتم ان يُدوّن اسم هذا المحسن البارّ في عداد المحسنين لانهُ سبقهم جميعاً في مدّ يد الاسعاف لتشييد كنيسة بيروت .

١٧ : لم يصرّح صاحب « الذكرى » بالقداديس الخمسة التي سجّلهـا السيّد المطران تثوفيلس انطون قندلفت للمرحوم افرام بطيخـة . ونحن نعلم ان حضرة الخوري ميخائيل التقي ما برح الى هذا اليوم يقرّب بذاته تلك القداديس الخمسة لراحة نفس الواقف الكريم .

١٨ : قال المؤلف في الصفحة ٢٦ : « ان قيمة الدار الموقوفة من مريم موصلي بلغت الف ليرة ذهبية » ولم يذكر ما أُنفق على المعاملات القانونية وقدره خمسون ليرة ذهبيّة .

١٩ : ذكر المؤلف في الصفحة ٢٦ ايضاً : أنّ المونسنيور افرام حيقاري «صرف المساعي في انشاء يا نصيب خيري عام ١٩٢٨ أُنفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبيَّة في ترميم موقفه كنيسة بيروت وتعبيد فنائها» . وغمّض عن ذكر اليانصيب الاول الكبير الذي نهض به آل طرّازي يوم بناء الكنيسة . وقد بلغت اوراقه خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبيَّة أُنفقت على بناء الكنيسة لا على فنائها . فوجب اذًا ان نثبت ههنا ذكر هذا اليانصيب تخليدًا للناهضين به واستدرارًا لغيوث المراحم العلوية على أجداثهم .

٢٠ : روى في الصفحة ٤٠ قوله : «اشتروا في محلّة راس النبع ارضاً خصّصوها بالمقبرة وتبرَّع بثمنها آل طرَّازي وشقّال وموصلي» . فذكر ارض المقبرة واهمل ذكر ارض الوقف الملاصقة لها وهي المعروفة اليوم رسمياً باسم «حارة مار افرام» . وهما منفصلتان الواحدة عن الاخرى ولا علاقة للواحدة بالثانية . وغنيٌّ عن التصريح بانّ ارض الوقف هذه لعبت دورًا مهمًّا في تاريخ ابرشيَّة بيروت السريانيَّة لانها كانت من اكبر الدواعي الى تعزيز الملَّة ونموّها . وسنذكر ذلك مفصّلًا في فصل «آل طرَّازي وجمعيَّة المساعي الخيريّة السريانيَّة واوقافها في بيروت» حيث تتضح الحقيقة جليًا كالشمس في رائعة النهار . وقد كنّا نودّ لو ان المؤلف الورع اشار الى هذا الوقف وكتب عنهُ كما كتب في الصفحة ٢٧ عن ارض الوقف المعروفة باسم «حارة مار يعقوب» وان كانت كتابته عن هذه الارض ايضاً لا تخلو من الغلط .

٢١ : ادرج المؤلف الورع في الفصل التاسع (صفحة ٣٩ـ٤٣) اسماء العشرات ممّن تبرَّعوا على كنيسة بيروت بحجّة ان اسماءَهم منقوشة على نذورهم . وبين اولئك المحسنين مَن لم يتجاوز احسانهُ الدينار او الدينارين او ثلاثة دنانير . وغمّض عن ذكر اسماء المتبرّعين على بناء الكنيسة او الذين أتحفوها بهدايا ثمينة دون ان يخطر ببالهم ان ينقشوا اسماءَهم على تقادمهم تواضعاً . فتخليدًا لحسناتهم رأينا من الواجب ان نثبت ههنا اسماء

من توفقنا الى الوقوف على تقادمهم في وثائق آل طرّازي وهم : ١ً : السيّد اغناطيوس جرجس الخامس فقد اتحف الكنيسة بصورة مارجرجس الكبيرة . ٢ً الكنت انطون دي طرّازي الذي زيّنها بالشمعدانين الكبيرين اللذين ذكرناهما في هذا الفصل تحت الرقم ٩ وأهدى اليها ايضاً قنديلين فضيّين وغير ذلك . ٣ً : الفيكنت سليم دي طرّازي الذي أتحفها ما عدا صور درب الصليب الجميلة بستّة شمعدانات ثمينة وستّ مزهريات . ٤ً : الكونتس منّة دي طرّازي التي قدّمت للكنيسة مبخرة من الفضّة والشمعدانين المرتكزَين في عمودي الكنيسة الوسطانيّين . ٥ً : نعوم بشخنجي الذي زيّن الكنيسة بتمثال قلب يسوع الاقدس . ٦ً : جرجس ربّاط[1] الذي وقف للكنيسة ساعةً كبيرة ما برحت الى هذا اليوم محفوظة في الموفه : ٧ً : الخورفسقفوس يوسف اسطنبولي الذي أهدى الى الكنيسة كرسي العرش البطريركي ووقف لها ايضاً جانباً من املاكه في بيروت . ٨ً جبرا بن يوسف ربّاط الذي قدّم للكنيسة اول ثريّا عُلّقت في سقفها . ٩ً : ذهني افندي انجا الذي أهدى اليها ستة شمعدانات ونجله فريد الذي ادخل اليها عام ١٩٢٢ الاضواء الكهربائية . ١٠ً : امّ رزق الله شمّال التي أهدت الى الكنيسة ثلاث صور منصوبة فوق الابواب الثلاثة غربي الكنيسة . ١١ : الفيكنت فيليب دي طرّازي الذي أهدى الى الكنيسة ثريات صغيرة علاوةً على الثريا الكبيرة الثمينة الخ الخ .

٢٢ : نشر المؤلف الجليل رسوماً وتراجم للنوّاب البطريركيّين في بيروت وأَضرب عن نشر رسوم ذوي العبقرية والفضل من العالميين . وغير خافٍ ان معرفة الجميل كانت تفرض عليه ان يثبت رسوم مثل هؤلاء كي ينهج غيرهم منهاجهم في التنافس والغيرة على بيت الله تعالى ادّخاراً للثواب في الملكوت السماوي .

---

١) هو والد العالم العلّامة الاب انطون رباط السرياني اليسوعي شقيق الكومندور سليم رباط كبير اعيان الملة السريانية في الاسكندرية

٢٣ : اخيرًا سها مؤلف «الذكرى الذهبيّة» عن التنويه باسم الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الـذي وقف دارًا كانت واقعةً جنوبي التياترو الكبير في يومنا . وخصص نصف تلك الـدار بفقراء السريان في بيروت والنصف الآخر بدير الشرفـة . على ان المطران ثيوفيلس انطون قندلفت باع تلك الدار عام ١٨٩٢ وأنفق قيمة الحصة العائدة الى ابرشيَّـة بيروت في تكميل بناء الطبقة السفلى من قلّاية كنيسة مار جرجس .

اننا نقف عند هذا الحـد في كشف النقاب عمَّا ورد من الاغلاط في «الذكرى الذهبية» وعما كان يجب ان يثبت فيها من الحقـائق المقرَّرة . ولولا ايثارنا الايجاز وخوفنا ملل القراء لسردنا اغلاطاً غير التي بسطناها في هذا الفصل . فنرجو من حضرة الاب الجليل الخورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس الموقر ان يثق بصدق ولائنـا وينظر الى انتقـادنا بعين الحلم والانصاف ويعتقد اننا أثنينا ونثني على فكرته في كتابة ما كتبه وان كان كما قال حضرته : «قد فاته الشيء الكثير منه» .

الفصل الثاني

آل طرّازي وتكوين الملّة السريانية في بيروت

يعلم كل خبيرٍ بتاريخ الملّة السريانيّة أنّ أوّل سريانيٍّ يمّم مدينة بيروت واستوطنها في مطلع القرن التاسع عشر كان من آل طرّازي. وكان اسمه المقدسي انطون (١٧٨٩ــ١٨٥٥) ابن المقدسي نصرالله (١٧٥١ــ١٨٠٨) بن الياس (١٧١٥ ــ ١٧٩٢) بن بطرس (١٦٨٧ ــ ١٧٩٦) بن يعقوب (١٦٤٥ــ١٧١٣) بن بطرس (١٥٩٧ــ١٦٧٨) جدّ الأُسرة الطرّازية الاعلى.

زايل المقدسي انطون طرّازي مدينة حلب وطن أجداده عام ١٨٠٨ وشخص الى بيروت حيث اشترى قيصريّة[1] في سوق البازركان وفتح فيها محلًّا تجاريًّا. وما مرَّ عليه القليل من الزمان حتى رمقتْه عين العناية الالهية بآلائها وشملته بمزيد توفيقاتها. فراجت اسواق تجارته وتضاعف راس ماله بحيث تيسَّر له ان يؤسس فروعاً لاشغاله في بعض انحاء سوريا واوربا. ثم اقتنى بقعة ارض في محلة «خندق الغميق[2]» شيّد فيها دارًا فسيحة قضى فيها ايامه باليمن والسلام.

١) كان يُطلق اسم «قيصرية» في بيروت على ابنيةٍ ضمن اسواقها العتيقة حافلة بأهل الحِرَف والصناعات. فمنها ما كان يُعرف باسم بانيها كقيصرية الامير منصور وقيصرية الامير منذر. ومنها ما تغلّبت عليها اسماء الصناعات او المهن كقيصرية الصياغة وقيصرية الحرير وخلافها. والقيصرية بوجهٍ عامّ بنايةٌ ضخمةٌ ذات بابين كبيرين يُفتحان نهارًا ويُغلقان ليلًا. وكانت تتألف من ساحةٍ فسيحةٍ لا سقف لها تحيط بها الاروقة والدكاكين من جهاتها الاربع. وتعلوها طبقتان كانت غرفهما مأهولة على الاغلب بالتجار الغرباء. ولما هُدمت اسواق بيروت القديمة وشُيدت بدلًا منها الاسواق الجديدة خفيت معالم تلك القيصريات واصبحت اثرًا بعد عين.

٢) أطلقت بلدية بيروت على الشارع الممتدّ بين شارعَي سوريا والبسطة والمؤدّي الى دار آل طرّازي من ناحيتها الشمالية اسم «شارع نصرالله طرّازي» اقرارًا بفضله.

وقد استقى المقدسي انطون من والده المقدسي نصرالله روح الفضيلة والفضل. وامتـاز مثله بالغيرة على المشاريع المبرورة والاهتمام بصالح الملة روحياً ومادياً كما قرَّر السيد اغناطيوس ميخائيل الرابع في رسالة انفذهـا اليـه بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ من دير مار افرام الرغم. وفي هذه الرسالة يعزّيه البطريرك بوفاة والده المقدسي نصرالله الذي لفظ روحـه في حلب بتاريخ ٢٩ ايار ١٨٠٨ قال ما نصه :

« باسفٍ لا مزيد عليه بلغنا... خبر وفاة ابننا الروحي والدكم المقدسي نصرالله رحمـه الله تعالى. فشقّ ذلك كثيراً على قلبنا الابوي وجئناكم الان بسطور البركة لنعزّيكم ونشارككم في احزانكم. وهذا السهم الذي اصابكم قد نالنا منه القسم الاوفر لاننا اكثر من الجميع قـد اختبرنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامـه بصالح الطائفة ... وقد صار مقرّراً عنـدنا انكم تسلكون مسلكه حتى تستمرّ النعمة في عائلتكم ويتعزّى قلبنا بابناء صالحين نظيركم... ».

وعندما انتقلت أُسرة طرَّازي بعد وفاة نصرالله كبيرها الى مدينـة بيروت واصل انطون ابنُهُ خدمَهُ في سبيل الملة السريانية وتعزيزها. وقـد اصبحت داره مذ صدر القرن التاسع عشر محط رحال البطاركة والمطارنة والرؤساء والاعيان. ولما اخذ ابناء الطائفة يزدادون في بيروت رفع عريضةً الى السيد اغنـاطيوس سمعان الثاني مصرّحاً له بانهم محتاجون الى اسقف يدبّر شؤونهم الروحية ومقرّراً بانه يقبله ضيفاً في داره مدة حياته. فما كان من هذا البطريرك المغبوط الا ان اجاب الى إلحاح المقدسي انطون. ثم رقّى الى الكرامة الاسقفية على بيروت كاهناً جليلاً ورعاً من ديار بكر وأسماه كوارتس انطون. وكتب في ذلك الى المقدسي انطون طرَّازي رسالة مؤرّخة في ١٠ تشرين الاول ١٨١٧ قال :

« ان حضرة الاخ المحترم كوارتس انطون راعيكم الجديد... يسافر في الاسبوع القادم لاستلام زمام رعيتنا المباركة في مدينة بيروت المحروسة. فنتأمل



المقدسي انطون طرّازي

١٧٨٩ — ١٨٥٥

من تقواكم ان تقوموا باكرامه وتستقبلوه بما فُطرتم عليه من اللطف وحسن التديّن. وحيث ان اقامته ستكون في منزلكم العامر كما طلبتم لعدم وجود محل آخر نرغب ان تجمعوا ابناء طائفتنا عندكم بعد وصوله لتصير تلاوة منشورنا البطريركي في تعيين اخوّته مطراناً عليكم. فنبتهل الى الله الجود ان يبارك هذه الغرسة التي زرعناها في حقل ابرشيتكم حتى تأتي بالاثمار الصالحة لخيركم الابدي ويفرح قلبنا بنجاحكم روحاً وجسماً. لا نقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم ومحبتكم. وعلى الخصوص لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء مصالح الطائفة في طرفكم. بلّغوا منا السلام والدعاء والبركة لجميع اولادنا الروحيين ولكل من يلوذ بكم، والباريءُ تعالى يحفظكم».

فمن نصّ هذه الرسالة البطريركية الجليلة يتضح صريحاً انه لم يكن للاكليرس السرياني مرجع يعولّون عليه الّا آل طرازي. ولم يكن لهم محلٌّ يأوون اليه ويقضون فيه فروضهم الدينيَّة الا دار آل طرّازي الذين فتحوها على مصراعيها لقبولهم فيها بالتجلة والاعتبار. وقد كتب آل طرَّازي على انفسهم ان يقوموا بحاجات أَرباب الكهنوت والتوسعة عليهم غير مدخرين في ذلك مالًا وسعياً وتعباً. على ان الحبر الجديد السيّد كوارتس انطون المشار اليه قضى حياتهُ الاسقفيّة التي استغرقت اربعاً وعشرين سنة (١٨١٧ــ١٨٤١) في دارهم كأنهُ هو صاحبها وهم ضيوفها. وعلى هذا النمط استمرّ أَحبار الطائفة السريانية قاطبةً منذ عهد البطريرك اغناطيوس ميخائيل الرابع حتى عهد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني يحُلّون ضيوفاً مبجّلين مكرّمين على دار آل طرّازي. ويقضون على يدهم مصالحهم المدنيَّة في بيروت واوربة بموجب وكالات رسميَّة. وكان آل طرَّازي بدورهم يؤدّون لهم هذه الخدمة بما عُرفوا به من الهمّة والغيرة والتفاني لوجه الله تعالى وخير الملّة.

ومماً يستحق الذكر في هذا المقام رسالةٌ تاريخية كتبها العلاّمة الدكتور لويس صابونجي من لوس انجلوس باميركا الشمالية الى الفيكنت فيليب دي طرازي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ نقتطف منها[١] ما يلي :

« ربّما لا تذكرون تماماً الباعث على شدة تعلقي بأسرة طرّازي الكريمة وصدق مودّتي القديمة لافرادها النجباء . وعليه اودُّ ان أُعيد على سماعكم شذرة من تاريخ هذه الصداقة كما هو مطبوع في ذاكرتي رغماً من مرور نحو ثمانٍ وسبعين سنة على تاريخ تلك الصداقة . وهاكم تفصيل ذلك : بعدما نجوتُ من غائلة المذبحة ونهب منازل المسيحيّين وكنائسهم في حلب في شهر تشرين الاول ١٨٥٠ قدمتُ بيروت مصحوباً بالارشمندريت عبد الله كاتم اسرار البطريرك مكسيموس مظلوم . فقابلني المرحوم جدّكم انطون طرّازي في انطوش مدرسة الشرفة . فوجدتهُ شخصاً لطيفاً ربعاً نحيف البنية وعلى رأسه عمامة صغيرة قماشها أسود . وكان سرواله كذلك من الجوخ الاسود . ومن كرم آل طرّازي المعهود احضر لي الطعام . وكانت تلك آخر ليلة من عام ١٨٥٠ . وأعتبر هذا الصنيع اول لطفٍ وأَجمل احسان نالهُ غريبٌ مثلي في السنّ الثامنة عشرة من مكارم أُسرة طرّازي . فاذكر ذلك بملء السرور واشكرهُ . وفي الغد حضر اليَّ المرحوم جدّكم وسار بي الى مدرسة الشرفة . واعتاد جدّكم النبيل كلّما زار مدرسة الشرفة ان يسأل عني ويطلب مشاهدتي ويلاطفني ببشاشة طبعت في فؤادي صدق الوداد له ولكل من افراد ذرّيته النجيبة . وما زلتُ محافظاً على هذه الصداقة بوفاءٍ وذمامٍ ولن انساها حتى أُدرج في الاكفان .

« هذه نبذة وجيزة من تاريخ صداقتي لجدّكم المرحوم وافراد عائلته الافاضل . وقد انتقلَت منهُ الى والدكم الكنت نصرالله دي طرازي رحمه الله تعالى . ثم انتقلت صداقتي الى نجله البكر الكنت انطون دي طرّازي

---

١) طالع نصّ هذه الرسالة برمّته في الصفحتين ٤٦ و٤٧ من كتاب « الحلل الطرازية في الأُسرة الطرّازية » .

الذي زارني في باريس عام ١٨٨٩ اثناء معرضها العامّ . واذ لم يكن ضليعاً باللغة الانكليزية طلب مني ان ارافقه الى لندن فجاريته . ثم لجَّ عليَّ بالذهاب معه الى الاستانة فانقدتُ لطلبه . وصار ذلك باعثاً على طلب السلطان عبد الحميد الثاني لادخل في خدمته بصفة كاتب خاص ومستشار سياسي »

وفي السنة ١٨٥٨ اراد البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول ان ينصب القس افرام كرْش مرْش اسقفاً على بيروت . ولا ندري البواعث التي دعته بعد ذلك الى الاحجام عن هذا التدبير . وقد اشار الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الى هذا التعيين في رسالة كتبها بتاريخ ٨ ايار ١٨٥٨ الى آل طرّازي قال :

« ... ان القس يوسف سكّر يخبرنا ان غبطته معتمد على سيامة اربعة اساقفة . فالثلاثة هم الذين اخبرناكم عنهم حين كنّا بطرفكم والرابع هو القس افرام من ابرشية ماردين سيجعله اسقفاً على بيروت . ولا ريب ان اقامته تكون بدير الشرفة وكيلاً لغبطته على الدير المذكور ودير ماري افرام . نسأله تعالى ان يجعلهُ اسقفاً غيورًا على خلاص الرعيَّة وتاجرًا اميناً بالوزنة الانجيليَّة يثمر اثمارًا صالحة ... وينمي الطائفة بالخيرات الروحية والزمنية . ثم انه على ما يبين لي ان غبطته لا بدّ قبل رسامة الاب المذكور يخبركم عن ذلك قانونيًا ولياقةً ... »

ولبث آل طرّازي يواصلون اهتمامهم بكل وسيلةٍ ناجعة لضمّ شتات ابناء الملة السريانيَّة في بيروت وجمع شملها وتعزيز مقامها بين الملل الاخرى. فكانوا لا يضنّون بشيء من المال والنفوذ في سبيل الوصول الى هذا الهدف المشكور . وقد قرَّظ الرؤساء حميَّتهم هذه قولًا وكتابةً في آونةٍ مختلفة. واليك ما كتبه اليهم البطريرك اغناطيوس انطون الاول بهذا المعنى من ماردين في ٢٣ تموز ١٨٦٣ . قال: « ولقد مدحنا غيرتكم وهمتكم في تجميع اولاد طائفتنا المتبدّدة . نسأل الله ان لا يضيّع اجركم ... »

وكان آل طرّازي يتوقون شديد التوق الى رؤية كنيسة لملّتهم في بيروت يحضرون فيها الاحتفالات الدينية حسب طقسهم السرياني . وقد طال ما راسلوا في هذا الصدد بطاركة الملّة واستنهضوا هممهم ليجيبوا الى طلبتهم ويحققوا نيتهم هذه الصالحة . وحدث في تلك الاثناء ان الآباء الكبوشيين عقدوا النية على ابتناء دير جديد لرهبانيتهم جنوبي باب ادريس ببيروت بدلًا من ديرهم القديم الذي كان واقعاً في محلة « باب الدركاه » . فجرت المفاوضة اذ ذاك بين رئيسهم الاب زكريا فنشيولي وبين آل طرّازي لاجل مشترى الدير القديم مع كنيسته وحديقته وسائر مشتملاته بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية . فعرض آل طرازي هذا الامر على السيد ديونوسيوس جرجس شلحت رئيس اساقفة حلب الذي كان في ذاك العهد نائباً رسولياً اثناء فراغ الكرسي البطريركي . فأجابهم النائب المشار اليه بتاريخ ٢٨ شباط ١٨٦٥ بما نصّه :

« . . . نجيب ثانياً بخصوص مشترى كنيسة الآباء الكبوشيين مع جزء من الجنينة برسم محلّ الصلاة للطائفة عموماً في بيروت وتخصيصكم باقي الدير لحسابكم الخاصّ فقد مدحنا هذا الرأي . وان شاء الله بعد ان يصل حضرة القس حنا معمارباشي لطرفكم نتخابر معه ومعكم بهذا الشأن . . »

وقبل اجراء المعاملات الرسمية لانتقال هذا الدير الى آل طرّازي والطائفة السريانية طرأت صعوبات حالت دون المشترى . لان الباب العالي تأخر كثيراً في منح الآباء الكبوشيين فرماناً سلطانياً يؤذن ببناء ديرهم الجديد . فكان ذلك التأخر باعثاً لالغاء العقد وإبطال مشترى الدير المشار اليه .

ولما التأم مجمع الانتخاب البطريركي عام ١٨٦٦ في حلب رفع اليه سريان بيروت عريضة يطلبون فيها ان يكون تدبيرهم منوطاً برئيس اساقفة حلب . وصرّحوا بما حملهم على ذلك الطلب وهو ينحصر في ثلاثة امور : اولًا لان الفريق الاوفر منهم يمتّ الى اصلٍ حلبي . ثانياً لان مدينة ماردين

مركز الكرسي البطريركي تفصلها مسافة عظيمة عن بيروت فيتعذر بسببها على البطريرك زيارة هذه الابرشية كلّما دعت الضرورة الى ذلك . ثالثاً لان سريان بيروت وهم قليلو العدد لا تتوفر لديهم الوسائل الكافية للنهوض بأوَد مطران خاصٍّ بهم .

فبعد ما اطّلع آباء هذا المجمع على العريضة المشار اليها ودرسوها ملياً استصوبوا ان تكون سياسة ابرشية بيروت تابعة لرئيس اساقفة حلب ودوّنوا ذلك في اعمال مجمعهم . ثمَّ رفع البيروتيون عرائض شتى في هذا المعنى الى بطريركهم مار اغناطيوس فيلبّس الاول والى رئيس مجمع انتشار الايمان في رومية يلتمسون فيها تأييد قرار مجمع الشرفة . وقد رأينا نصّ تلك العرائض والرسائل المنوطة بها محفوظاً في خزائن آل طرّازي .

وعلى اثر ذلك خطر ببال السيد غريغوريوس يعقوب حليـاني مطران دمشق ان يضمّ ابرشية بيروت الى ابرشيتهِ متعهدًا ببناء كنيسة فيها والقيام بجميع حاجاتها . وحجّتهُ في ذلك حق الشفعة لسببين : اولًا لان بيروت الى دمشق اقرب منها الى حلب . ثانياً لان بيروت ودمشق واقعتان ضمن ولاية واحدة اي ولاية سورية بعكس حلب التي لها ولايتها الخاصة . يتبين ذلك من رسالة لمطران دمشق المشار اليه مؤَرخة في ٩ تشرين الثاني ١٨٧٠ ومن رسائل اخرى موفدة الى ارخندس السريان في بيروت .

اطّلع آل طرّازي على هـذا الخلاف الذي نشب بين مطراني حلب ودمشق وشعروا ان بطريرك الملة يؤَيد نظرية مطران دمشق[1] . فقرروا حين ذاك الغاء فكرتهم في ضمّ بيروت الى حلب وآثروا استقلال ابرشيتهم متشبثين بالبقاء تحت رعاية الكرسي البطريركي . فما كان من رئيس احبار الملة مار اغناطيوس فيلبّس الاول الّا ان اثنى على سداد رأيهم ووثيق تعلقهم

1) طالع رسالة السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب في ٢٨ شباط ١٨٦٧ ورسالتين للسيد اثناسيوس رافائيل جرخي اوفد الاولى في ١٦ شباط ١٨٦٧ من بغداد وسيّر الثانية من رومية في ١ كانون الاول ١٨٦٩ الى آل طرّازي

بهِ واخذ يبذل عنايتـــه الخاصة في تدبير شؤونهم . تؤيد ذلك رسالته التي انفذها من ماردين الى الكنت نصرالله دي طرَّازي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٦٨ ووقعها بامضائه . وامضاها ايضاً القاصد الرسولي في مـــا بين النهرين السيد نقولا كستلس والسيد اثناسيوس رافائيل جرخي رئيس اساقفة بغداد . واليك نصَّها :

« نعلم جنابكم بانه قد ترتَّبت جمعيَّة من المدوَّنة اسماؤهم هنـــا بأمر المجمع المقدس المثبَّت من قداسة سيدنا الحـــبر الاعظم لاجل الفحص عن تركة البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري وعن احتياجات جميـــع ابرشيات الطائفة السريانية وكنائسها . بناء على ذلك وبما انكم متقدمو ابرشية بيروت المحبوبة لدينا فقد وجهنا الحاظنا نحوكم الكي تعلمونا بالتفصيل ما هي احتياجات ابرشية بيروت سواء كان من جهة الكنيسة ام من جهة رعاية النفوس وخدمتها بالنوع الذي يقتضي انجاح تلك الابرشية . . . ونروم ان تشرحوا كل شيءٍ بالتفصيل . . . »

ثم كتب البطريرك والقاصد الرسولي المشار اليهما بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٦٩ الى الكنت نصر الله دي طرَّازي عينه ما نصهُ : « تداولنا في هذا الامر . ولاجل بعض الملاحظات ارتضينا بما ارتأيتم وحوّلنا القضية لذمّتكم لثقتنا بتقواكم . لان حضرتكم اخبر منا في ذلك . ونحن خوفاً من الوقوع تحت المسؤولية امام الله قد تمّ رأينا ان نحوّل المادّة لحقانيتكم وذمتكم . ومهما حكمتم به فنحن راضون به من دون مراجعة لزيادة ثقتنا وامانتنا بذمتكم . . . »

يتضح اذا ممَّا سبق بيـــانهُ ان الملّة السريانية في بيروت كانت مجسّمة في آل طرازي الذين كانوا المرجع الوحيد والعماد المتين لرؤسائها في جميـــع الشؤون . وعليهم كان يعول البطـــاركة في المصالح المهمة . يؤيد ذلك

مئات من الرسائل محفوظة بكل حرص في خزائن هـذه الاسرة المباركة . اذاً بكل حقٍ وبكل صوابٍ وبكل امانٍ نستطيع ان ننـادي باعلى صوتنـا على رؤوس الاشهاد ونقول القول الفصل بدون ادنى محاباة : ان الفضل بل كل الفضل في تكوين ابرشية بيروت السريانية لا يعود الّا الى آل طرازي وحدهم دون سواهم . فمن انكر هـذه الحقيقة الراهنة التي يعترف بها الرئيس والمرؤوس والقاصي والداني لا يُعَدّ الَّا مكابرًا او جاهلًا او متجاهلًا .

الفصل الثالث

آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلايتها

افرغ بنو طرازي كل جهدٍ وجدّ في ابتنـاء كنيسة مـار جرجس السريانيَّة ببيروت . وكانت زوجة المقدسي انطون السيـدة كاترين بنت يوسف خوَّام[1] المشهورة بتقواها تتنفس الصعداء مبتهلةً الى الله تعالى مرارًا ليمنّ عليها ان تشاهد بامّ عينها قبل وفاتهـا كنيسةً للسريان تمارس فيهـا فروضها الدينيَّة . وقد استجاب عزّ وجلّ طلبتها المقدسة وانعم عليها بان تحضر بنفسها احتفال البطريرك بوضع الحجر الاول في أَساس تلك الكنيسة في ٢٥ آذار ١٨٧٨ . وعربوناً لشديد ابتهاجها بذلك الاحتفال نزعت من فورها خاتمها الثمين ودفعته الى السيد البطريرك ليضمّ ثمنـه الى المبالغ التي جُمعت لبناء الكنيسة . ومذ ذاك التاريخ الى حين وفاتها في ٦ آذار ١٨٧٩

---

١) كان للسيدة كاترينا خوَّام زوجة انطون طرّازي ثلاثة اخوة انتظموا في سلك الرهبانية الباسيلية للروم الملكيين قبل انقسام تلك الرهبانية الى بلدية وحلبية .

كانت تردّد مع شمعون الشيخ : « الآن يا سيّد أَطلق عبدك حسب قولك بسلام لان عينيّ قد ابصرتا خلاصك » (لوقا ٢ : ٢٩ و ٣٠) .

اما نجلها الكنت نصرالله فكان من نيّته ان يبتني تلك الكنيسة بنفقته الخاصة . يتضح ذلك من المكاتيب الشتى التي تبودلت في هذا الشأن بين البطريرك الانطاكي وبينه . بيد ان السيد البطريرك ثَبّطهُ عن انجاز مقصده الحميد رغبةً ان يشترك جميع ابناء الابرشية البيروتية في هذا الصنع المبرور احرازًا للثواب في الدارين . وبهذه الوسيلة المقدسة تغلّب السيد البطريرك على فكرة الكنت نصرالله مقنعاً اياه بالعدول عن رأيه . فاخذ من ثم الكبير والصغير والغني والفقير يشتركون في هذا العمل المقدس كما اعلن حقيقة ذلك الاب افرام ابيض في خطابٍ أَلقاه صباح الاحد ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ لدى احتفاله بالقداس الاول اذ قال ما ملخّصه :

« قد شملكم السرور ايها الاحباء يا ابناء الطائفة السريانيّة الاعزاء . اذ شاهدتم بابصاركم ثمرة اتعابكم أثناء خمس سنوات ... فقد فزتم برأى معبدٍ جديد شيّد لله تعالى في بيروت على اسم مار جرجس الشهيد ... اني اشكر جميع الذين اعتنوا ببناء بيت الله هذا وساعدوه بيدٍ سخية ... واخصّ بالذكر السراة الغُيُر الافاضل نصرالله طرازي وانجاله ، ورزق الله شقّال وميخائيل موصلي ... واشكر الفاضل ميخائيل اليان سركيس العامل الادبي . ثم اشكر اخوتنا الاكارم الروم الملكيين والموارنة واللاتين والارمن ... » .

أَخذ اذًا المحسنون في ذاك الحين يتسابقون فيكتتبون بما جادت به اريحيّتهم . وكان الكنت نصرالله دي طرازي وشقيقاه نعمةالله وفتحالله في طليعة الذين اكتتبوا بسخاء في هذا المشروع الجليل . على ان نجلته السيدة ادما شاءت وهي لم تتجاوز يومئذٍ ثمانية عشر ربيعاً ان تسبق الجميع في مساعدة هذا المشروع المبرور فتبرّعت من جيبها الخاص بقيمة بناء اساسات الكنيسة تمجيدًا لله تعالى واحرازًا للاجر السماوي .



كاترين زوجة المقدسي انطون طرّازي

١٨٠٠ — ١٨٧٩

غير انه ما كاد يرتفع البناء ويصل الى منتصفه حتى نفدت النقود المجموعة بتمامها . فاقترح شيخ الطائفة الكنت نصرالله انشاء يانصيب خيري يُرصد ريعه لانجاز العمارة. وقرَّ الرأي على ان يكون مجموع اوراق ذلك اليانصيب خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبية . واخذ الكنت نصرالله والكنتس منة زوجته وانجالهما على عهدتهم توزيع الاوراق على أَصحابهم وأَصدقائهم . وصرفوا في ذلك المشروع همة لا تعرف الكلال حتى فازوا بالضالة المنشودة.

ومن جملة الذين اشتركوا على يدهم في هذا اليانصيب الخيري نذكر خصوصاً : السيّد غريغوريوس الاول بطريرك الروم الكاثوليك . والسيّد اودوقيك بياني القاصد الرسولي. ورستم باشا متصرّف جبل لبنان . ونسيب باشا جنبلاط كبير اعيان الطائفة الدرزية . واصحاب المروءة والشهامة بشاره الخوري ونخله مسعد وحبيب دوماني وبشاره هاني وارملة متى فرح واسكندر سرسق وجرجس تويني وسلوم بسّول والكنت دي برتوي في بيروت . ثم فرج الله موصلي وقسطنطين كحيل في القاهرة . وجبرائيل مخلّع ويوسف نصر والكنت دي زغيب وفيليب بولاد في الاسكندرية . وسليم نصرالله خوري في حيفا . وجبران سعد في عكا . وانطون تيّان وبطرس روك في يافا . والمركيز جورج صعب في منشستر . وسليم دي بسترس في لندن وشكرالله حمصي وفرنسيس ضاهر في مرسيليا . والكنت رشيد الدحداح في باريس. واسرة المركيز غنطوس كبّه في ليفورنو . والقس رافائيل ابن المركيز فتح الله بن شكر الله جروة في البندقية . وفيليب افندي مؤسس جريدة « طريق » الشهيرة في الاستانة .

فان كلًّا من هؤلاء الافاضل جاد بمبلغ خمسين ورقة اعني بمائتين وخمسين فرنكاً ذهباً. ولما نجز المشروع وسُحبت اوراق اليانصيب تبرّع اصحاب النمر الرابحة على الكنيسة بما ربحوه من اموال اليانصيب فاضافوا بذلك مبرّةً جديدة الى مبرّاتهم . نستثني منهم قساً سريانياً اصابتهُ ورقة بمبلغ مائة فرنك ذهباً

فقبضها لحسابه الخاص.

وكان آل طرازي يراقبون بناء الكنيسة بانفسهم ويسهرون على اتقان العمل حتى يأتي كل شيء مطابقاً للفن. فلما بلغ مسمعي البابا لاون الثالث عشر ما قام به خصوصاً والدهم الكنت نصرالله من المساعي المشكورة في سبيل بناء هذه الكنيسة وملحقاتها أبى قداستهُ الّا ان يبدي لهُ عاطفة الرضى والاستحسان. فاهدى اليه بتاريخ ٢٠ شباط ١٨٨٠ «وسام القديس سلوسترس» مكافأةً على اتعابه ومبرّاته وتنشيطاً لغيره على اقتفاء حميد آثاره.

وقد عرف ابو الطائفة المغبوط مار اغناطيوس جرجس الخامس لآل طرازي مكارمهم الجمّة وجهودهم المتواصلة في سبيل كنيسة بيروت فكتب الى الكنت نصر الله بتاريخ ١ كانون الاول ١٨٨٤ اعني على اثر الاحتفال بالقداس الاول ما نصه: «... هل نصمت ايها الابن العزيز عن امتداح المساعي الحسنة المقترنة بالتوفيقات العلوية المبذولة من بنوتكم خاصة ... في انشاء بيت الرب هذا؟ فليجزل لكم الثواب تعالى في الدارين ...»

فكل ما اثبتناه في هذا الفصل عن اهتمام آل طرازي بكنيسة ملتهم يصدق ايضاً على دار القلّاية المجاورة لها. فانهم بالاشتراك مع النائب البطريركي السيد ثئوفيلس انطون قندلفت بذلوا مساعيهم لانجاز بناء الطبقة الاولى. ولدى الاحتفال بافتتاحها رسمياً في ٢ شباط ١٨٩٣ كلّفوا نيافة القاصد الرسولي السيد غودنسيو بنفيلي ومطارنة بيروت وبعض الاعيان ان يتناولوا طعام الغذاء على مائدة النائب المشار اليه. وفي ٨ كانون الاول ١٨٩٦ نجز بناء الطبقة الثانية فاستقلّ النائب البطريركي بسكناها وخصّص الطبقة الاولى بسكنى الكهنة.

وما كاد يتم بناء القلاية حتى انتبه الفيكنت فيليب دي طرّازي الى ان الاساس الذي شُيّدت عليه لا يتجاوز عمقهُ الاربعين سنتمترًا. وقد كان

ذلك الاساس لدى بنائهِ خاصاً بسور (تصوينة) باحة الكنيسة . ومن المعلوم ان عمق اربعين سنتمترًا لم يكُ كافياً لحمل اثقال بناية ذات طبقتين . ولما كان الصخر في تلك المحلة لا يقل عمقهُ عن خمسة امتار خشي الفيكنت ان يفاجئ القلاية طارئ يقوضها ويجرّ وراءهُ ضحايا بشرية. فدفعته الغيرة الى استدراك الخطر قبل حدوثه واستدعى مهندساً بارعاً وبنّائين ذوي خبرة وباحثهم في هذا الشأن . فقرّ رأيهم قاطبةً على تشييد اساس متين يحيط بالقلاية ويدعمها حتى تكون في امان من كل خطر . وقد ادّى الفيكنت جميع النفقات التي تطلّبها هذا الاصلاح فاطمأنت الخواطر مذ ذاك الحين ولم يحدث والحمد لله في العمارة ادنى خلل .

ولما أَلَفت بلدية بيروت سنة ١٩٢٢ لجنة لوضع اسماء شوارع هذه المدينة عينت الفيكنت فيليب عضوًا فيها . فانتهز هذه الفرصة واقترح على اللجنة ان يُسمّى الشارع الواقع جنوبي القلاية المار ذكرها باسم « شارع البطريركية السريانية » . فوافقت اللجنة على هذا الاقتراح وأَيدهُ المجلس البلدي .

الفصل الرابع

آل طرّازي وتزيين كنيسة بيروت الكاتدرائية

ما كادت تنجز عمارة كنيسة بيروت على ما وصفنا حتى نهض آل طرّازي يسعون السعي الحثيث بأموالهم واتعابهم في تزيينها كما يليق ببيت الله تعالى. فصرفت أُمهم الكونتس منة اطيب الجهود في تجهيز الاقمشة لمذابحها وتطريز أغطيتها. وراحت تهيء مع بناتها الحلل لكهنتها والالبسة لشمامستها. ولم تقتصر على اعداد ما يلزم الكنيسة من الاقمشة والبدلات الحريرية والبطرشيلات السوداء لاسبوع الآلام بل اخذت تُعدّ كذلك كل ما يلزم الجنانيز

كالقمصان والاوشحة وما شاكلها وقد نهضت تلك الكونتس النشيطة هي وبناتها بمشترى الاقمشة وتفصيلها وخياطتها بما لا يوصف من العناية والدراية. واعتادت الحضور الى الكنيسة معهنَّ في كل موسم ليعتنينَ بغسل اغطية المذابح وقمصان الكهنة وأردية المرتلين وكيّها المرة بعد المرة. وواصلنَ هذه الخدمة الحميدة نحو الثلاثين سنة بما عُرفنَ بهِ من الغيرة والتفاني في خدمة بيت الرب. وكانت الكنتس منة اذا رأت الكنيسة محتاجة الى شيء من الزينة أقبلت على مشتراه بكرمها المشهور.

والى هذه الكونتس الجليلة يعود الفضل في مشترى مبخرةٍ فضيَّة وشمعدانين كبيرين مركوزين الى اليوم في عمودي المذبح الكبير. وقد اتحف الكنت نصرالله هذه الكنيسة بصورةٍ زيتية تمثل السيد المسيح في العشاء السرّي يحيط بها اثنتا عشرة صورة على شكلها تمثل آباءنا الرسل العظام. وفي السنة ١٨٨٣ زيّن مذبحها اليمين بصورة والدة الله مريم عليها السلام. وأهدى اليها ابنهُ الكنت انطون قنديلين من الفضَة[1] مع شمعدانين كبيرين بشكل ثريّا يركزان في جناحي المذبح الكبير ايام المواسم السيّدية. وأهدى اليها الڤيكنت سليم صور درب الصليب مرسومةً بالزيت وهي من ابدع ما صوّرتهُ ريشة مصوّر. وأضاف الى ذلك ستة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر مع ستة زهور مذهَّبة تُزيّن بها درجات المذبح الكبير في المواسم الكبرى. ووقفت السيدة ادما دي طرّازي قرينة نخله مسعد قنديل فضة كبيرًا سنة ١٨٩٥.

اما الفيكنت فيليب فقد اهدى الى هذه الكنيسة الثريّا الكبيرة المعلقة في وسطها وأغلب الثريّات الاخرى مع خزائن الموفه التي استصنعها المعلّم يوسف النجّار على طراز خزائن موفه كنيسة اليسوعيين. ثم ذهّب درجات المذابح الثلاثة وبيوت القربان بعد ما وسّع على نفقته مذبحي والدة الله والقديس

---

١) سُرق هذان القنديلان في ٥ تموز ١٨٩١ مع المبخرة الفضيَّة التي اهدتها الكنتس منّة طرّازي رحمها الله تعالى.

افرام الملفان. ووقف للكنيسة ايضاً خزانتين راكزتين الى جانبي صورة مار جرجس الشهيد لتوضع فيهما النذور والتقادم . ويُشاهد بينها نذورٌ شتّى وقفتها الاُسرة الطرّازية.

ولما عزم آل طرّازي عام ١٩٠٠ على دهن سقف الكنيسة وجدرانها بالالوان الزيتية الجميلة وعلى صنع منبري الاعتراف كانوا في مقدمة المتبرعين على هذا المشروع. اذ انهم جادوا وقتئذٍ بمبلغ اربعين ليرة ذهبية وهو اكثر من نصف المبلغ الذي أُنفق في السبيل المذكور. امَّا المبلغ الباقي فقد جُمع من سائر ابناء الملة. وقد عرف لهم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني هذه المكرمة فكتب اليهم بخط يده في ١٥ آب ١٩٠٠ يبدي لهم آيات الثناء الى ان قال:

« .. نهنئكم بدهن الكنيسة ونحن نعلم كم هي غيرتكم على الطائفة ومجدها وكم هي محبتكم للكنيسة وللعبادات. نسأل الله ان يحفظكم لنا مديدًا ويزيدكم جاهاً وفضلًا ».

ومما نذكره لآل طرّازي بالامتنان والثناء انهم استنهضوا غيرة بعض ذوي الاحسان من كهنة وعالميين لاجل صنع الصور والقناديل وسائر انواع الزينة التي دُبّجت بها جدران هذه البيعة الكاتدرائية ومذابحها.

الفصل الخامس

آل طرّازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية وأوقافها في بيروت

على أثر الاحتفال بالقدّاس الاول في كنيسة مار جرجس ببيروت رأى اعيان الملة ان يؤسسوا جمعيَّة خيرية تقوم بمساعدة الفقراء واغاثة الغرباء من ابناء جنسهم. فالتأموا صباح عيد الدنح (الغطاس) ٦ كانون الثاني ١٨٨٤ بعد القداس الالهي في غرفة النائب البطريركي القس افرام أبيض . واقترعوا

على ان يكتتب ذوو اليسار بمبلغ سنوي يُدفع الى صندوق الجمعية ويُنفق على يدها بالطريقة القانونيَّة . وفي ذلك الاجتماع عُين الكنت نصرالله دي طرَازي باتفاق الكلمة والصوت الحيّ رئيساً للجمعية الخيرية لِمَا اشتهر به من الحميَّة الطائفية وعمل المبرّات . وقد وقفنا على ابيات شعرية نظمها نجـلهُ الفيكنت فيليب تاريخاً لتأسيس تلك الجمعية هذا نصّها :

جمعيَّة البرّ للسريان أَنشأها افاضلٌ أَلِفوا الاحسانَ والوَرَعَا
حَنَّانـةٌ في سبيل الله غايتُها اسعافُ مَن في شقاءِ العمر قد وقعا
أجازها بطريركٌ طاب عنصرُهُ على الصلاح ونفعِ الناس قد طُبعَا
نالوا الثنـاءَ لِمَا أبدوهُ من هممٍ وأحرزوا الأجرَ مشفوعاً بكلّ دُعا
فتلك مأثرةٌ نادى مؤرّخُها يا حبّذا الدين والدنيا متى اجتمعا
١٨٨٤

واصل الكنت نصرالله دي طرَازي مساعيه الطيّبة في تعزيز هذه الجمعية وجاد عليها كل سنة وفي اوقات ممتازة بالعوارف العديدة التي خلّدت له فيها اجمل تذكار . وراح أعضاؤها يبدون لرئيسهم الجليل عاطفة عرفان الجميل فنصبوا رسمه في قاعة الجمعية عربوناً لشكرهم وتقديرًا لمكارم رئيسهم النبيل. وقد دوَّن هذا الكنت الفاضل في صك وصيته الاخيرة مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية توزَّع بعد وفاته في سبيل المشاريع المبرورة . فقام ابناؤه بتنفيذ الوصية لدى انتقاله في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ الى جوار ربّهِ . ولم يكتفوا بذلك بل اضافوا الى المبلغ الموصى به مبلغاً آخر يضاهيه قدرًا . ولذا أقامت اديار الملة وبعض ابرشياتها قداساً وجنازًا حافلين عن روح هذا الراحل الكريم اقرارًا بحسناته .

ولما استعفى الكنت نصرالله من الرئاسة أُنيطت شؤونها بنجله الفيكنت فيليب الذي خدمها الاعوام الطوال بما عُرف به من الحصافة والغيرة والحنكة والسخاء . وخلّف فيها كوالده الحميد الذكر آثارًا تذكر فتشكر على توالي الاعصار . وقد طالما رأينا الفقراء والمعوزين يتراكضون

اليه ويطلبون مساعدتهُ . ولسنا نبالغ ان قلنا ان هذا الفيكنت الكريم لم يردّ سائلًا ولم يخيّب طالباً في كل حياته .

ومن آثار الفيكنت فيليب في هذه الجمعية انه وقف لها في حياته بقعة الارض الملاصقة لمقبرة الملة في راس النبع والتي أُطلق عليها بمساعيه بعد ذلك اسم « حارة مار افرام » الملفان . وقد عُرف ذلك رسمياً لدى الحكومة وسُجل في مجلس بلدية بيروت . وكان الفيكنت متولياً على هذه البقعة طبقاً لحجةٍ شرعيةٍ مؤرخةٍ في ١١ ذي الحجة ١٣١٥ هجرية . على ان البقعة المذكورة كان وقفها آل طرّازي ورزق‌الله شقّال وميخائيل موصلّي[١] في سبيل البرّ . وجعلوا الولاية الشرعية عليهـا الفيكنت فيليب الموما اليه ولرزق‌الله شقال مدة حياتهما . وشرطوا ان يتولّاها بعد وفاتهما الأرشد فالأرشد من أُسرتي طرّازي وشقّال المشار اليهما الى ما شاء الله . بيد ان الفيكنت فيليب بعد ما انفق على الوقف المذكور مبالغ طائلة من جيبه الخاص مدة خمس وثلاثين سنة متوالية أَحبّ عربوناً لشديد غيرته على مصالح ملته وتفانيه في سبيل رقيّها الروحي والزمني ان يتنزل برضاه وملء اختياره عن ولايتهِ هذه الشرعية . وحين ذاك حوّل الوقف المذكور بصفة رسميَّة الى جمعية المساعي الخيرية السريانية . وقد كتب في هذا الصدد الى المقام البطريركي بتاريخ ٦ تموز ١٩٣٢ مشيراً الى هذا الامر بقوله :

« . . . اوضحتُ لغبطتكم اني توليت ادارة هذا العقار الموقوف معظمهُ مني ومن اخوتي منذ انشاء المقبرة سنة ١٨٨٥ بموجب حجة شرعيَّة . . .

---

١) بعد ما وقف المرحوم ميخائيل موصلّي حصّته في هذه البقعة الملاصقة للمقبرة ساءَت احواله المالية وخسر ثروته . فأدّى له الڤيكنت فيليب قيمة حصته واخذ منهُ في ذلك وصلًا رسمياً . وبدلًا من ان يسجّل الڤيكنت تلك الحصَّة باسمه اولًا ثم يحوّلها الى وقف أَشار على المرحوم ميخائيل المذكور ان يسجّلها رأساً باسم الوقف في المحكمة الشرعية اقتصادًا في نفقات الفراغ والانتقال . اما حصص الواقفين لهذه البقعة فكانت تتوزع كما يأتي : عشرة قراريط للفيكنت فيليب وستة قراريط لاخوته انطون وسليم وادوار وثمانية قراريط لرزق‌الله شقّال . فيكون مجموع الحصص الموقوفة اربعة وعشرين قيراطاً .

وبالحقيقة فان هذا الوقف كان وسيلةً بل وسيلةً كبرى في اوقات الشدائد والنكبات لايواء ابناء ملتنا المهاجرين الذين طردتهم تركيا من ولاياتها . وما هو اعظم من ذلك فانه كان اقوى ذريعة لاكتساب جمهور من اخوتنا اليعاقبة الذين اتحدوا معنا لائذين بكرسيّكم الانطاكي المقدّس. وهم ما برحوا يسكنون في تلك البقعة منذ احدى عشرة سنة بلا اجرة البتة . هكذا تحققت الاماني والآمال التي عقدت على انشاء هذا الوقف الذي عاد الآن بالخير والبركة روحيًا وماديًا على ملتنا السريانية وفقرائها واوقافها . قلنا احدى عشرة سنة لانه كما تعلمون ايها الحبر المغبوط لو اضطرّ اخوتنا هولاء المهاجرون ان يتخذ كلٌّ منهم غرفة لسكناه في المدينة اسوة بامثالهم لتعذَّر عليهم استئجار منزل باقل من ثلاث ليرات سورية شهريًا . فمذ حلولهم في هذه البقعة المعروفة رسميًا لدى الحكومة والمجلس البلدي باسم « حارة مار افرام » قد وفَّرنا عليهم — وكانوا تسعين عائلة — مبلغاً لا يقلّ عن خمسة وثلاثين الف ليرة سورية . وهو مبلغ لا يستهان به ».

ولدى تنزّل الفيكنت فيليب عن ولايتهِ هذه الشرعية تبرَّع بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ على الوقف المذكور بمبلغ مائتين وتسعٍ واربعين ليرة عثمانية ذهباً طبقاً لصكٍ رسمي . وقد سبقت الجمعية الخيرية فسجّلت له في السنة ١٩٢٦ مكرمةً ثانية لا تقل عن الاولى . فانها اثبتت في الصفحة التاسعة عشرة من برنامجها ما تبرَّع به عليها وقدره ١٢٨،٧٥٨ غرشاً لبنانيًا سوريًا.

ازاءَ هذه الحسنات الوافرة المتواترة يشق علينا جدًا أَنَّ فريقاً من أَعضاء جمعية المساعي الخيرية السريانية اعاروا آذانهم عن جهل او عن قلة رويَّة لسفسطات بعض ذوي الاغراض . فتسرعوا الى اتخاذ قرار لا يستند الى أَساسٍ راهنٍ وأَلبسوه غير ثوبه الحقيقي . ولو أَنصفوا لدرسوا قضيَّة الوقف المختلَف عليه درساً مدققاً كما يعلّمه العدل ويوحيه الوجدان الطاهر ويتطلّبه خير الجمعية التي سُلِمت اليهم أَقدارها . بل كان الاجدر بهم ان يقابلوا

صنيع الواقف الكريم ونيّته الصالحة وسعيه المشكور بالثناء والدعاء .

وناهيك ان الفيكنت فيليب لم يقف عند هذا الحد من الاجتهاد والجدّ . بل دَفعتهُ غيرتهُ الى ان ينهض عام ١٩٢٥ نهضة البطل في جمع الاموال الوافرة من سخاء رجالات الخير والاحسان في بيروت والقاهرة والاسكندرية وبغداد والبصرة واوربة واميركة . وخصّص ذلك لمشترى بقعة ارض جديدة تضم ابناء الملة الذين طردتهم تركية من بلادها منذ السنة ١٩٢١ وأقبلوا الى بيروت واستوطنوها . فقصد الفيكنت النشيط القطر المصري مسافرًا على نفقته الخاصة وجمع هناك مبلغاً من المال لهذه الغاية . ثم راسل باسمه اصدقاءه في المدن المذكورة وما عتم ان وردتهُ الاجوبة بالثناء والاجابة الى طلبته .

وبعد هذا فاوض الفيكنت فيليب صديقه الخواجا موصلّي واطلعهُ على مساعيه المذكورة . ثم سأله ان يجولا معاً في بيروت ويقصدا بيوتات التجارة والمصارف المالية ويستنديا اكف المحسنين لنجاح هذا المشروع . فحبّذ الخواجا نجيب فكرة صديقه وطافا كلاهما وجمعا في مدة وجيزة المبالغ المالية الكافية لمشترى بقعة الارض الواقعة جنوبي مستشفى « اوتيل ديو » البالغة مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع . ويحيط بهذه البقعة الجميلة الموقع والفسيحة الارجاء اربع طرق من جهاتها الاربع . وهي تشتمل على أغراس ليمون وعلى ناعورة غزيرة المياه يستقي منها جميع سكان تلك الناحية . وبعد ما تم مشترى البقعة المذكورة اخذ الفيكنت وحده يسعى في تنظيمها وتسويتها وتعميرها . وجمع فيها اكثر من مائة عائلة سريانية فقيرة كانت مشتتة في اكثر انحاء المدينة . وخصّص بكل منها بيتاً تسكنهُ دون اجرة . واصطنع عند هولاء الفقراء البائسين ما سبق فاصطنعهُ عند اخوانهم الذين أَسكنهم في «حارة مار افرام» على ما ذكرنا .

وكان الفيكنت فيليب يتفقدهم كل يوم صباحاً ومساء ويسأَل عن أَحوالهم ويبذل لهم الاحسان . وبلغت به شهامتهُ وأريحيته الى ان يستدعي شيوخهم الى منزله مرارًا لتناول الطعام على مائدته . وكان يستقبلهم بصدر

رحب ويتولى خدمتهم بنفسه ويبذل لهم النصائح ليجتذب قلوبهم ويوطّدهم في المبادىء القويمة . واضاف الى ذلك كله انه كان يشترك في افراحهم واتراحهم فيحضر عماد اطفالهم وأعراس شبّانهم وجنانيز موتاهم . وسعى ايضاً في ايجاد مصالح يرتزقون بها ويتكسَّبون معيشتهم ليعدلوا عن التسوُّل في الشوارع . على ان الفيكنت الغيور قام بذلك كله بهمة شريفة لم نعهدها حتى الآن باحد ابناء الملة على الاطلاق .

من ذلك كله يتضح جليًّا لكل ذي بصيرة وبصر أنَّ جمعية المساعي الخيرية لم تكن لها علاقة اصلًا بانشاء هذه الاوقاف والمشاريع التي قام بها آل طرَّازي ولاسيما سليلهم الفيكنت فيليب .

وفي هذا المقام لا نرى بدًّا من التنويه بان الجمعية الخيرية السريانية كان قد انفرط عقدها اثناء الحرب العظمى لدواعٍ شتّى . اما الفيكنت فيليب فانه أَبى الَّا ان يأخذ على عهدتهِ في تلك الاوقات العصيبة اغاثة فقراء ملته ومساعدة غيرهم من منكوبي سائر الملل والمذاهب . فأحرز ثناء الجميع حتى ان جريدة « المقتبس » الدمشقية لمؤسسها السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي كتبت في عددها ٢٥٠٢ الصادر بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٨ في مقالةٍ عنوانها «المحسنون» ما نصهُ :

« . . . وكالفيكنت فيليب دي طرَّازي في بيروت الذي لم يَدَع ستارًا في بيتهِ الّا وخاطهُ ألبسةً للمحتاجين . وهو قد جعل ديدنهُ صباح مساء ان يوزّع الخبز والطحين على معسري بلدته » .

وعرفاناً لمبرات هذا الشهم الكريم في ايام الحرب الكبرى قرَّظهُ ايضاً كثيرٌ من الرؤساء والشعراء فنفحوهُ بالرسائل البليغة والقصائد الرنانة . كاللغوي العلّامة الشيخ عبدالله البستاني والصحافي الشهير طانيوس عبده والاستاذين الياس بهنا وحنا زهيا وغيرهم من حملة الاقلام . واليك ابياتاً من قصيدةٍ نظمها فتحالله بك خياط السرياني وارسلها اليه من الاستانة قال :

يا مَن غدا حِرزي الحريزَ وعوذتي من فتنة الدُّنيا ومن عدوانها

ما انتَ للاوطان الّا قطبُها ورسول بعثتها ورفعة شأنها
إن رمتُ احصاء الرجال بربعها ما كنتَ الاَّ العينَ من اعيانها
أوليتَ بيروت النصيرة بهجةً منَّتْ بها عطفاً على لبنانها
اني لاشكر من جميلك أنعماً قد نلتها حاشاي من نكرانها
كم من يدٍ لك في السخاء ومنحةٍ تستغرق العافين في طُوفانها
تلك اليد البيضاء ما شمنا يدًا لا في سماحتها ولا إحسانها
نُشرتْ لنعماك الصحائف في الورى فقرأتُ سطر الحمد من عنوانها
فاسلمْ ودُمْ سورًا لسوريا وسُدْ ما دامت الدنيا على أركانها

ونختم هذا الفصل بذكر مأثرة جليلة للفيكنت فيليب المشار اليه . وهي انه جرّد همته لانشاء محلّة يأوي اليها العمّال من ابناء الطائفة الذين تساعدهم احوالهم المالية على تعمير بيوت لسكناهم توفيرًا لراحتهم وضماناً لمستقبلهم . وقد عالج هذه الفكرة زماناً وعجمها حتى وقع اختيارهُ على الاراضي الواقعة شرقي « اوتيل ديو » والقريبة من سائر اوقاف الجمعية الخيرية ومن الصرح البطريركي السرياني . ثم قصد السيد البطريرك وفاوضهُ في الامر . فأعجب صاحب الغبطة بهذا الرأي المصيب وأثنى على الفيكنت النجيب[1] واشترى البقعة المذكورة التي أصبحت مسكناً لعددٍ غير يسير من ابناء الملة . وما برح هولاء جميعاً يطلقون الالسنة بالادعية الحميمة لمن اصطنع عندهم هذا الصنع الجميل .

والخلاصة ان الفيكنت فيليب دي طرّازي صرف اقوالهُ واعمالهُ واموالهُ في تعزيز كنيسة بيروت وجمعيتها الخيرية منذ نشأتها حتى اليوم . ولم يضنّ عليها بكتاباته ومساعيه وبنات افكاره ايضاً . بل نشر المقالات وألف التواريخ والقى الخطب ونظم القصائد ورتب الحفلات وسهر الليالي وعانى الاسفار حبًّا لرقي ملته واعلاء شأنها في هذه الديار .

---

(١) يؤيد ذلك رقيم بطريركي انفذه صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل الاول من حلب بتاريخ ٩ نيسان ١٩٣٠ الى الفيكنت فيليب دي طرّازي في بيروت .

الفصل السادس

آل طرازي والمقبرة السريانية في بيروت

كما ان السريان لم يكن لهم كنيسة في بيروت يؤدّون فيها فروضهم الدينيّة كانوا ايضاً لا يملكون مقبرة لدفن موتاهم . وكان الآباء الكبوشيون يرخّصون لهم ان يدفنوا امواتهم في مقبرة اللاتين بشرط ان لا يبنوا فوق مدافنهم اضرحة حجرية كاضرحة اموات الملة اللاتينية . وكان آل طرازي يؤدون للآباء الكبوشيّين بدلًا من ذلك مبلغاً من المال سنويّاً اعراباً عن معرفة الجميل كما يتضح ذلك من الوصولات المحفوظة حتى الآن وهي موقعة بخط يد رئيس الكبوشيين ومذيلة بختم ديرهم .

وما كاد يشيّد السريان كنيستهم الكاتدرائية عام ١٨٨٣ حتى وافى الاب الكبوشي اندراوس الكبير[1] لزيارة الكنت نصرالله دي طرّازي في منزله . وبعد التحيات والمجاملات المألوفة أبلغهُ أنَّ مقبرة اللاتين اصبحت ضيّقة عن استيعاب موتى هذه الملّة فضلًا عن اموات غيرها من الملل . ثم رغب اليه ان يسعى في مشترى مقبرة خاصّة بالملّة السريانيَّة التي كانت تنمو في ذاك العهد نموًّا محسوساً . فقابلهُ الكنت على ذلك بالشكر ووعدهُ بصرف الجهود التامّة لاجابة رغائبهِ ورفع الثقلة عن الملة اللاتينيَّة .

وعلى اثر تلك الزيارة قرّر الكنت طرّازي وجوب استقلال السريان بمقبرتهم مثلما استقلوا بكنيستهم . فاستدعى حالًا السمسار نقولا بن جرجس بن مرعب الشنتيري وفوَّض اليهِ ان يشتري من مشايخ آل بليبل بستاناً واقعاً على

---

١) كان في دير الآباء الكبوشيين ببيروت راهبان يدعيان باسمٍ واحدٍ وهما : الاب اندراوس الكبير والاب اندراوس الصغير . وسبب تلقيبهما بالكبير والصغير تمييزًا لاحدهما عن الآخر هو ان اولهما كان طويل القامة سمين البدن بعكس ثانيهما الذي كان قصير القامة نحيف الجسم .

طريق الشام جنوبي مقابر اليهود والبروتستانت . ولم تنقض ثلاثة ايام على ذلك حتى جرت رسمياً معاملات البيع والشراء وتمت في المحكمة الشرعية بتاريخ ٦ جمادى الاولى ١٣٠٠ هجرية (١٥ اذار ١٨٨٣ ميلادية) . وتبرع بدفع الثمن مثالثةً كلٌّ من آل طرّازي وشمّال وموصلّي . ومن شاء زيادة ايضاح عن تاريخ مشترى هذا البستان وكيفية تحويله الى وقفٍ مؤبد من وليّه الشرعي الفيكنت فيليب دي طرّازي الى « جمعية المساعي الخيرية السريانيَّة » عليه ان يراجع ما كتبناهُ بهذا الشأن في الفصل السابق .

وبعد مشترى البستان طرأت مصاعب جمة حالت دون إحداث مقبرة جديدة للسريان في بيروت . فأخذ آل طرّازي يعالجون هذه القضية بالفطنة والنشاط والصبر حتى فازوا برغبتهم . على ان القرار في احداث مقبرة جديدة كان يعود الى مرجعين رسميين : اولًا الى محكمة الاستئناف وعلى رأسها القاضي العادل اسمعيل رامز بك نائب الشرع الشريف . ثانياً الى مجلس بلدية بيروت وعلى رأسه الحاج محيي الدين حماده ابن السيّد الشهير عبد الفتّاح حماده . وكان الرئيسان كلاهما من اعزّ اصدقاء آل طرّازي لا يتقاعسان عن تسهيل مصالحهم . فعرض آل طرّازي عليهما مشكلة المقبرة المشار اليها وطلبوا اليهما بالحاح ان يحلّاها بطريقة لا ينجم عنها اجحاف بملّتهم . فاوعز اليهم الرئيسان ان يتربَّص السريان عن دفن موتاهم بصورة علنيّة في البستان برهة من الزمان . واشارا ان يُدفن فيه عددٌ وافرٌ من الفقراء سرًّا تحت جناح الليل . وقرّرا انه حينما يتم ذلك يبادر آل طرّازي الى الحكومة طالبين اليها ان تستعرف تلك المقبرة القديمة العهد رسمياً وترخص في تسويرها حرمةً للموتى وصيانةً للصحة العمومية .

فاستحسن آل طرّازي رأي القاضي ورئيس البلدية ونفّذوه بتمامه . غير انه تعذّر عليهم ايجاد عددٍ وافر من الموتى الفقراء في ملّتهم السريانية التي كانت صغيرة في ذلك العهد بالنسبة الى سائر الملل . اذ لم يكن يتجاوز عدد موتاهم الفقراء ثلاثة او اربعة انفار في السنة . فلجأوا اذ ذاك الى

وسيلة اخرى لبلوغ امنيتهم باسرع ما يكون من الزمان. وهي انهم فاوضوا في هـذا الامر كاهناً مارونياً يسمّى الخوري جبرائيل ملحمه[1] الذي كان مؤسساً ومرشدًا لجمعيَّة دفن الموتى المـارونيّة . ثم اتفقوا معه على ان ينقل الى المقبرة السريانية جميع الموتى الفقراء والغرباء من ابنـاء الملة المارونية . وتكفلوا لهُ بتأدية جميع ما ينفق في هذا السبيل من جيبهم الخاصّ . فقام الخوري جبرائيل بهذه المهمَّة خير قيام ودفن في المقبرة السريانيّة اثنين وثمانين فقيرًا مارونياً في مدة السنتين ١٨٨٦ و١٨٨٧ .

وكان الخوري جبرائيل ملحمه يتقاضى اربعة ريالات مجيدية أعني ثمانين غرشاً ذهباً عن كل دفنة متكفلًا باجرة الحفّارين وحاملي الصليب والتابوت . يُضاف الى ذلك ربع ريال مجيدي اجرة سائس للحمار الذي كان يركبهُ هو نظرًا لشيخوخته وهو راجع من الدفن الى بيته . وكان القوم يمتطون في تلك الايام الخيل والجحاش . ذلك قبل انتشار العربات والسيارات كما هو جارٍ في عهدنا الحاضر .

على ان آل طرّازي لما رأوا ان عدد الاموات الذين دُفنوا في مقبرتهم اصبح كافياً لاستعرافها رسمياً طلبوا من المرجعين المارّ ذكرهما اصدار القرار بذلك فنجحوا في مسعاهم . وبعـد حصولهم على القرار من محكمة الاستئناف ومجلس البلديـة أيدوه ايضاً في مجلس الادارة عام ١٨٨٨ مذيلًا بختم علي باشا والي الولاية .

واول عمل أجراه آل طرّازي بعـد الفراغ من المعاملات الرسميّة انهم

---

١) كان هذا الكاهن الجليل يُعرف لدى العامّة بالخوري جبرائيـل ابي شلحى . وسبب نعته بهذا اللقب أن جده جبور ملحمه كان يُعدّ من ابطال عصره . وكانت جريدته دون جريد سائر الفرسان تحلّق فوق قلعة جبيل كما روى لنا احد شيوخ بيروت نقـلًا عن لسان أجداده . وكان سيف جبور بتّارًا يُضرَب به المثـل حتى صار الفرسان يعيّر بعضهم بعضاً بهذه العبارة : « هل سيفك أمضى من سيف ابي شلحى ؟ » ومن ذاك العهـد تغلّب لقب « ابي شلحى » على جبّور وعلى سلالته التي تفردت بـه دون سائر افراد اسرة ملحمة .

اهتموا بتسوير المقبرة من اطرافها الاربعة . ثم عني احدهم الفيكنت فيليب بتخطيطها وتنظيم طرقها وغرس اشجارها وجلب المياه اليها كي تكون لائقة بسكّانها الراقدين بالرب . وكان يتعهدها يومياً بلا انقطاع وينفق من جيبه للمحافظة عليها . اما بعض الذين أُدرجت تراجمهم ورسومهم في « الذكرى الذهبيّة » وكان هذا الامر من اختصاصاتهم فقلّ ما اكترثوا للمقبرة سواء عمرت ام خربت .

وقد نظم الفيكنت فيليب جميع الابيات التاريخيّة المنقوشة على أَضرحة المقبرة بلا استثناء ما عدا ضريح اسرته الخاص . فان التاريخين المنقوشين عليه جنوباً وشمالاً هما من نظم العلّامة الشيخ ابراهيم الحوراني . وقد اشار هذا الشيخ في ابياته المحفورة في ناحية الضريح الجنوبيَّة الى مبرّات الكنت نصر الله والى شعار[1] آل طرّازي وهو : تاج الحكمة مخافة الرب (ابن سيراخ ١ : ٢٢) قال :

يا ساكن الرمس والآثار شاهدةٌ   بكلّ ما شِدتَ من مجدٍ وإعزازِ
قد كنتَ في الناس ممتازًا بكلّ عُلًى   وانت في فعل خيرٍ خيرُ ممتازِ
غزوتَ بالجود فينا كلَّ نائبةٍ   فنِلتَ اكليل نصرٍ ايّها الغازي
مخافة الرب تاج الحكمة ارتسمتْ   في لوح صدرك حِرزًا فوق أَحرازِ
فأَنشدت أَلسنُ الاقوام خاشعةً   على ضريحك تكرارًا بايجازِ
يا ديمة الرحمةِ العظمى مؤرَّخةً   أَمي ثرَى الكنتِ نصرالله طرّازي

١٨٩٥

اما ابيات الشيخ الحوراني المنقوشة على الضريح المشار اليه في الناحية الشماليّة فهي :

هذا مقام الكُنت طرّازي الذي   في جنّةِ الرضوانِ أَدرك ما قَصَدْ
حملتْهُ من دار الفناءِ ملائكٌ   علويّةٌ قصدتْ به عَرشَ الصَّمَدْ

---

[1] تيمَّنت الاسرة الطرّازية بهذا الشعار منذ القرن الثامن عشر . ثم أَيَّده البابا لاون الثالث عشر عندما منح عميدها نصرالله لقب « كُنْتْ روماني » عام ١٨٩٤

فالروحُ عنـد اللهِ لكن رَمْسُهُ　يُسقَى بدمع الحزنِ ما طال الأمدْ
فاذا مررتَ بـهِ فقِفْ متخشّعاً　وقل السلامُ على الذي فيه رَقـدْ
هُنئتَ نصرَاللهِ بالصَّرح الـذي　شيَّدتَـهُ للنفسِ في دار الأَبَدْ
وعليكَ خيرُ تحيّةٍ مـا أرَّخوا　وعلى ضريحك رحمةُ الحيّ الأحدْ

١٨٩٥

الفصل السابع

آل طرّازي وأقدم المدارس السريانيـة في بيروت

تأسّست اقـدم مدرسة سريانية في بيروت عام ١٨٢١ بهمّة السيّد كورلس انطون دياربكرلي مطران هذه المدينة . وتعهـد المقدسي انطون طرّازي بدفع اجرة مكانها السنوية تسهيلًا لنجاحها واسعافاً لمنشئها . وكانت تلك المدرسة واقعة في محـلة « الكراويا[1] » كما ورد في الصفحة ٤٠٤ من كتاب « السلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيات السريانية » . ويستخلص من الوثائق الخطيّة المصونة لدى آل طرّازي أن سليلهم نصرالله وشقيقهُ نعمةالله تلقنا فيها مبادئ العلوم . وقد استغرق عمرها عشرين حولًا ولم تقفل ابوابها الّا بوفاة منشئها عام ١٨٤١ .

١) كانت محلّة « الكراويا » تشتمل في ذلك العهد على البقعة الممتدة الآن من شارع الامير بشير شمالًا الى شارع ناصيف اليازجي جنوباً ومن شارع الشام شرقاً الى شارع سوريا غرباً . وهي اول محلة تناولها العمران خارج سور بيروت بعد ما ضـاقت المدينة العتيقة عن استيعاب سكانها . واصبحت محلة «الكراويا» هذه حافلة بمنازل الاعيان لتوفر مياهها دون سائر انحاء بيروت . لان مياه راس النبع كانت متصلة بها فكانت توزع على البيوت والمعابد والحمّامات والسُّبل العامة الخ . ذلك ما حمل راهبات المحبة وجميع الملل المسيحية وغير المسيحية على تشييد الاديار والكنائس والجوامـع في « الكراويا » وفي الاراضي المجاورة لها ضمن السور . وابثت هذه المحلة لا تنازعها محـلة اخرى حتى جُرت مياه نهر الكلب عام ١٨٧٤ الى بيروت . فكان ذلك من اقوى الدواعي لاتساع نطـاق هذه المدينة وانتشار العمران في جميع انحائها الواقعة خارج السور .

اما المدرسة الثانية فقد أنشأها عام ١٨٥٣ المطران ديونوسيوس يوسف سمنه بتنشيط المقدسي انطون طرّازي المشار اليه ومساعدته . فعاشت ستة اعوام فقط كما أيد ذلك صاحب « السلاسل التاريخيّة » في الصفحة ٢٣٧ .

وظلّت مدينة بيروت الى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر لا تحتوي الّا على كتاتيب يتلقى فيها صغار الاولاد العلوم الابتدائيّة . واول من برّز في انشاء مدرسة نظاميَّة للعلوم العالية واللغات العصرية كان المعلم بطرس البستاني صاحب « المدرسة الوطنيّة » عام ١٨٦٣ . وفي تلك السنة عينها أُنشئت مدرسة « الثلاثة الاقمار » للملة الارثذكسيَّة . ثم ابتنى البطريرك غريغوريوس الاول عام ١٨٦٥ مدرسته البطريركيّة . وفي السنة ١٨٦٦ أَسس المرسلون الاميركيون الكليَّة السورية الانجيليَّة التي تعرف اليوم باسم « الجامعة الاميركيَّة » .

على ان السريان بالرغم من قلة عددهم لم يَرَوا ان يتخلَّفوا في تلك الحقبة عن سائر الملل في تأسيس مدرسة عصرية لتهذيب الناشئة البيروتية . ولاسيما لانهُ كان يتولى خدمتهم الروحيَّة في ذلك العهد كاهنان من اجلّ كهنة الشرق ثقافةً وعلماً وفضلًا : احدهما الخورفسقفوس يوحنا معمارباشي كاتم اسرار البطريركين اغناطيوس انطون الاول واغناطيوس فيلبُّس الاول . والآخر القس لويس صابونجي تلميذ مدرسة بروبغندا في رومة صاحب التصانيف المشهورة والمواقف المأثورة . فهذان الابوان بعد ما فاوضا كبير اعيان الملة الكنت نصرالله دي طرّازي واستطلعا رأيه في هذا الشأن قرّر ثلاثتهم انشاء مدرسة نظاميَّة تُعدّ ثالثة المدارس التي اقامها السريان في بيروت في القرن التاسع عشر . وجعلوا تدريس اللغات العربيَّة والسريانيَّة والفرنسيَّة اجبارياً واللغات اللاتينيّة والايطاليَّة والانكليزية والتركيَّة اختيارياً .

وكان الكنت نصرالله دي طرّازي اعظم مساعد لهذين الكاهنين قولًا وعملًا . فانه خصَّص بها على نفقته داراً لسكناهما ومكاناً فسيحاً

للمدرسة مجاورًا لداره في محلة خندق الغميق . وراح يحث جميع اصدقائه على ارسال اولادهم لاقتباس المعارف في هذا المكتب الجديد . وقد جرى افتتاحه بتاريخ ١ تشرين الاول ١٨٦٥ والقى القس لويس في قاعته خطاب الترحيب مشفوعاً بقصيدة عصماء من نظمه .

واشتهرت هذه المدرسة لدى الخاص والعام بمن تخرَّج فيها من العلماء والاعيان وحملة الاقلام . نخصّ منهم بالذكر : الكنت انطون ابن الكنت نصرالله دي طرّازي وشقيقه سليم . وانطون بك شحيبر رئيس شركة مار منصور دي پول الخيرية ورئيس محكمة تجارة بيروت سابقاً . ونجيب بك بولس طراد ترجمان قنصلية ايران سابقاً . وسليم شلفون من قدماء محرّري الصحف في بيروت والاسكندرية. ونذكر منهم ايضاً صبحي بك وشوكت بك وحشمت بك انجال كامل باشا متصرّف بيروت الذي صار بعد ذلك صدرًا اعظم في دار الخلافة العثمانيَّة . وتخرَّج فيها عددٌ وافر من الطلبة غير من ذكرنا لا يتسع المجال لسرد اسمائهم .

واستمرَّت علائق الولاء والوفاء غير منفصمة بين الاستاذ صابونجي وطلبته على رغم تشتتهم في مختلف البلدان . فكان يحنّ اليهم ويراسلهم ويراسلونهُ كما يتضح ذلك من قصيدةٍ نظمها لتلميذهِ القديم الكنت انطون دي طرازي عام ١٨٩٤ وأَرسلها اليه من جزيرة الامراء قال في مطلعها :

الشوق مني أَمَّ دارك قاصدًا | والى حماك سعى قريضي وافدًا
من مشرق البُسفور أُقرئك الثنا | متذكّرًا ذاك الزمانَ البائدا
زَمَنٌ ببيروت الفتاةِ قضيتُهُ | هيهاتِ ننظرهُ الينا عائدا
زَمنٌ لـهُ في مُهجتي أسفٌ على | مَن بات في حلك المقابر راقدا
زَمَنٌ عرفتُ بهِ افاضلَ بلدةٍ | أَعتدُّهم في المكرُماتِ فراقدا
زَمنٌ يذكّرني بأُسرتك التي | أَلفيتُ فيها الكلَّ شهماً ماجدا
لا شيء يُنسيني تلامذتي الأُلى | كُنتَ المجلّي بينهم والسائدا



الكنت انطون دي طرّازي

١٨٥٧ — ١٩٠٠

أَحرزتَ ناصيةَ الذكا والنُّبل بل   فيهم سموتَ فضيلةً ومقاصدا
حقّقتَ آمالي فقلبي اليومَ من   طربٍ وإِسعادٍ غدا متمايدًا . . .

وواصلت هذه المدرسة تعليم اللغات والقاء الدروس على طلبتها الكثيرين مدة سبعة اعوام: ولم تقفل ابوابها الا عندما باشر القس لويس صابونجي في ١٣ آب ١٨٧١ رحلتهُ الشهيرة حول الكرة الارضيَّة. وهو اول رحَّالة من آل سام بن نوح أُتيح له هذا الطواف فأنشد فيه الابيات الآتية:

اني انطلقتُ أَجوب انحاءَ الورى   متفقّدًا اهلَ البسيطةِ ناقدا
سافرتُ مغترباً وشهرةُ جولتي   غنّتْ بها أَهلُ البلادِ نشائدا
ما طاف من أبناءِ سامٍ طائفٌ   قبلي ولا مثلي أَجاد وشاهدًا
في الخافقَين رحلتُ رحلةَ عالمٍ   يجلو الغوامض راشدًا لا شاردًا
جُبتُ البلاد سهولَها وجبالَها   وبها شهدتُ محافلًا وموائدًا
وطرقت أسواق المدائن كلّها   ما كان منها رائجًا او كاسدًا
قابلتُ من بعض الشعوب ملوكها   وحضرت في أقصى الجهات مَشاهدًا
جالستُ أَقطاب المذاهب باحثاً   فعرفتُ أَسرارًا لهم وعقائدًا
ولذا تحرَّيتُ الكنائس جلَّها   فصوامعاً فمعابدًا فمساجدًا
كيفَ اتّجهتُ من الصباح الى المسا   كان الالهُ مساندًا ومساعدًا
سُمّيتُ في عرف الملا جوّالةً   جوّابةً في كل قطر رائدًا
لما انتهيتُ كتبتُ قصّة رحلةٍ   فيها نشرتُ من الرسوم قلائدًا
اني بعثتُ بنسخةٍ منها لكي   تبقى وقائعها لديك[1] شواهدًا

١) اشار الناظم هنا الى الكنت انطون دي طرازي الذي اليه ارسل هذه القصيدة .

الفصل الثامن

آل طرّازي ومجلّة «النحلة» والمطبعة السريانية في بيروت

برّز القس لويس صابونجي بين علماء عصره بمعرفة أهمّ اللغات الشرقيــة والغربيّة . وامتاز باستقلال الفكر وحبّ التجــدّد وتنشيط الفنون وبعض الاختراعات التي تنطق بذكائه وطول باعه[1] . وقد اتضح له ان أنجع طريقة بعد المدارس لترقية الشرق هي تعزيز الصحافة التي كانت حين ذاك في اول عهد تكوينها . فانشأ بتاريخ ١١ ايار ١٨٧٠ مجلّــة « النحلة » التي أحرزت مقاماً رفيعاً في عالم الادب لوفرة أبحاثها وشهرة مؤسسها العلّامة.

ولما كان هذا المشروع لا ينهض الا بالمال فقد اعتمد القس لويس على صديقــه الكنت نصرالله دي طرّازي في تحقيق أمنيّتــهِ . فلبى الكنت رغبتهُ وأمدّهُ لساعتهِ برأس مالٍ كافٍ لما عهدهُ فيه من الكفاءة الصحافية والحميّة على نشر العلم . على ان مساعدة الكنت المادية لمنشىء « النحلة » لم تكن باقلّ من مساعدته الادبية . فانه بذل الجهود في نشر تلك المجلة بين أعيان البلاد الشرقيّة وتجّارها وأدبائها . وصرف المساعي في ترويجهــا ايضاً في كثيرٍ من أنحاء اوربة بواسطة شقيقيه نعمة الله طرّازي في مرسيليا وفتح‌الله طرّازي في منشستر.

أوجزنا الكلام عن مجــلة « النحلة » والآن نتطرّق الى ذكر المطبعــة السريانيّة في عاصمة الجمهورية اللبنانيّة فنقول :

لما ارتقى البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني الى السدّة الانطاكيّة سنة ١٨٩٨ وقرّر الاقامة في بيروت أراد ان ينصرف الى نشر المعارف وتعزيز الآداب الآراميّة . فرأى ان افضل وسيلة لتحقيق هذه الفكرة هو تأسيس

---

١) راجع ترجمته في « تاريخ الصحافة العربية » للفيكنت فيليب دي طرازي مجلد ٢ : صفحة ٧١–٨١ وطالع اخبار مجلته « النحلة » في الصفحــة ٤٧ الى ٥١ من الكتاب عينه .

مطبعة ينشر فيها المؤلفات العائدة بالفائدة على الملّة السريانيّة . وكان انشاء المطابع في عهد الدولة العثمانيَّة لا يتمّ الا برخصةٍ رسميةٍ من البـاب العالي بعد اجراء المعاملات القانونيّة في مركز الولاية اولًا ثم في عاصمة السلطنة .

فبعد التفكير رأى السيّد البطريرك الموما اليه انّ الرجل الوحيد الذي يُستطاع التعويل عليه في تأدية هذه الخدمـة العلميّة هو الفيكنت فيليب دي طرَّازي . ذلك نظرًا لثقافته العالية ووجاهته عند النـاس وغيرته على الملة وصداقته مع الحكَّام . فطلب منه ان يسعى في نيل الامتياز بمطبعةٍ يُطلق عليها اسم « المطبعة السريانيَّة » للغاية الآنفة الذكر .

فما كان من الفيكنت الا أن أجـاب بكل رضى الى رغبة السيـد البطريرك ورفع استدعاءً في ١٩ تموز ١٨٩٦ الى وزارة الداخليّة يطلب فيه امتيـازًا سلطانيًّا بالمطبعة المذكورة . ولم ينقضِ الشهران على تقديم هـذا الاستدعاء حتى وردت براءة الامتيـاز على يد رشيد بك والي بيروت . وبعد تهيئة اكثر الموادّ الـلازمة لمباشرة الاشغال رأى السيّـد البطريرك والفيكنت ان الحكمة تقضي بالتربّص عن اخراج هذا المشروع الى حيز العمل . خصوصاً لان ارباب المطابع كانوا يعانون حين ذاك المصاعب الكثيرة بداعي المراقبة الشديدة على المطبوعات في الدولة العثمانية .

وبعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ في اواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني تبدّلت الاحوال وأُطلقت الحرية للمطبوعات . فصرف السيّد البطريرك نظرهُ عن مطبعة بيروت وحصر اهتمامَهُ في تعزيز مطبعة دير الشرفة وتحسينها وتوسيع نطاقها . ثم اضاف اليها آلتين للطباعة مع حروفٍ جديدةٍ سريانية وعربية وافرنجية . وظلّ ينشر فيها كتباً ذات شأن في اللغات المـذكورة حتى السنة ١٩٢٥ . فأنشأ مطبعةً جديدةً في بيروت وجعل مركزهـا في دارٍ اشتراها بجوار كنيسة مار جرجس . وفي هـذه المطبعة نشر مجلّتـه البطريركيّة المعروفة بعنوان « الآثار الشرقيَّـة » التي عاشت اربع سنوات وتوارت بعد وفاته رحمه الله تعالى .

القسم الثاني

آل طرّازي واحبار الملة السريانية



الفصل الاول

آل طرّازي وضيافتهم لاحبار ملّتهم

امتاز آل طرّازي منذ قديم الزمان بعواطف الاحترام ووافر الاجلال لاحبار ملتهم السريانيّة . وبذلوا في سبيل تعزيز مقامهم لدى الخاصّ والعامّ كل ما امكنهم من النفوذ والجهود والتضحيات . وقد تشرّبوا هذا الروح الطيّب من والدة جدّهم الياس طرازي (١٧١٥ـ١٧٩٢) بن بطرس طرازي الثاني . اعني بها السيّدة مرْوم ابنة القس شكرالله نشاد وخالة السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) البطريرك الانطاكي (١٧٨٢ـ ١٨٠٠) . وهذه صلات القربى المتينة وثّقت عرى الالفة والصداقة بين أُسرتي طرّازي وجروة النبيلتين والكريتي المحتد . وحملت الياس طرّازي المومأ اليه على بذل النفس والنفيس لابن خالته البطريرك ميخائيل المغبوط في مشاريعه العظيمة وملمّاته الوافرة التي يعرفها كلٌّ من له المام باخبار الملة السريانيّة الكاثوليكيّة . وقد اتصل بالحبر الاعظم البابا بيوس السادس (١٧٧٥ـ١٧٩٩) خبر تلك العوارف المشهورة فأنعم في ٢٨ آب ١٧٨٥ على مصطنعها الياس المشار اليهِ بنوط «المهماز الذهبيّ» مكافأة لـهُ على غيرتهِ

النادرة ومزاياهُ الفريدة . وما برحت براءة ذلك النوط الشريفة مصونةً حتى اليوم عند سلالتهِ كذخيرة ثمينة . وفيها يصف خليفة مار بطرس ذلك الرجل « بالمحسن الوافر السخاء لكنيسته والجندي الباسل المتطوّع لحراثة كرم الربّ وخدمة الاعمال الصالحة منذ حداثتهِ » .

وقد ورث آل طرّازي تلك العواطف الشريفة والعوارف الحسنة خلفاً عن سلف حتى تجلّت باعظم مظاهرها في جدّهم انطون الذي نزح الى بيروت كما ذكرنا آنفاً . فانه جعل منزله فيها محطّاً لرحال البطاركة والاساقفة منذ السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الرابع (١٨٠٢ــ١٨١٠) خليفة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) الى البطريرك مار اغناطيوس سمعان الثاني (١٨١٤ــ١٨١٨) الى البطريرك مار اغناطيوس بطرس السادس (١٨٢٠ــ١٨٥١) الى البطريرك مار اغناطيوس انطون الاوّل (١٨٥٣ــ١٨٦٤) الى البطريرك مار اغناطيوس فيلبُّس الاول (١٨٦٦ــ١٨٧٤) الى البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤ــ١٨٩١) الى البطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣ــ١٨٩٧) الى البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ــ١٩٢٩) . ذلك كلّ مرّةٍ يمّموا بيروت غادين ورائحين وانطلقوا الى دير الشرفة او الى عاصمة الكثلكة او الى عاصمة السلطنة او الى بلاد اوربة . وكثيراً ما صادف ان البطريرك الانطاكي وجميع مطارنته مع حاشيتهم [1] حلّوا ضيوفاً أعزّاء في وقتٍ واحد على آل طرّازي كما جرى الامر

---

١) عثرنا في الجزء الرابع من « العقد الثمين » على رسالة رقيقة للشمّاس دانيال الموصليّ الذي ارتقى الى الكرامة الاسقفية باسم قرلّس بولس دانيال (١٨٩٤-١٩١٦) على دارا شرفاً . وقد وجّهها بتاريخ ١١ شباط ١٨٥٤ من دير الشرفة الى انطون طرازي يشكر له ضيافته . وكان هذا الشماس قائماً بخدمة البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول اثناء حلوله في دار آل طرّازي قال :

« . . . وصلنا الى دير الشرفة يوم السبت صحبة غبطة السيد البطريرك الجزيل الطوبى والسيد يعقوب (حلياني) المحترم بالخير والسلامة . وما صعب علينا سوى فراقكم العزيز . نسأله تعالى ان يمنّ علينا بمشاهدة حضرتكم وانتم موجودون بكامل الافراح

لدى انعقاد المجامع الطائفيّة في دير الشرفة عام ١٨٥٣ و١٨٧٤ و١٨٨٨ ومجمع حلب عام ١٨٦٦ والمجمع الواتيكاني عام ١٨٧٠ الخ الخ . وكانت السيّدة كاترين[1] تضاهي زوجها انطون طرازي بكرمها ولا تقلّ عنه تأهيلًا باولئك الائمة اثناء اقامتهم في دارهما على الرحب والسعة.

ويطول بنا المجال لو رمنا ان نسرد ههنا اسماء سائر احبار الطائفة السريانيَّة الطيبي الذكر الذين يربو عددهم على العشرين وقد حلّوا ضيوفاً في تلك الدار المباركة في ازمنة مختلفة . نذكر منهم : السادات كوارتس انطون الدياربكرلي . ويوليوس انطون الدياربكرلي . وديونوسيوس ميخائيل هدايا . وكوارتس يوسف حائك . وديونوسيوس يوسف سمنة . واقليميس بولس صعب . وايونّيس متى نقّار . وغريغوريوس يعقوب حلياني . وفلبيانس بطرس متاح . واثناسيوس رافائيل جرخي . وايونّيس ايليا عتمة . واوسطاثيوس افرام تكمجي . وغريغوريوس جرجس شاهين . ويعقوب متى احمردقنه . واقليميس يوسف داود . وثئوفيلس انطون قندلفت . ويوليوس باسيل قندلفت . وماروثا بطرس طوبال . وقرلس بولس دانيال . وغريغوريوس عبد الله سطّوف الخ الخ . وهذه رسائلهم التي ضمّنوها آيات الشكر والثناء وانفذوها بخطوط أيديهم الى عميد الاسرة الطرّازية وانجاله واحفاده من بعده هي أقوى برهان على ما نقوله . وما برحت تلك الرسائل محفوظة بكل اجلال في خزائن تلك الاسرة الكريمة اعني لدى الفيكنت فيليب دي طرازي . وهي تحتوي كما قلنا غير مرة على احد عشر مجلداً ضخماً عنوانها : « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » .

ويسمعنا عنكم اخبار الفرح والسرور التي تبهجنا . فحينما نتذكّر محبتكم ومودتكم ولطفكم وأُنسكم وافضالكم علينا في هذه المدَّة التي استقمناها عندكم نسأل الله ان يعوّض عليكم عوض الواحد مئة . وتنالون منه المكافأة عنّا روحياً وجسدياً وتكون داركم عامرة وتسكنون فيها بالفرح والسرور طول ايام حياتكم . . . »

١) راجع ما كتبناه عن هذه السيدة الفاضلة في صدر الفصل الثالث من القسم الاول تحت عنوان « آل طرّزاي وبناء كنيسة بيروت وقلّايتها »



الكنت نصر الله دي طرّازي

١٨٢٢ — ١٨٩٥

ففي تلك المجلّدات التاريخيَّة الضخمة يرى القارئ الوفاً من رسائل البطاركة والمطارنة والكهنة والاعيان . وكلها تشتمل على مدح الاسرة الطرَّازية والاقرار بمآتيها المشكورة في سبيل الامة السريانيَّة لا في بيروت فحسبُ بل في جميع الابرشيَّات . والى القارئ اللبيب نتفاً من الاوصاف التي اطلقها اولئك الاحبار النبلاء في رسائلهم على عميد آل طرّازي الكنت نصرالله الخالد الاثر . فقد سمّوهُ بكل عدلٍ واستحقاق : « شيخ الطائفة السريانيَّة وكبير اعيانها وعمادها — مصباح الطائفة المنير في الآفاق الشامية — الرجل المنقطع النظير والمحلّى بفرائد الاوصاف — رأس الطائفة السريانية في بيروت وفي كل موضع — فخر الطائفة السريانية بأسرها بل فخر النصرانية قاطبةً — المولى الجليل رفعةً وقدرًا — المفطور على الشيم الكريمة النادرة الوجود — صاحب الفضل المندفق المغرّق — صاحب اليد البيضاء التي تعلو على كل يد — ذا النفس المشهورة بالسخاء والمروءة والوفاء والبرّ والاحسان — ذا النفس النجيبة الجليلة التي فاقت الاولين والآخرين في الجود والكرم ممَّا لم يُسمع مثلهُ في الاخبار ولا قرأ احدٌ مثالهُ في الاسفار — مَن حبُّهُ وكرمهُ قد استعبد القلوب والنفوس — مَن بلغ كرمُهُ حدًّا يقف دونهُ كلُّ وصفٍ — المميّز بمحامد ومكارم لم يسخُ الله بها الا على من حكمَ بتشريفهم على عامة الخلق في أعلى طبقة — الدرّة اللامعة في هامة الطائفة السريانيّة الخ الخ .

وكانت منزلة الكونتس منة كمنزلة قرينها الكنت نصرالله في عيون أَحبار الملّة السريانية . فانها كانت في ضيافتها لهم تعتني عنايةً وافرة بشؤونهم وتسهر على راحتهم سهر الابنة الوفية على راحة والديها متفنّنة في تأدية فروض الضيافة وضروب اللياقة لهم بما فُطرت عليه من السخاء واللطف والمناقب الفريدة . ولذلك نرى جميع الرسائل التي وجّهها اولئك الاحبار الى الاسرة الطرّازية طافحةً بعبارات الثناء وعواطف الاجلال والشكر لهذه الكونتس الفاضلة . وعلى سبيل المثال نورد فقرةً من رسالةٍ كتبها

بخطّ يده الحبر العلّامة اقليميس يوسف دارد رئيس اساقفة دمشق الى الكنت نصرالله دي طرازي في ٢ شباط ١٨٨٢ ودبّجها بهذه العبارات الرقيقة قال :

« . . . ولم ازل منذ ساعة الرحيل الى الآن اهذ بما حُزتهُ لديكم في ايام اقامتي السعيدة في داركم العامرة من الترحاب والتكريم والاعزاز والتفضّل الذي جعلني غارقاً كالعادة في بحر جودكم . . . فما لي الا ان أُعيد على الدوام الادعية الحارة القلبية بدوام ذاتكم الشريفة فخراً لي وللطائفة السريانيَّة بأسرها بل للامة النصرانيَّة قاطبةً . واني لا أَنسى ما صنعتهُ معي السيّدة قرينتكم الجليلة الخاتون منّة امي الكريمة . نعم لا يستحقّ غير هذه الخاتون الجليلة هذه التسمية مني كما سمعتْ من فمي يومَ كنتُ عندكم » .

وكتب المطران عينه الى الكنت دي طرّازي في ٩ تشرين الثاني ١٨٨٤ قال :

« اما بعد افخر السلام الابوي وأوفر الدعاء القلبي مع جزيل الاكرام والاجلال فبدعائكم وعونهِ تعالى وصلت الى مقرّ سكناي وكرسي رعايتي (بدمشق) . وانا منذ ساعة فرقتكم المرَّة أَلهج في قلبي وكل جوارحي بما شاهدتهُ وسمعتهُ ومسستهُ لديكم من آيات الكرم واللطف والمجد التي تجلّ عن كل وصف ويحار بها كل عقل . فسبحان الكريم اللطيف المجيد الذي لاظهار علوّ كرمه وسموّ لطفهِ وجلال مجده احبّ ان يخصّ بصفاتهِ هذه الفائقة اشخاصاً سعداء من بني آدم يتعظَّم بهم اسمهُ تعالى دون سائر خلائقه . ويا ما اندرهم وما اعزَّهم وما اشرفهم ! وكيف لا أُؤدّي لكم ولذويكم الكرام هذه الشهادة وان ما صنعتموهُ معي في مدة اقامتي السعيدة القصيرة لديكم يجلُّ عن كل شكر وكل ثناء ؟ وكيف يمكنني ان لا اقابل جليل المعروف بجليل الشكر وأُحجم عن ذكرِ أَوصافكم السامية وخلالكم النادرة وفضائلكم الشريفة التي يعترف بها كل قلب

ولسان وأُقصّر في المناداة بها بين الملأ في كل ناد ؟ وكيف استطيع ان انسى آيات الكرامة التي تسطع في بيتكم الميمون منبعثةً من شمس نفسكم النيّرة الى كل من فيه بل الى كل ما فيه حتى كأَنَّ الكرامة قد تلبّستهُ وتخرَّقتهُ بما فيه من كل ناحيةٍ ؟ جعل الله هذه الشمس منيرةً على الدوام عوض العائضين لبهجة الامة السريانيَّة على الخصوص والجنس البشري على العموم وفخرهما »

على اننا لو شئنا سرْد امثال هذه الرسائل في هذا الفصل لطال بنا المجال جدًّا . انما نكتفي باثبات فقرةٍ من رسالة انفذها البطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني من الموصل بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٨٩٦ الى الفيكنت فيليب . ذلك على اثر حلول المطران غريغوريوس عبدالله سطوف[١] ضيفاً في دار آل طرّازي قال :

« . . . اخبرتمونا عن حلول الاخ السيّد عبد الله الموقر ضيفاً كريماً في داركم العامرة . الا انكم لم تشاؤوا ان تبيحوا بما كان منكم من تجاوز حدود المروءة والكرم . فلقد وردتنا منهُ تشكّرات عظيمة لجميع افراد عائلتكم المباركة بشأن معاملتكم الطيّبة الفائقة الحدّ معه الخ . فعلى ما لاحظنا من كتابه انكم قد ادهشتم عقله بما أبديتموهُ من المكارم والفضل ومبادئ التديّن والفضيلة ولطف الاخلاق حتى أضحى عاجزاً عن وصف كل ذلك . وهذا ما زادنا طرباً وسرورًا واستدعى مضاعفة ثنائنا ومدحنا وامتناننا لكم . فالله نسأل ان يصونكم بيمينهِ ويؤتيكم بركاته السماوية وسائر النعم والعطايا الالهيّة . . . »

وما قلناه عن ضيافة آل طرازي لاحبار ملّتهم يصدق على كرم ضيافتهم لسوى ارباب الطغمة الكهنوتيَّة ايضاً . ومن هذا القبيل نورد ابياتاً ارتجلها الشاعر الحلبي نصرالله طرابلسي عندما كان هو وبعض الادباء ضيوفاً في

---

١) ارتقى السيد عبدالله سطوف الى السدة الانطاكية على السريان اليعاقبة بتاريخ ١٥ آب ١٩٠٦ في دير الزعفران . وحلّت وفاته في دير مار مرقس باورشليم سنة ١٩١٦

دار المقدسي يوسف طرَّازي (١٧٨٥ـ١٨٤٥) ابن المقدسي نصرالله طرَّازي (١٧٥١ـ١٨٠٨) قال :

ان شئتَ تلقَى المكرماتِ وأهلها ... فالكلُّ اصبح ضمن هذي الدائره
واذا تحرَّيتَ الضيافةَ فهي في ... دار ابن نصراللهِ دَوْماً دائره
فصديق هذي الدارِ عزَّ مكانةً ... وعدوُّها دارت عليه الدائره

ونختم هذا الفصل باثبات قصيدةٍ نظمها الشيخ نوفل الخازن في الثناء على اريحيَّة ميخائيل طرَّازي (١٨١٨ـ١٨٨٠) وكرم ضيافته قال :

في صبوتي يوماً دُعيت الى السَّفَرْ ... فشَدَدْتُ رحلَ مطيَّتي عند السَّحَرْ
يمّمتُ دار العلم بيروت التي ... قرَّتْ برؤيتها البصيرةُ والبصر
فيها لقيتُ أحبَّةً ثبتوا على ... عهد المودَّة والوفاء من الصِّغر
وفدوا عليَّ يسلّمون وجلّهم ... في أطيب الحالات الَّا ما ندر
أكرِم بميخائيل طرّازي سَما ... بالنُّهى فيهم وبالادب اشتهر
شهمٌ نشا من عترةٍ حلبيَّةٍ ... برجالها الفضلاء لبنانُ افتخر
شهمٌ لاسرتهِ قديمُ علاقةٍ ... بأبي وجدّي منذ قرنٍ قد عبَرْ
ألفيتُ منهُ في المجالس عزّةً ... شهدت بها أهلُ الحضارة والوبر
بل نلتُ حسن ضيافةٍ في بيتهِ ... عن جودها حدَّثتُ ما شاء القدَرْ
في حلبة الاحسان أسبقَ فارسٍ ... نعتمدُهُ والخُبْرُ عندي كالخبَرْ
حسناتُهُ في السرّ لا تخفى كما ... في الليلة الدهماء لا يخفى القمَر
وبكلِّ مسألةٍ تولّاها نرى ... لكلامهِ الرأيَ الحصيفَ المعتبَرْ
لهُ في القلوب محبّةٌ ومكانةٌ ... فهو الأبيُّ الحازم السَّمْحُ الأغَر
ولهُ نسجّل كلَّ يومٍ مِنّةً ... في منّةٍ تبقى مخلّدةَ الأثَرْ
يسعى القريضُ الى حماهُ صاغرًا ... واصوغ في شكرانهِ أغلى الدُّرَرْ

الفصل الثاني

آل طرّازي وتعظيمهم لاحبار ملّتهم

لا نرى عبارات تنوّه بتعظيم آل طرّازي لاحبار ملّتهم السريانيّة أفصح وأبلغ ممّا كتبهُ في هذا الصدد السيد البطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني الى المطران ثئوفيلس انطون قندلفت نائبهِ في بيروت بتاريخ ٢٦ اذار ١٨٩٥ قال :

« اننا عندما تسلّمنا لقب « الكنتيَّـة » لحضرة الكنت نصرالله دي طرّازي كانت غايتنا ورغبتنا ان نرى هذه العائلة الفاضلـة الجليلة النبيلـة المقدّمة في رأس طائفتنا قد ارتفع مقامها . فيعود ذلك علينا موضوع المسرة والمباهاة . على ان حضرة الكنت وعموم عائلته قـد ادّوا لنـا من الاعزاز واكرام المثوى مـا يفوق الوصف كما هو معلوم مشهور في بيروت . وليس ذلك من باب المكافأة فانهم في كل وقتٍ وآنٍ أدَّوا لايمّة طائفتنا ولاسيما لشخصنا مزيد الاكرام والاجلال . وقد شاهدنا منهم جميعاً من حسن التديّن وروح التقوى والاخلاص البنويّ والغيرة على الطائفة ما أترعنا حبورًا . وان احببتم ان نزيدكم علماً بهذا الشأن فانهم علاوةً على ما تفضلوا به علينا مدة ضيافتهم لنا فقد قدَّموا لنـا حين مبارحتنـا ايّاهم مبلغ ثلاثة آلاف فرنك (ذهبيَّة) هديّةً منهم لشخصنا وقبلنا ذلك بغاية الشكر . . . »

وفي الحقّ ان آل طرّازي لم يدَعوا فرصة الا اتخذوها لابداء مظـاهر اجلالهم وعواطف احترامهم لاحبار ملّتهم النبلاء . بل لم يدخروا وسيلةً الا تذرَّعوا بها حبًا لتعزيز ملّتهم السريانيّة ورفع شأنها في كل صوبٍ وناحية . يتضح ذلك من الـدعوات والضيافات والولائم المتواترة والاحتفـالات والتكريمات المستمرَّة التي اقاموها في دارهم لاولئك الاحبار مدة تزيد على قرن كامل . هذا ما عدا اهتمامهم المتواصل بتسهيل مصالح اولئك الرؤساء لدى الحكومة توثيقاً لعرى الصداقة بينهم وبين الولاة العثمانيين .

واذا ضربنا الصفح عن تعداد ذلك كله بالتفصيل فلا يسعنا السكوت عمّا بذلهُ آل طرّازي من الجهود على مرأى ومسمع منّا لدى الاحتفال العظيم باليوبيـل الاسقفي الفضي (١٨٨٧ـ١٩١٢) للسيد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني ويوبيله الكهنوتي الذهبي (١٨٧٣ـ١٩٢٣) والبطريركي الفضي (١٨٩٨ـ١٩٢٣) . فانهم بالاتفاق مع سيادة الحبر الموقّر المطران اقليميس ميخائيل نجّاش ألفوا لجنـة رسميَّة في بيروت لتهيئـة معدّات اليوبيـلات المذكورة وتنظيم احتفالاتها كما يليق بشرف الملّة ومقام بطريركهم المغبوط المحتفى به . ثم راسلوا جميع الابرشيَّات السريانيَّة واستنهضوا الهمم للاشتراك في هذين المهرجانين الطائفيَّين اللذين لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الملّة . وقد وافى الوفود زرافات من جميع المدن ورفعوا الهدايا تترى الى صاحب اليوبيل واعربوا لغبطته عن وثيق تعلّقهم به وشديد اعتبارهم له .

واذا رمنا ان نخصّص الكلام بالفيكنت فيليب عميد الاسرة الطرّازية الآن قلنا انه حرسهُ الله قد تفانى في سبيل رقي الملّة تفانياً كتب له اجمل تذكار في قيودها . فانهُ اغتنم الفرص في ازمنة مختلفة واحوال متعدّدة للاعراب عن شعوره الرقيق واخلاصه الحميم لاحبار الملّة وكهنتها ووجهائها بل لكل فردٍ من أفرادها . فقد القى الخطب الرنانة في قلّاية بيروت مترحماً على من استأثر بهم الله تعالى او مهنئاً من ارتقى منهم الى الذروات المقدَّسة . فهو الذي أبّن السيد اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٩١ والسيد اغنـاطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٧ والسيد اقليميس يوسف داود عام ١٨٩٠ والسيـد ثاوفيلس انطون قندلفت الـذي توفي عام ١٨٩٨ في دير الشرفـة . وأبّن كذلك في ١٢ شباط ١٨٩٢ المرحوم الياس بن ميخائيل موصلي احد المحسنين الى كنيسة مار جرجس ببيروت .

اما قصائد التهانئ التي نظمها هذا الفيكنت وأنشدهـا في احتفـالات مختلفة فكثيرة جدًا . نذكر منها قصيدتيهِ اللتين لفظهما في حفلتي استقبال السيد البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس ووداعـه . وقصيدته في تهنئـة

السيد البطريرك المشار اليه لما وردته الطغراء الهمايونيّة في ٢٠ نيسان ١٨٨٧ من السلطان عبد الحميد . وجرى للترحيب بها في قلّاية حلب احتفال شائق . وقد ناب عن الفيكنت في انشادها السيد المطران ثوفيلس انطون قندلفت وهذا مطلعها :

برَزَتْ تميس بمظهرٍ وضَاءِ وبدت تتيهُ بعزَّةٍ وسناءِ

ثم نذكر قصيدة تهنئتهِ للسيد ثوفيلس انطون قندلفت يوم ارتقائه في كنيسة بيروت عام ١٨٨٦ الى الكرامة الاسقفيَّة . وقد انشدها الناظم في دار آل طرّازي حيث جرى استقبال وفود المهنّئين على اثر السيامة المقدّسة . ونذكر ايضاً قصيدتهُ في تهنئة مار اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه عام ١٨٩٣ الى العرش البطريركي في كنيسة الطاهرة بالموصل . وقصائدهُ المستبدعة في تهنئة مار اغناطيوس افرام الثاني يوم تبوّئه السدَّة الانطاكيّة عام ١٨٩٨ في كنيسة ماردين . وخطبتيه النفيستين اللتين افتتح بهما يوبيلي السيّد البطريرك المشار اليه اعني اليوبيل الاسقفي الفضي عام ١٩١٢ واليوبيل الكهنوتي الذهبيّ والبطريركي الفضي عام ١٩٢٣ السابق ذكرهما . وقد كان لذينك الخطابين اجمل وقع في جميع الابرشيّات السريانيّة .

ونضيف الى ما تقدم تواريخ شعريَّة نظمها الفيكنت فيليب عينه في مواضيع طائفيَّة شتى أخصها :

١ً : لبناء كنيسة مار جرجس ببيروت . ٢ً : لتأسيس جمعيَّة المساعي الخيريّة السريانيَّة . ٣ً : لضريح المطران اثناسيوس روفائيل جرخي في بغداد . ٤ً : للبطريرك اغناطيوس بهنام الثاني عند جلوسه البطريركي وحينما أُهدي اليه الوسام العثماني الاول . ٥ً : لضريح أسرة شقّال في بيروت . ٦ً : لضريح جرجي بري صابونجي في بيروت ايضاً . ٧ً : للبطريرك اغناطيوس افرام الثاني حين تبوّئه العرش البطريركي وفي تذكار عيده الشخصي . ٨ً : لمجمع الشرفة المعقود سنة ١٨٨٨ . ٩ً : لبناء كنيسة حماة .

١٠ : لتشييد صرح البطريركيَّة السريانيَّـة في بيروت . ١١ : لضريح آل مدوّر في بيروت .

وما عدا ذلـك فانه نظم كثيراً من القصائـد والمقطّعات والتواريخ الشعرية لعددٍ صالحٍ من احبار الملّة السريانيَّة وعلمائها وكرامهـا في احوال مختلفة . نكتفي منها بذكر بيتين نظمهما لغبطة السيـد البطريرك مـار اغناطيوس جبرائيل الاوَّل وارتجاهما عندما ترأس احتفال شركة مار منصور دي پول صباح عيد العنصرة عام ١٩٣٠ . وكلّف احد اعضائها ان ينشدهما وهما :

صهيون بالرسل الكرام تمجّدتْ   اذ جلّلتها نعمةُ الروح القُدُسْ
واليومَ شركتنا تيمّنَ ربعُهـا   بحلول بطركنا الجليل مع القُسُسْ

ومن ذلـك ايضاً بيتان اقترحهما عليه المركيز ميخائيـل دي جروة لينقشهما على كأس قدّاسٍ . وهما :

لما اتّكا رسلُ المسيح على العشا الـ   ـسرّي باركهم بنفسٍ طاهرَهْ
قال اشربوا هـذا دمي وتذكّروا   عهدي الجديدَ[1] لكي تنالوا الآخرَهْ

ومن ابدع ما نظمه هذا العلّامة قصيدتهُ الشرفيَّة التي التزم فيها لفظة « الشَّرَف » في جميع قوافيها يختلف معنى كل لفظ منها عن معنى الآخر . وقد هنّأ بها السيد اغناطيوس افرام الثاني عندما قلّـده قنصل فرنسة العامّ وسام « جوقة الشرف » واستهلّها بقوله :

سما اليـك لمن يسمو الى الشُّرَفِ   وسامُ فخرٍ يُسمَّى جوقة الشَّرَفِ[2]

وما عدا هذا فقد ألقى الفيكنت خطبتين تاريخيّتين عام ١٨٨٨ لـدى افتتاح مجمع دير الشرفة الكبير ولـدى اختتامه . ولفظ كذلـك خطب

---

١) اقتباس من الآيتين الواردتين في انجيل مار متى (٢٦ : ٢٧ و٢٨) وهما : « واخذ كاساً وشكر واعطاهم قائلًا : اشربوا منها كلّكم . لان هذا هو دمي للعهد الجديد »

٢) نشرنا في مجلة « الآثار الشرقيَّة » ابيات هذه القصيدة في سنتها الثانيـة صفحة ٧٤-٧٨ .

الترحيب والتأهيل في قلاية بيروت بالبطريرك اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٨٥ و١٨٨٨ . وبالبطريرك اغناطيوس بهنام الثاني لدى مروره ببيروت مسافراً الى اوربة عام ١٨٩٤ ولدى رجوعه منها في اواخر السنة المذكورة . وبالسيد ايليا الثاني عشر بطريرك بابل على الكلدان في ٨ حزيران ١٨٩٠ . وبالسيد اغناطيوس افرام الثاني عام ١٨٩٩ . ورحّب به كذلك بخطبة شائقة عند زيارته الاولى لجمعيّة مار منصور دي بول وشفعها بخطبتين أُخريين بعد التاريخ المذكور في تقريظ البطريرك الانطاكي عينه

وقد رحّب الفيكنت بخطبةٍ جميلة بالسيد اقليميس يوحنا معمارباشي مطران دمشق عام ١٨٩٢ لدى قدومه الى بيروت للمرة الاولى بعد سيامتهِ الاسقفيّة . وهنأ المطران يوليوس باسيل قندلفت عام ١٨٩٣ بارتقائهِ الى الكرامة الاسقفيّة في كنيسة بيروت . وخطب ايضاً على مائدة دير الشرفة عام ١٩٠٩ مرحّباً باعضاء اخوية العائلة المقدسة وشركة مار منصور دي بول عندما حجُّوا مقام سيدة النجاة في الدير المشار اليه .

وهو الذي خطب عام ١٩١٩ في الصرح البطريركي الماروني في بكركي(١) نيابةً عن الملّة السريانيّة لدى وداع السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويّك قبل رحلته الشهيرة الى باريس . وخطب ايضاً باسم الملّة السريانيّة على مسامع اللجنة الاميركيّة التي جاءت عام ١٩١٩ لاستفتاء أهالي سورية ولبنان في أمر مصيرهم . ومثّل الملّة ايضاً في المجلس الاستشاري عن المنطقة الغربيّة في عهد الجنرال غورو . وكان له في ذلك كله مواقف مشرّفة بين زملائه . ولسنا ننسى خطبة الفيكنت البديعة التي رحّب فيها بنيافة

---

١) خطب الفيكنت فيليب مرّة اولى في بكركي سنة **١٨٩٧** يوم كان رئيساً على شركة مار منصور الخيرية واخوية العائلة المقدسة . وجرى ذلك في عهد السيد يوحنا بطرس الحاج البطريرك الماروني بحضوره وحضور لفيف اساقفته ومئات من اعيان بيروت ولبنان على اختلاف مذاهبهم ومراتبهم . فكان لخطابه صدى استحسان حمل الخطيب البليغ انطون بك شحيبر ان يثني بفصاحته المشهورة على الفيكنت ويفوه بتلك العبارة التاريخية : « كنتُ اتمنى ان يكون هذا الشابّ مارونياً » .

الكردينال ديبوا في القلاية البطريركيَّة ببيروت عام ١٩٢٠ . الى غير ذلك من الخطب الرنّانة التي ألقاها في اوقاتٍ مختلفة وفي مواسمَ شتى . ولاسيما خطبه في الاحتفالات السنويّة وقت حضور قناصل فرنسة ومفوّضيها القداس الرسمي في الكاتدرائيّة السريانيَّة صباح الاحد الثاني التالي لعيد القيامة .

ومِمَّا يجدر بالذكر عن الفيكنت فيليب في هذا المقام انه هو الذي نقل من العربيَّة الى الفرنسيّة خطاب السيّد ثئوفيلس انطون قندلفت في المجمع القرباني الاورشليمي . ثم ناب عنهُ في القائه رسمياً في جلسة المجمع الثانية المنعقدة في ايار ١٨٩٣ في كنيسة المخلّص الكبرى . وقد جرى ذلك بحضور نيافة الكردينال لنجنيو والبطريركين غريغوريوس الاول ولودفيكس بيافي وستّة وعشرين مطراناً والف وخمسمائة كاهن وجمهور غفير من المؤمنين التأموا من اربعة اقطار المسكونة . فنال خطابه هذا استحسان السامعين وصفّقوا له نيّفاً واربعين مرَّة .

هذا ما عدا كتابهُ « القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » الذي جمع فيه مراثي العلّامة السيّد اقليميس يوسف داود في عشرين لغةً . وما عدا كتابهُ الشهير الذي عنونهُ « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيَّات السريانيَّة » ونشره بالطبع عام ١٩١٠ مضمّناً اياه اخبار احبار البيعة السريانيّة منذ القرن السادس عشر حتى عهدنا . ونضرب صفحاً عن ذكر غيرهما من المؤلفات الجليلة التي أدرجناها في فصل آخر من هذا الكتاب ولا يقلّ عددها عن ستة عشر مؤلفاً او مجموعاً[٢] . وقد أنشأ ونشر ذلك كله اظهاراً لحميم اخلاصه وشديد تفانيه في خدمة ملّته وتعظيم احبارها . وكانت تلك الخطب وتلك القصائد وتلك التصانيف بلا ريب من أدعى الوسائل لتعزيز كنيسة مار جرجس البيروتيَّة واعلاء شأن الملّة السريانيَّة .

---

٢) نحيل القارئ الى مراجعة اسماء تلك المؤلفات ووصفها في الفصل الرابع من القسم الثالث من هذا الكتاب .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر رأينا ان نُضيف الى ما سبق كلمةً عن مساعي هذا الفيكنت الجليل في تعزيز مقام احبار ملّته النبلاء وتخليد اسمهم في قلوب الخاصّة والعامّة . فانه اعتنى بصنع صورة الحبر الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني يحفّ به بطاركة الملّة السريانيّة اسلافه. فصوّرها بطريقة فنيّة مستظرفةٍ وارسل منها نسخاً عديدة الى جميع الابرشيّات لتعلّق في قاعاتها الرسميّة وبيوت أعيانها . وهي تمثّل رسوم احد عشر بطريركاً من بطاركة السريان الانطاكيين منذ البطريرك اغناطيوس اندراوس الاول (١٦٦٢ـــ١٦٧٧) الى البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ـــ١٩٢٩) .

وقد أُعجب بهذه الصورة التاريخيّة كلّ من شاهدها وأثنوا على عبقرية الفيكنت فيليب الذي ابتكر هذه الفكرة . وانفذوا اليه رسائل شكر نذكر منها فقرةً كتبها السيد اقليميس ميخائيل نجّاش مطران دمشق بتاريخ ٨ نيسان ١٩٠١ قال :

« ... سرّنا جدّاً الاثر النفيس الذي اقتموهُ لبطاركتنا العظام بطبع رسومهم الفوتوغرافية مع رسم بطريركنا المغبوط والشعار البطريركي . فهذا ما يدعونا لنثني على حضرتكم الكريمة ونتمنى لكم إطالة العمر لتظهر محاسن طائفتنا بما تجدّدونهُ من آثارها الحسنة . جزاكم الله خيراً ... »

ولم يكتفِ الفيكنت بهذا بل نصب صورة العلّامة السرياني الشهير مار اقليميس يوسف داود مطران دمشق في دار الكتب الاهلية التي أسسها عام ١٩٢١ في بيروت . وقد ضمّها الى رسوم مشاهير العلماء التي دبّج بها القاعة الكبرى في المكتبة المشار اليها تخليداً لذكرهم وإعلاء لشأن العلم في الامصار الشرقية .

الفصل الثالث

آل طرازي ونقل الكرسي البطريركي من ماردين الى بيروت

كان يجول في خاطر آل طرازي منذ عهد بعيد ضرورة نقل الكرسي البطريركي من ماردين الى حلب او الى بيروت لِما بينهما وبين ماردين من التفاوت العظيم في الحضارة والعمران والمنزلة الاجتماعية. وكانوا يعتبرون ان مستقبل نجاح الملة السريانية يتوقف على ان يكون لبطاركتها كبطاركة سائر الملل الشرقيـة مركز ثابت في احدى المدن الشهيرة ولائق بكرامة منصبهم. لان ماردين مدينة صغيرة خالية من المحاسن العصرية والمشوّقات الحديثة والمواصلات البريدية المنتظمة. الى غير ذلك من التسهيلات الاجتماعية التي تتمتع بها عواصم البطريركيات الاخرى شرقاً وغرباً.

ومن المعلوم ان مدينة ماردين لم تكُ في عهدٍ مضى سوى مركز لواء تابع لولاية ديار بكر ومرتبط بها. ولما كان صاحب الكرسي الانطاكي السرياني يقيم في ماردين وكانت دياربكر كرسياً لمطرانية سريانية خاضعة للبطريرك كان يلزم البطريرك لدى تعاطيه الشؤون المدنية التي تطرأُ له ان يلجأ في قضائها الى المطران السرياني المقيم في مدينة دياربكر. يُراد بذلك ان البطريرك كان يضطر الى مراجعة مقام ادنى من مقامه بل تابع لسلطته الروحية. وكل ذلك لا يتفق مع طريقة التسلسل في العلائق المألوفة بين الرئيس والمرؤوس او التابع والمتبوع.

بعد هذه المقدمة نورد الدواعي الخطيرة التي استند اليها آل طرازي في وجوب نقل الكرسي البطريركي من ماردين. لانهم بكونهم الوكلاء الرسميين للبطاركة في الشؤون الماليـة والمهام المدنية بسوريا واوربا كان

يتعــذّر عليهم النهوض بتلك المهامّ المتواصلة بسهولة وانتظام. ونحصر تلك الدواعي في المسائل الثلاث الآتية وهي :

اولًا : البريد. فان دائرته في ماردين كانت تشتمل على غرفة واحدة يديرها مأمور واحد لا يعرف الا اللغة العربية مع المام باللغة التركية. وكان هذا المأمور يجهل بتاتاً اللغات الفرنجية. ثم ان البريد لم يكن يرد الى ماردين ولا يسافر منها الا مرتين في الشهر في عهد البطريرك اغنـاطيوس انطون الاول (١٨٥٣ ــ ١٨٦٤). ثم اصبحت حركته اسبوعية في عهد خلفه مـار اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦ ــ ١٨٧٤) . وعند وصول البريد الى تلك المدينـة كانت تُلقى المكاتيب على الحضيض وتبقى هناك ريثما يذهب اصحابها ليلتقطوها . وكان اذا تأخر احدهم عن اخذ مكاتيبه امست تلك المكاتيب طعماً للحريق والاعدام.

ثانياً : الرسائل البرقية. فان الخلل فيها لم يكن باقل من خلل البريد كمـا سبق الكلام . على ان البرقيات المكتوبة باحدى اللغتين العربية او التركية كانت تُرسل الى ماردين وتصدر منها توًا. اما البرقيات المكتوبة باحــدى اللغات الاوربية فكان البطريرك يرسلها الى دياربكر مركز الولاية مع ساعٍ خاصّ ركوباً على البهائم. وكانت المسافة بين مدينتَي ماردين ودياربكر تستغرق زهاء عشرين ساعة. وناهيك ما كان يتكلفه البطريرك في هذا السبيل من النفقات وما يتحمله الساعي من مشقات الاخطار ذهاباً واياباً. وقس على ذلك البرقيات الواردة باسم البطريرك من بلاد اوربا. فان حكومة دياربكر كانت تكلف مطران السريان فيها كي يوصلها بدوره الى البطريرك في مـاردين . وكان المطران يقوم بهذه المهمة مستعملًا نفس الطريقة التي كان يستعملها البطريرك كما ذكرنا.

ثالثاً : المصارف المالية او البنوك الرسمية. فانه لم يكن لها في ماردين اسم ولا رسم . بنـاءً عليه كان التعاطي المالي من اصعب الامور في تلك الازمان بين هــذه المدينة وسائر البلدان. فكان آل طرّازي يرسلون الى

البطاركة موكليهم كل ما يحتاجون اليـه من النقود صُررًا يسلمونها الى امنائهم من اصحاب القوافل. فكان ذلك يدعو الى القلق المستمرّ فضلًا عن النفقات الباهظة.

فهذه الصعوبات وما شاكلها مما ضربنا عنه الصفح حبًا للاختصار دفعت آل طرَازي الى التشبُّث بمبدإهم في وجوب نقل الكرسي البطريركي من ماردين. وقد ادركوا كل هذه الاعتبارات الجوهرية التي تحط من كرامـة بطاركتهم المغبوطين وتؤخر نجاح ملّتهم. فأخـذوا يصرّحون بها لرؤسائهم كلما سنحت لهم الفرص قولًا وكتابةً. ولبثوا يعالجون هذه القضية الحيوية حيناً بعد آخر حتى تحققت امانيهم وجاءت الايام مصداقاً لِما تنبأوا به قبل ثمانين سنة من هذا التاريخ.

هكذا تطوّرت الافكار بتوالي الازمان واتّضح لكل ذي بصيرة أن بقاء الكرسي البطريركي في ماردين يجرّ اضرارًا جسيمة الى الملة السريانية. وتجلى ذلك بكل صراحة سنة ١٨٦٤ لدى وفـاة البطريرك اغناطيوس انطون الاول. فان افكار السادة المطارنة اتجهت الى اختيار النائب الرسولي السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب خليفةً للحبر الراحـل. لكن النائب جاهر برفض هذه الكرامة الشريفة لاضطراره ـــ لو ارتضى ـــ الى السكنى في ماردين. ولنا حجج دامغة على تشبثه بالرفض ما حرَّره مرارًا في هذا المعنى الى آل طرَازي. نروي من ذلك فقرةً من رسالة سيّرها اليهم بتاريخ ٩ نيسان ١٨٦٥ قال :

« ... ثم انكم في تحريركم الاول (٣٠ آذار ١٨٦٥) توضحون افكاركم في مـا يلاحظ الكرسي البطريركي في حلب او دير الشرفـة او بيروت . وانهُ اكثر اعتبارًا للطائفة من وجوده في ماردين المتزوية في راس جبل بين قبائل العرب والاكراد . اي نعم ايّها الابناء الاعزاء ان وجود الكرسي في احدى هاتين المدينتين (حلب او بيروت) هو اكثر اعتبـارًا للطائفة . ولكن كيف العمل ؟ ان المجمع المقـدّس لا يفتكر نظيرنا بل

يرتأي الضدّ . اي ان وجود الكرسي في ماردين يصير منه خير اكثر . . . الخ » .

وفي ٢٠ نيسان من السنة المذكورة كرّر آل طرّازي إلحاحهم على النائب الرسولي في الامر المشار اليه . فجاوبهم حالًا بتاريخ ٢٩ نيسان بما يأتي :

« . . . نظرًا لوجود كرسي بطريركيّة طائفتنا في ماردين فتغييره امرٌ عسرٌ جدًّا . لان قداسة سيّدنا الحبر الاعظم مع مجمعه المقدّس يفتكرون ان وجود الكرسي هناك هوالواسطة الوحيدة والفعّالة لارتداد طائفة اليعقوبيّين . ومن ثم فنحن بثباتٍ نستمرّ ملتمسين الاعفاء من هذه الوظيفة . لان ماردين ستكون سبباً لزوال صحتنا التي من بعدها نضحي عديمي الافادة ليس بماردين فقط بل بغيرها ايضاً . فربّنا يوفق الى ما فيه الخير ويختار كبشاً لهذه الذبيحة . . . الخ »

على ان ما حرّره هذا النائب الرسولي قد صدق بتمامه في السيد اغناطيوس فيلبّس الاول الذي انتُخب بطريركاً عام ١٨٦٦ وسكن في ماردين . فانهُ لم يكد يمرّ على هذا الحبر الانطاكي زمن قصير حتى ابتُلي بامراضٍ عضالة كانت السبب للقضاء على حياته الثمينة عام ١٨٧٤ غير متجاوز الثامنة والاربعين من العمر . ويُعزى ذلك الى خلوّ مدينة ماردين من اطباء وصيادلة قانونيين يُعوَّل عليهم في احوال خطيرة كهذه . وكان مار اغناطيوس فيلبس الاوَّل آخر بطريرك سرياني أَقام في ماردين ولم يسكنها بعده احد من خلفائه رسمياً .

ولدى فراغ الكرسي البطريركي سنة ١٨٧٤ أُحيلت النيابة الرسوليّة تكرارًا الى السيّد ديونوسيوس جرجس شلحت . فاظهر من التشبُّث برفض البطريركيّة ما اظهرهُ في المرّة السابقة . غير انهُ بعد اتفاق الاصوات على انتخابه بطريركاً رخّص لهُ الكرسي الرسولي ان يسكن مدينة حلب بدلًا من ماردين .

وما كتبناه عن السيد اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤ـ١٨٩١) يصدق تماماً على خليفته مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣ـ١٨٩٧) . فانهُ أصرّ على رفض البطريركيَّة في ما لو حُتم عليه ان يقيم في ماردين . فوافق المطارنة على اقتراحه ان يُقيم في الموصل وأيَّد الكرسي الرسولي قرارهم .

وبعد فراغ السدّة الانطاكيَّة بوفاة هذا الحبر الجليل اختار مجمع الاساقفة خلفاً له مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ـ١٩٢٩) الذي جرى تنصيبهُ في ماردين . وكان هذا الحبر الخالد الآثار صديقاً قديماً حميماً لآل طرَّازي يعتمد عليهم ويثق بآرائهم في جلائل الامور . يتضح ذلك من مئات الرسائل التي كتبها لهم بخطّ يده وأعرب فيها عن صدق مودّته وجزيل اعتبارهِ لهم . نقتصر منها على فقرةٍ اثبتها في رسالتهِ المؤرّخة في ١٥ تشرين الاول ١٨٩٨ على اثر انتخابه البطريركي قال :

« . . . فعلى ذلك كلِه نثني عليكم أَعظم الثناء ونشكركم طالبين الى الله جلّ شأنه ان يجزل الكم كل المواهب والمنح ويبقيكم أحقاباً مديدة فخراً للطائفة السريانيَّة التي قد عُهدت الينا . ولا حاجة ان نزيدكم علماً في هذه الاثناء بأننا في اول قداس قدسناهُ عقب انتخابنا خصَّصنا بالذكر عائلتكم النبيلة الجليلة الشأن واستمطرنا عليها البركات الالهيَّة . وها اننا نتحفكم بباكورة بركتنا البطريركيَّة . . . »

على ان آل طرّازي انتهزوا فرصة ارتقاء صديقهم هذا المغبوط الى العرش البطريركي لتجديد مساعيهم في حمله على نقل كرسيّه الرسولي من ماردين الى بيروت . ورفعوا اليه في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٨ تقريراً مسهباً بقلم سليلهم الفيكنت فيليب في اثنتين وعشرين صفحة . ويتضمّن هذا التقرير ما ينجم للبطريركيَّة عن هذا الانتقال من الفوائد العظيمة . فاخذ السيد البطريرك الجديد بعين الاعتبار ذاك التقرير الوافي مقتنعاً بما احتواه من الآراء الصائبة والبراهين اللامعة . ثم كتب الى آل طرَّازي الجواب راغباً اليهم ان لا يذيعوا مآل التقرير المومأ اليه ريثما يدبّر هذه القضية مع

الكرسي الرسولي الروماني . وما عتّم ان كتب رسالةً بخطّ يده مورخة في ٢٢ تشرين الاول ١٨٩٨ (اعني ستة ايام بعد تتويجهِ البطريركي) الى الفيكنت فيليب ورد فيها ما نصه :

« ... وان شئتم ان نطلعكم على دخيلة افكارنا... فهذه الاسباب كلّها وغيرها تحملنا على ان نجعل لنا مقرًّا في سورية مدينة بيروت العامرة بكم خاصةً ... ونظنّ ان رأيكم طبق رأينا ... »

يتضح من كل ما أدرجناه في هذا الفصل ان آل طرازي جاهدوا الجهاد الحسن في قضية تحويل الكرسي البطريركي من ماردين الى بيروت . وقد تهلّلت قلوبهم ابتهاجاً لدى تحقيق أمنيَّتهم هذه التي عادت بالخير والبركة على الملة السريانية جمعاء . وما كادوا يتلقّون بشرى قدوم كبير احبارهم حتى اخذوا يستعدّون للاحتفال باستقباله كما يليق بمقامه الرسولي . ثم هيأوا كلّ الطبقة العليا من منزلهم الفسيح في شارع « نصرالله طرَّازي » وأعدُّوها لتكون مقرًّا للحبر الانطاكي في عاصمة كرسيّه الجديد ريثما يتيسر له الاستقلال بدارٍ خاصة . وقد استمرّ مدة سنتين هو وحاشيته ضيوفاً لدى هذه الاسرة النبيلة التي طالما طاب لها ان تحافظ شديد المحافظة على تقاليد ضيافتها الموروثة عن الآباء والاجداد .

وقد كتب هذا البطريرك الانطاكي رسائل جمة ملوءها عواطف معرفة الجميل لأريحيَّة آل طرَّازي وكرم ضيافتهم . نقتصر على ذكر واحدةٍ منها مؤرخة من دير الشرفة في ٤ حزيران ١٨٩٩ ومكتوبة بخط يده قال :

«... وبعدُ فلساننا قاصر عن اداء ما يجدر من تقارير الثناء لِمَا لقيناه في داركم العامرة من ضروب الكرم واللطف والفضل المقرونة بأخلص الودّ واشد الولاء . جعلكم المولى على ممرّ الادهار انتم واعقابكم فخرًا وبهاء للطائفة السريانيَّة . ونجتزئ عن الكلام المسهب بمحضنا ايَّاكم قاطبةً مودّتنا الابوية ثم بالدعاء الى الله ان يجزل لكم منحهُ الفائضة بكل خير . هذا ونخصّ بالشكر والدتكم الموقرة السيدة الكنتسة منّة ونسأل المولى ان

يمتعها بكم ويمتعكم بها مديداً…»

وفي ٢٤ شباط ١٩٠٢ انتقل البطريرك من دار آل طرّازي الى الطبقة العليا من الدار المحاذية لكنيسة القديس جرجس الكاتدرائية اذ جعلها مقرًّا رسمياً لهُ . وكان آل طرّازي قبل ذلك قد اعتنوا بتهيئة الدار البطريركية الجديدة وترتيبها لتكون لائقة برئيس ملّتهم . ثم جهّزوا اكثر رياشها بنفقتهم الخاصة فضلًا عمّاً نقلوه اليها من موجودات منزلهم . وقد اتحفوه حين ذاك بهدايا نفيسة نذكر منها عكّازًا بطريركيًّا ذا اربعة رؤوس تعلوه كرةٌ متوّجة بصليب مثنّى .

وبعد ما قضى هذا الحبر الخالد الأثر احدى وثلاثين سنة في السدة الانطاكية خلفهُ في ٢٤ حزيران ١٩٢٩ مار اغناطيوس جبرائيل الاول البطريرك الانطاكي الجالس سعيداً . ومن عهد هذا التاريخ صرف الاساقفة النظر عن كرسي ماردين الذي اتفقت الآراء على ان لا يكون مركزاً لبطاركة الملّة في مستقبل الزمان . وقرّروا في الوقت عينه ان تكون اقامة البطريرك وخلفائهِ في مدينة بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية. والتمسوا من الكرسي الرسولي الروماني ان يوافق على قرارهم هذا .

ولمّا عزم السيّد البطريرك الجديد على تشييد دار ثابتة في مدينة بيروت للاقامة فيها رسمياً اراد من باب الحكمة ان يستشير في هذا الشأن بعض اللائذين بكرسيه البطريركي من روحانيين وعالميين . فأخذ كلٌّ منهم يبدي رأيه الخاص مدّعياً بانه الاوفق والأَصوب . وكان بعضهم يعرض آراءً غير ناضجة او لا تنطبق على قياس منطقي او لا يستقيم لها وزن . بل كان كلّما دار البحث عن هذه القضية في جلسة سرية انتشرت اخباره بسرعة البرق بين القريب والغريب داخل بيروت وخارجها .

وقد عرف السيد البطريرك حين ذاك غثّ الآراء وسمينها فخشي ان تؤول النتيجة الى ما لا تُحمد عقباه من ارتفاع اسعار الاراضي المرغوب في مشتراها فيعود ذلك بالخسائر الفادحة على البطريركية . ومن تلك الساعة

رأى ان تُحصر المفاوضات بكل تحفظ بينه وبين اشخاص معدودين مشهود لهم بالرصانة والصدق وأَصالة الفكر . وبعد التروي اختار رجلين من اعيان الملة وادبائها يُركن اليهما في جلائل الامور وهما : الفيكنت فيليب دي طرَّازي والسيّد نجيب موصلّي . ثم اضاف اليهما المهندس البارع جورج سركيس وفوّض الى ثلاثتهم درس هذه القضية بجذافيرها كما يوحيه اليهم الضمير الحيّ والوجدان الطاهر .

فأخذ هولاء الثلاثة يبحثون يومياً تحت اشراف صاحب الغبطة عن بقعة ارض مناسبة بحسن موقعها واتساع مساحتها وجودة مناخها ليُشيّد فيها صرح البطريركية الجديد . وبعد البحث المتواصل والتدقيق العميق وقع اختيارهم قاطبةً باتفاق الآراء على بقعة ارض مساحتها ستة وعشرون الف ذراع مربع واقعة بين شارعين كبيرين من اهم شوارع بيروت وهما : شارع الشام من الناحية الجنوبية وشارع الكورنيش من الناحية الشمالية .

ولم ينقضِ اسبوع على نتيجة ما قررته هذه اللجنة حتى بادر السيد البطريرك الى مشترى البقعة المنوّه بها . ثم باشر البناء بكل همة في مطلع السنة ١٩٣٠ وفرغ من هذه العمارة الجميلة التي دشنها بحفلة شائقة في ٢٨ حزيران من السنة التابعة . فجاء صرحاً فخماً يُعدّ من اظرف الصروح البطريركية في الشرق . وقد أَرّخهُ الفيكنت فيليب دي طرَّازي بأبيات شعرية وجعلها في أَطار جميل عُلِق في مدخل الصرح المذكور قال :

كرسيٌّ انطاكيَّةٍ أَمسى هنا طورًا يكلّلهُ جمالُ الهيبةِ
جبريلُ جدّد عصرهُ الذهبيّ في بيروت مثل الاعصر الرسليَّةِ
حبرٌ تسلسل من بطاركة الهدى خلفاً لبطرس في سرير البيعةِ
وبهِ بنو آرام طرًّا فاخروا لمَّا تسلّم صولجانَ السلطةِ
قد شاد هذا الصرح جانبَ معبدٍ ترعاهُ عين العزَّة الصمديّة
صرحٌ لسريان الورى هو مرجعٌ يبقى مدى تاريخهِ كذخيرةِ
١٩٣٠

وما اكتفى الفيكنت بذلك بل أراد ان يتحف الصرح الجديد بهدية ثمينة تعزز مكتبة البطريركية وتزين خزائنها . فقدّم لها طائفة من الكتب ذات القيمة الوافرة نذكر بينها مجموعة ثمينة عنوانها : « Description de l'Egypte » أي « وصف مصر » تتألف من اربعة عشر مجلدًا مزيّنة بالرسوم النادرة والصور الفاخرة. وقد طبعت في مستهل القرن التاسع عشر. وتُعَدّ بكل حق من أشهر المجموعات الكتابية وأنفسها في العالم . لانه اشترك في وضعها وجمعِ موادها وتنسيقها اكثر من ثلاثمائة عالم رافقوا الحملة الفرنسية العسكرية الى وادي النيل عام ١٧٩٧ بقيادة الجنرال بونابرت . ويبلغ طول كل مجلد كبير مصوَّر من المجموعة المذكورة مترًا وخمسة سنتمترات بعرض سبعين سنتمترًا. ثم استصنع الفيكنت لهذه المجموعة خزانة بديعة ذات شغل هندسي جميل افرز فيها لكل مجلد بيتًا خاصًا به صيانة لهذه المجموعة من الضياع او البعثرة . وقد جاءت تلك البيوت مطابقة بعددها وقياسها عدد المجلدات وحجمها كي يوضع في كل بيت منها مجلد مستقلٌ عن الآخر .

أُعجب السيد البطريرك بهدية الفيكنت وكتب اليه رسالة في ١٣ شباط ١٩٣٢ تشفّ عن عواطف شكره وثنائه . وهذا نصُّها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول بطريرك السريان الانطاكي

« حضرة ولدنا العزيز السري الفاضل الفيكنت فيليب افندي دي طرّازي امين دار الكتب الكبرى الماجد

« البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب

« اما بعد فهذه عارفة جديدة اضفتموها الى سالف عوارفكم العديدة. فاستوجبتم لاجلها اعطر الثناء وسجّلتم لكم في قيود الطائفة العزيزة اطيب الذكر . ولشد ما كان اعجابنا بكم وازدياد اعتبارنا لفضلكم وفضيلتكم وحميم شكرنا لتعلقكم ومحبتكم وقتما تلقينا صباح اليوم من حضرتكم اربع رزم تحتوي على اثمن الكتب التي رمتم ان تتحفوا بها دار الكتب

البطريركيَّة الجديدة ببيروت علاوةً على ما سبقتم فاتحفتموها به من المصاحف القيِّمة في الخزانة الثمينة . فقد استلمناها مع كتابكم المسطَّر في ١٢ شباط بقلبٍ يطفح سرورًا وبهجةً ولسانٍ ينشد أعذب الاثنية على أريحيتكم .

« اجل انكم ايها الشهم الكريم قد طرَّزتم بهذه التقادم الثمينة حُللًا قشيبة وشَّحتم بها هذه المكتبة البطريركيَّة بأثمن الحلل وأنفس الذخائر . واصبحت تلك المصاحف كزهور زكيَّة او ينابيع صافية يستنشق عبيرها الطيِّب روَّاد العلوم والمعارف ويرتشفون من مناهلها العذبة . ويطلقون السنتهم بالثناء على مكارم مهديها المفضال ما كرّت الاجيال .

«فشكرًا حميماً لاريحيتكم بل ثناءً عظيماً على تفانيكم ومودَّتكم . اننا نسأل الله تعالى مانح المواهب الصالحة والعطايا الكاملة ان يسكب عليكم غيوث النعم والبركات الفائضة بكل الخيرات . ويزيدكم جاهاً ورفعة . ويمتعنا بطول بقائكم فخرًا للطائفة وتعزيزًا للعلم والأدب بين ظهرانيها . وعربوناً لمودّتنا الابوية نهدي اليكم مع الدعوات الخيرية البركة الرسوليّة والسلام والمحبة بالرب حرسكم المولى مديدًا » .

الفصل الرابع

آل طرّازي وسلسلة بطاركة السريان الانطاكيين

كان بطاركة السريان الانطاكيّون منذ ضربهم عهد الوصال مع البيعة الرومانيَّة يوقعون اسماءهم بجانب ختمهم في آخر المناشير والرسائل الموجهة منهم الى مرؤوسيهم . وكانوا يضيفون كنيتهم في تلك التواقيع الى اسمهم الشخصي واسم شفيع الكرسي مار اغناطيوس النوراني البطريرك الانطاكي (٦٨ — ١٠٧) . وعلى ذلك نقدّم مثلًا السيّد اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠ — ١٨٥١) فانهُ كان يوقع امضاءهُ في ذيل الرسائل هكذا :

« اغناطيوس بطرس جروة بطريرك السريان الانطاكي » . وقد جرى سلفاؤه وخلفاؤه على هذا النمط من دون ان يتقيدوا رسمياً بالرتبة العددية التابعة لاسم كلٍّ منهم . فكان البطاركة اصحاب الاسم الواحد لا يتميز احدهم عن الآخر الَّا بالكنية او النسبة فقط .

ولا غرابة في ذلك لانهم نهجوا في هذا الامر نهج بطاركة السريان اليعاقبة . يتضح ذلك من مطالعة كتب مشاهير مؤرخي اليعاقبة كيوحنا اسقف اسيا وزكريا البليغ اسقف ملطية والبطريرك ديونوسيوس التلمحري وميخائيل الاول الكبير . بل ان ابن العبري نفسه الذي أَلَّف تاريخه البيعي ونسَّق حوادثهُ تبعاً لسلسلة بطاركة انطاكية ولسلسلة مفارنة المشرق لا نراه يثبت في السلسلتين كلتيهما رتبة الاسماء العددية .

ولما كان هذا الاصطلاح مخالفاً للتقاليد القديمة المرعيَّة لدى تسمية القائمين في الكراسي الرسولية انصرف الفيكنت فيليب دي طرَّازي الى درس هذه القضيَّة درساً جدياً . وبعد ما محَّصها تمحيصاً وافياً اخذ يفاوض اصحاب العلاقة بالموضوع لاجل المحافظة على تلك التقاليد واعادة استعمالها . ودوَّن نتيجة ابحاثهِ في تقريرين مستوفيين رفع احدهما سنة ١٨٩٣ الى السيّد البطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني (بنيّ) والآخر سنة ١٨٩٨ الى خليفته مار اغناطيوس افرام الثاني (رحماني) وعزَّزهما بالبراهين الدامغة . فكان لذينك التقريرين صداهما الحسن واثرهما الحميد في الديوان البطريركي .

واول من اعاد استعمال ذلك التقليد القديم في تأييد رتبة الاسم العددية كان السيّد اغناطيوس افرام الثاني الذي استصوب رأي الفيكنت فيليب دي طرَّازي وأثنى عليه . وما كاد يمرّ على عهد جلوسه البطريركي اثنان وثمانون يوماً حتى بدَّل توقيعه الاول « اغناطيوس افرام رحماني » بتوقيعه الجديد « اغناطيوس افرام الثاني » طبقاً للتقاليد المرعيَّة في الكراسي الرسوليَّة ووفقاً للرأي السديد الذي ابداه الفيكنت المشار اليه . يؤيد ذلك ما كتبهُ هذا الحبر الانطاكي بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٨٩٩ في جوابه الى كاتب

التقريرين المذكورين قال :

«... ولنأتِ الآن الى الجواب عن مسئلتين عرضتموهما علينا . ولنا اولًا ان نقرّظ غيرتكم على الطائفة وعلينا . ونثني على ذكائكم ثم نقول : نعم اننا في توقيع امضائنا قد رأينا من الواجب ان نسلك بموجب العادة القديمة التي عليها يجري الاحبار الرومانيون الى يومنا الخ . وينبغي كذلك ان يكون ختمنا بالحبر الاحمر ...»

بهذه الوسيلة تجدد استعمال تلك التقاليد المأثورة التي ورثناها عن آبائنا منذ العصور الغابرة . وقد شاعت الآن هذه التسمية العددية بين الخاصّة والعامّة اذ ايّدها اصحاب الشأن وقرروها بعد اهمالها قروناً عديدة . ومن شاء زيادة ايضاح عن هذه القضية فليراجع ما اورده عنها الفيكنت فيليب دي طرّازي في توطئة كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانيَّة » . ونحيل القارئ اللبيب ايضاً الى مطالعة سلسلة بطاركة السريان في الكتاب نفسه من الصفحة ٤٠٩ الى الصفحة ٤١٥ .

لا ريب في ان هذه السلسلة هي الاولى من نوعها اذ لم يسبق لاحد من كتبة السريان ومؤرخيهم ان ينشر قبل الفيكنت دي طرّازي سلسلة وافية لبطاركة هذه الملة تضاهيها بالدقة والضبط والكمال ورتبة الاسماء العددية[1] . ويستطيع المؤلفون بعد الآن ان يستندوا بكل ثقةٍ الى هذه السلسلة التاريخية ويتخذوها دستورًا صحيحاً لابحاثهم عن البطريركيَّة السريانيَّة الانطاكيّة .

---

١) سبق حضرة الفيكنت فيليب دي طرّازي الفاضل فاطلعنا على فكرته هذه المُصيبة . وقد اعتمدنا عليها وضبطنا اسماء بطاركة السريان الانطاكيين طبقاً للسلسلة العددية في كتابنا « الزهرة الزكيَّة في البطريركية السريانية الانطاكية » الذي نشرناه عام ١٩٠٩ فوجب اذًا ان نكرر هنا لحضرته الجليلة عاطفة الشكر والامتنان .

الفصل الخامس

آل طرازي والبطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني

ما كادت تمرّ سنوات اربع على بطريركيّة السيّد اغناطيوس افرام الثاني حتى طرأت له مشاكل صعبة اختلقها اعداء الخير الذين اعتادوا ان يصطادوا في الماء العكر . فنغّصت عليه عيشه وسببت لهُ ضعفاً لزمهُ سائر ايام حياته. وقد تحمّل البطريرك المغبوط تلك المعاكسة العنيفة بصبر جميل وقلب جري. يجدر بمن كان في مقامه الروحاني العالي. غير انه مَعمَا تذرَّع به من الحكمة والتؤدة في فض تلك المشاكل لم يَرَ من ملفقيها الاَّ الاسترسال في تجسيمها.

ولما كان هـذا الحبر الانطاكي متكلاً في جميع شؤونه على العون الالهي آثر التنحّي عن الكرامة البطريركية بملْ رضـاه . اذ كان يخشى ان تزداد تلك العراقيـل تعقدًا فتفتّ في ساعده عن مواصلة المساعي في تعزيز رعيته واعلاء شأنها . ومن ثم رفع بتاريخ ٢ آب ١٩٠٢ استقالتهُ الى الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في رسالة برقية ذات ثلاث صفحات كبيرة كتبها باللغة اللاتينيّة . ونظرًا لثقته التامة بالفيكنت فيليب دي طرازي كلّفه ان ينقلها بنفسه الى ادارة التلغراف ليكون على ثقةٍ من ايصالها الى مرجعها . ثم نوى ان يرتحل فورًا الى عاصمة الكثلكة ليؤيد استقالتهُ بين يدي الحبر الروماني .

اما مدير التلغراف فانه بلّغ رشيد بك والي بيروت مآل تلك الرسالة البرقية لخروجها عن مألوف العـادة . وكان الوالي يوم ذاك ملازماً فراشه في مصيفه بعـاليه على اثر عملية جراحية أُجريت له . فاخذه الدهش من ذلك الحادث الفجائي واستقدم الاب جوردان الفرنسي لينقل له البرقية عن اصلها اللاتيني الى اللغة الفرنسية . وما وقف الوالي على فحواها حتى ازداد استغرابه وارسل فاستدعى عميـد آل طرازي واستطلعه طلع الامر ليرفعه بدوره

مفصّلًا الى المابين الهمايوني في الاستانة . فاخذ العميد يسرد على صديقه الوالي تلك التفاصيل التي رُفعت بكل أمانة وسرعة الى العرش السلطاني .

ولما كان يتعذر على السيّد البطريرك ان يسافر الى بلاد خارجة عن السلطنة العثمانيَّة دون ارادة شاهانيَّة رغب الفيكنت دي طرَّازي الى صديقه الوالي ان يبادر الى استمداد ارادة سنيّة تؤْذن لغبطته في السفر الى رومية دون تربّث . فاجاب الوالي الى إلحاحه واستحصل امرًا من السلطان عبدالحميد بتسهيل سفر السيد البطريرك حالًا في اليوم التالي .

ركب البطريرك الانطاكي في ٤ آب احدى بواخر شركة المساجري ماريتيم الفرنسيَّة مستصحباً السيد اقليميس ميخائيل نجّاش مطران دمشق الذي كان يعوّل البطريرك على اخلاصه في جلائل الامور ويثق بسداد رأيه في اصعب الخطوب . فركبا كلاهما قاصدين عاصمة الكثلكة . ولم يطّلع على هذا الحادث الخطير احدٌ من ابناء الملة وغيرهم سوى آل طرَّازي فقط . ومن ثم نهض هولاء نهضة الابطال مستأثرين بقول من قال : « للشدائد تذخر الرجال» . وانفذوا الرسائل البرقيّة فورًا الى احبار الملّة والى النواب البطريركيين واعيان الابرشيات في جميع الانحاء يطلعونهم على ما جرى . ثم استحثوهم على رفع الاحتجاجات الى الكرسي الرسولي في رومة برفض قبول استعفاء البطريرك المغبوط . فلبّى الجميع نداءَهم من كل صوب واتفقت كلمتهم على رفع العرائض البرقية والبريدية الى الحبر الروماني في تأييد البطريرك في منصبه ورفض استقالته مصرحين بانهم لن يرضوا عنه بديلًا .

وبتاريخ ١١ آب ١٩٠٢ وصل البطريرك الانطاكي الى رومية . وفي اليوم التالي قابل البابا لاون الثالث عشر مكررًا على قداسته طلب الاستعفاء . فما كان من الحبر الاعظم الاَّ ان طيّب خاطره ثم بادههُ بقوله :

« لسنا نريد ان نسمع منك ايها الاخ المحترم لفظة الاستقالة . لان ملّتك محتاجة الى حسن تدبيرك والشرق مفتقر الى احبارٍ نظيرك يرشدونه بفضائلهم وينيرونهُ بمعارفهم . وكيف يمكننا قبول استقالتك وهذه برقيَّات

جميع مطارنتك ونوّابك واعيان ملّتك تحتجُّ على ذلك معلنة لنا بضرورة تأييدك في منصبك؟ فنروم ان ترجع الى كرسيك لرعاية الخراف التي استودعتك اياها العناية الالهية . ومن صميم القلب ندعو الك وللمطارنة معاونيك ولاقليرسك ولجميع الشعب السرياني بالتوفيق في كل ما يعود الى مجد الله وخير الكنيسة » .

فلم يتمالك البطريرك عن الانقياد لصوت خليفة هامة الرسل الذي لطّف احزانه بتلك العبارات الرقيقة والعواطف السامية . وبالتالي حنى منكبيه احتراماً لارادة الله تعالى وتحقيقاً لاماني الامَّة السريانيّة جمعاء. لاعتقاده الراسخ ان « صوت الشعب صوت الله » .

وبعد ما اقام البطريرك بضعة اسابيع في رومة رأى من الواجب واللياقة ان يعرّج في عودته على عاصمة السلطنة ليؤدي فروض الاجلال والاخلاص للحضرة الشاهانيّة . بيد انهُ ما وصل الى تلك العاصمة حتى اعترضتهُ مشاكل جديدة أقوى من الاولى دبّرها بعض الوشاة ليحولوا دون رضى السلطان عليه وعلى ملّتهِ . فوقع البطريرك في مأزقٍ حرج . ولو لم تداركهُ العناية الصمدية لتعذّر عليه الخروج منه .

وقف آل طرازي على خبر تلك المكيدة الخبيثة فاهتموا لاستئصال شأفتها اهتماماً جدّياً . وراحوا يتداولون مع صديقهم الوالي رشيد بك في اتخاذ الذرائع الفعّالة لرفع تلك التهم عن بطريركهم الصالح السريرة . وتمّ الاتفاق بينهم وبينه على ان يبعث هو بتلغراف الى المابين الهمايوني ينفي فيه تلك الاشاعة الكاذبة ويؤدي في حق البطريرك شهادة صريحة تؤيد اخلاصه للعرش السلطاني . ثم سألوا الوالي ايضاً ان يرسل الى جميع الولايات المشتملة على جماعات سريانيّة كاثوليكية يطلب الى ولاتها ان يرفعوا الى المرجع الاعلى في الاستانة رسالات برقية تنفي تلك الوشايات المزوّرة .

نجحت تلك الجهود والحمد لله نجاحاً باهرًا وظهرت الحقيقة ظهور الشمس في رائعة النهار . وعلى اثر ذلك تبدّل سخط السلطان بالرضى عن

البطريرك وعن ملّتـه التي كانت في كل آنٍ ومكانٍ من أَطوع الملل واوفرها اخلاصاً لدولته . ودلالةً على رضاه امر ان يقابله البطريرك مقابلة خصوصية . وبعد ان اعلن لغبطته اثنـاء تلك المقابلة رضاه التام عنهُ وعن ملته جمعاء أهدى اليه الوسام المجيدي المرصّع الذي لم يكن اهداه فيما سلف الى بطريرك يقيم خارجاً عن دار السلطنة .

وكما تجنَّـد آل طرَّازي في بيروت تجند صديقهم الدكتور لويس صابونجي ايضاً في القسطنطينية لانقاذ البطريرك الانطاكي من تلك المكيدة الشيطانيّـة . وكان الدكتور في ذلك العهد كاتباً خاصّاً ومستشارًا سياسيًّا للسلطان المشار اليه .

على هذا الاسلوب انحلت هاتان المشكلتان الخطيرتان وعاد كيد اعداء الخير الى نحرهم . ثم سافر البطريرك راجعاً الى كرسيه في بيروت معزّزًا منصورًا يرافقه السيّد اقليميس ميخائيل نجّـاش الذي تعهّدهُ كل مدة السفر بالعناية والاجلال . وجرى لاستقباله مهرجان خارق العـادة لم يجرِ مثله لبطريرك سرياني قبله . وقد احتفـل البيروتيون حينذاك وفي طليعتهم آل طرَّازي احتفالًا عظيماً برجوع راعي رعاتهم المغبوط . فاقاموا الولائم ونصبوا معالم الزينة ابتهاجاً بانتصاره واعترافاً بفضله وتعزيزًا لرفعة مقامهِ .

القسم الثالث

آل طرّازي والملة السريانية عموماً



الفصل الاول

آل طرّازي ودير الشرفة

تشتمل مكتبة آل طرَّازي كما قلنا غير مرَّة على مجلدات ضخمة تحت عنوان « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » وقد خُصَّ المجلّد الثامن منها بمجموعة الرسائل التي اوفدها رئيس دير الشرفة الخوري ميخائيل ازرق الى الاسرة الطرَّازية منذ ٢٢ كانون الثاني ١٨٥٣ حتى ١٦ تشرين الاول ١٨٧٥ . ذلك لان آل طرَّازي كانوا متولين قضاء شؤون الدير المشار اليه في بيروت وسوريا واوربا وانحاء شتى .

وما عدا نهوض آل طرَّازي بشؤون دير الشرفة طبقاً لوكالتهم الشرعيَّة فقد ادّوا لهُ من الخدم المجانيَّة ما سجّلهُ لهم الرؤساء بالثناء الخالد . ومدّوه ايضاً بتبرعاتهم السخيَّة وساعدوه في آونة الضيق كما يظهر جليّاً من الرسائل الوافرة التي انفذها اليهم رؤساء ذلك المعهد المبارك . وعلى سبيل المثال نورد فقرةً من رسالة كتبها الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير المشار اليه في ٢٥ تشرين الاول ١٨٦٥ وهي :

« ... ثم ان ما تفضلتم بارساله ليرا مجيدية خمسة وعشرين[1] على وجه الاحسان لديركم المغمور بافضالكم فقد احتسبناه فضلًا محضاً صادراً من قبل شيمكم الحميدة . لان ديركم مديون لغيرتكم وسوابق افضالكم . فنسأله تعالى ان يزيدكم نعماً وبركات . ونتوسّل الى سيّدة النجاة صاحبة المقام ان تكون عطيتكم مقبولة لديها وتضاعف اجركم دنيا واخرى . وتحرسكم مع عيالكم من كل كدر على الدوام... »

وقد سبقنا فذكرنا في الفصل الثاني من القسم الاول تحت عنوان « آل طرّازي وتكوين الملّة السريانيَّة في بيروت » صفحة ١٨ ما كتبه العلّامة الدكتور لويس صابونجي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ الى الفيكنت فيليب دي طرّازي ممَّا يؤيد حقيقة ما نحن في صدده . والآن نضيف الى ذلك ما كتبه الطيّب الذكر مار اغناطيوس فيلبُّس الاول الى الكنت نصرالله دي طرّازي من دمشق بتاريخ ١ حزيران ١٨٦٧ ونصّه :

« ...فيا حضرة ولدنا العزيز انكم تعرفون انه لا يوجد لنا مساعدون سوى بعض ذوات قلائل الذين أخصّهم انتم . وحضرتكم اكبر المساعدين لدير الشرفة من زمن والدكم المرحوم ... »

وما عدا اهتمام آل طرّازي بتعزيز دير الشرفة فانهم كانوا يكابدون مشقّات السفر اليه ركوباً على الخيل قبل انشاء الطرق الحديثة العهد . وكانوا يقصدون ذلك المعهد المقدس كلما دعت الحال وكلما جرى فيه احتفال من الاحتفالات الدينيَّة كتنصيب بطاركة وسيامة اساقفة او كهنة . وفي هذا الدير سيم سليلهم الخورفسقفوس اندراوس طرّازي كاهناً بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ بعد ما تلقّن فيه العلوم الكهنوتيَّة . وهو باكورة الكهنة الذين

---

١) الليرة المجيدية هي عين الليرة العثمانية الذهبيَّة المتداولة في يومنا . وقد سُمّيت « مجيدية » نسبةً الى السلطان عبد المجيد الاول (١٨٣٩ – ١٨٦١) الذي كان اول من أوجد نقودًا ثابتة في السلطنة العثمانية . وما قلناه عن الليرة المجيدية يقاس ايضًا على الريال المجيدي وفروعها .

رقَّاهم مار اغناطيوس انطون الاول الى الدرجـة المقدسة في اول عهد بطريركيّته .

على ان آل طرَّازي كلما كانوا يقصدون ذلك الـدير الشريف كانوا يجودون عليه بيد سخيَّة عربوناً لاعتبارهم له وتعزيزاً لمقامه . ولمـا تفشّى الهواء الاصفر (الكوليرا) في بيروت عام ١٨٦٥ ارسل الخوري ميخائيـل ازرق رئيس الدير يستدعيهم اليه ويصرّح لهم بانه قـد أَخلى جميع الغرف وهيأها لهم ولانسبائهم كي يقضوا فيها فصل الصيف . وقد ابَى آل طرَّازي دعوة الرئيس الجليل ويمموا ذلك الدير ونصبوا في ساحته خياماً خصصوها بسكناهم ريثما تمكنوا من تنظيف الغرف وتجهيزهـا على نفقتهم بالاثاث الجديد بدلًا من الاثاث القديم . هكذا قضوا في ذلك الدير اربعة اشهر حتى انقشعت سحابة الكوليرا عن بيروت . فلما عاد الرئيس والتلاميذ من ميروبا شاهدوا الدير في حالة جديدة غير الحـالة التي تركوه فيها . فأطلق الرئيس لسانهُ بالثنـاء على اريحيَّة آل طرَّازي وشكر لهم تلك المكرمـة التي لم تخطر بباله .

وَزِدْ على ذلك كلّه انـه لمَّا باشر البطريرك مـار اغناطيوس جرجس الخامس بناء كنيسة جديدة في دير الشرفة عام ١٨٧٥ تبرّع آل طرَّازي في هذا السبيل بمبلغ ٤٢٩٠ غرشاً ذهباً كما هو مثبت في سجلّ الدير المومأ اليه .

وقـد تلقّى الكنت نصرالله دي طرّازي دعوة رسميَّة وجهها اليـه البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس في ١٨ تموز ١٨٨٨ ليحضر الاحتفال هو وانجاله الاربعة بافتتاح مجمع دير الشرفة واختتامه . وقد القى نجله الثالث الفيكنت فيليب في اليومين المذكورين خطبتين نفيستين على المائدة . ودبّج خطبته الثانية بابيات شعرية ختمها ببيت تاريخي لعقد ذلك المجمع الشهير هذا نصّها :

احبـار ملّتنا اقـاموا مجمعاً نالوا به في الشرقِ أبعدَ شهرةِ
للدينِ والتهذيب خيرَ شرائعٍ سنّوا بعهد البطرك ابن الشلحتِ



فتح الله طرّازي

١٨٣٥ — ١٨٩٢

أَحيوا رسوماً قد عفت آثارها　　من خاليـات الأعصر الرسليَّةِ
فقضوا بذلك مُنيةً كنّا الى　　تحقيقها نسعى لفخر المـلّةِ
سقياً لهـذا البطريرك فعهدُهُ　　برئاسة السريان زاهي الطلعةِ
لا غروَ فهو بيمن تاريخٍ أَبٌ　　فيهِ لهم شرفٌ بمجمع شرفةِ

١٨٨٨

وكان لخطابَي الڤيكنت فيليب رنَّة استحسان لدى احبار الملة قاطبةً. فطلبوهما منه رسمياً ليُدرَجَا في أَعمـال المجمع فلبَّى طلبهم. ولما ارسل نصّ الخطاب الاول بعث اليه المطران ربّولا افرام رحمـاني برسالة مؤرخة في ٢٨ تموز ١٨٨٨ جاء فيها: «... قرأت النطق الذي تلوتَهُ حين الطعـام والذي اتحفتني بنسخة منهُ فطاب لي جدًّا. وقد أَمرتُ الكاتب بنقله الى كتاب اخبار مجمعنا... أَعِدُ النفس وأُمنّيها بانك طبقاً لوعدك ستأتينا الى الشرفة وتلبث لدينا ايّاماً...»

ولما قررت حكومة جبل لبنان عام ١٨٩٤ مـدّ طريق العربات من جونية الى صرود كسروان فرضتْ على القرى والديورة المجـاورة للطريق مبلغاً من المال. فارتضى رئيس دير الشرفة ان يدفع مائة ليرة عثمانيَّة ذهبية بشرط ان تمرّ تلك الطريق بجانب الدير. غير انهُ لما باشرت الحكومة هذا المشروع وطالبت المكتتبين ان يؤدّوا ما عليهم تمنّع وكيلا الدير عن الدفع ظنًّا منهما ان الحكومة تغض النظر وتعفي الدير مما تعهّد بـهِ. بيد ان الحكومة شدّدت الطلب على الوكيلين توصّلًا الى حقوقها المشروعة. فوقع الخورفسقفوس بولس هبرا رئيس الدير في مأزقٍ حرج بداعي تعنّت الوكيلين وأخذ يستعطف اهل الحـلّ والعقد فلم يفز بالنتيجة المرضيَّة. وحين ذاك استنجد آل طرّازي اصدقاء دير الشرفة منذ قـديم الزمان راجياً منهم ان يتوسطوا بين حكومة لبنان وبينهُ لحل الخلاف. فعرض آل طرّازي هـذا الامر على صديقهم نعوم باشا متصرف جبل لبنان وسألوه ان يخفّض المبلغ الى خمسين ليرة عثمانيَّة ذهبيَّة بدلًا من المائة ليرة. فاجاب الباشا الى طلبهم

كرامة لخاطرهم وحسماً للخلاف الذي طالَ مداهُ .

لكنّ الحكومة كانت قد بدّلت اثناء تلك المفاوضات تخطيط الطريق وقرّرت بداعي الاختلاف مع الوكيلين تحويلهُ عن دير الشرفة . وهكذا أصبح الدير بعيداً عن الطريق العامّة وحُرم سكانهُ منافعها . وقد اقرّ الوكيلان بغلطهما بعد ما شاهدا بامّ العين ما ينجم من الفوائد العظيمة عن انشاء الطرق العامَّة . وفي السنة ١٨٩٧ رأى الرؤساء ان لا مندوحة لهم عن ايصال الطريق الى الدير فأنفقوا في سبيل ذلك اضعاف المبلغ الذي سبقوا فدوّنوه في الاكتتاب . واصبحوا علاوة على ذلك مضطرّين ان ينفقوا كميَّة من المال سنةً فسنةً على حساب الدير لاجل تعبيد تلك الطريق الخاصّة والمحافظة عليها .

وفي السنة ١٨٩٧ توجّهت الكونتس منة دي طرّازي وانجالها قاصدين ميروبا لقضاء فصل الصيف . فعرّجت في طريقها على دير الشرفة حاملة معها ثمانية شمعدانات جميلة اتحفت بها كنيسة سيّدة النجاة عليها السلام .

وفي السنة ١٨٩٨ انطلق الفيكنت فيليب دي طرّازي الى الدير عينه وتبرّع بمبلغ من المال ينفق على تبليط الممشى التحتاني والغرف المحيطة بهِ . وكان ذلك في عهد رئاسة الخورفسقفوس بولس هبرا . ولم يكتفِ الفيكنت بمساعداته الماليَّة للدير في كل مرة كان يزوره بل أسنى اليه من الهدايا الثمينة والتحف القيّمة والرسوم النادرة والخرائط التعليميَّة ما خلّد لهُ فيه اجمل تذكار .

وقد دفعتهُ محبّتهُ لهذا الدير وغيرتهُ على تعزيز شأنه الى ان ينشئ لهُ تاريخاً مفصَّلاً مستوفىً سمَّاهُ « التحفة في تاريخ دير الشرفة » جمع فيه أخبار ذلك المعهد الملّي فأورد فيه حوادث تأسيسه والمحسنين اليه . واخبار كنيسته والمجامع التي عقدت فيه . ثم أثبت حوادث مطبعته ومدرسته ومكتبته . وأسهب في ذكر السادة البطاركة الذين اقاموا فيه والكهنة الذين تولوا رئاسته والاحبار الذين اشتهروا بين تلامذته . وسرد اسماء الكتبة الذين

نبغوا من طلبة مدرسته مع عناوين مؤلفاتهم . الى غير ذلك من الفصول التي يتوق الى مطالعتها ذوو البحث عن آثار الشرق والشرقيين . وقد ضمّن المؤلف هذا التاريخ فوائد كثيرة لم يسبقه الى ذكرها احد من ابناء الملّة اكليريكياً كان ام عالمياً . فاستحق على عمله الثناء المتواصل والذكر الجميل الخالد من ابناء الملة عموماً ومن تلامذة الشرفة خصوصاً .

ولا بأس ان نضيف الى ما سبق ذكرى مكرمةٍ جليلة اتاها الفيكنت فيليب المشار اليه عربوناً لمحبته واعتباره لدير الشرفة وحرصاً على آثاره المقدسة . فانه اعتنى عناية خاصّة بصورة سيّدة النجاة التي كان المثلث الرحمات مار اغناطيوس ميخائيل الثالث مؤسس الدير يستصحبها في اسفاره . وقد كانت تلك الصورة مهملة منسيَّة وكان مصراعاها مبعثرين في زوايا الدير . فجمع الفيكنت حرسَهُ الله كل ذلك وكلّف احد الرسَّامين المشهورين باعادة الصورة الى رونقها القديم . ثم استصنع لها صواناً من البلّور والخشب الممتاز ونصبها في مذبح الدير الكبير .

ومما نذكرهُ لهذا الفيكنت الغيور الهمام انهُ لما بلغهُ ان الحكومة الايطاليَّة استولت على دير السريان الكاثوليك في رومية[1] وحوّلتهُ الى بيوت للسكنى خشي ان تأخذ يد الضياع ضريح منشئه الحبر الجليل السيّد اثناسيوس سفر العطّار († ١٩٢٨) مطران ماردين . فكتب حالًا الى صديقه الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي في رومة وطلب ان يرسل اليه هامة الحبر المشار اليه لتحفظ في دير الشرفة . فلما استحضرها هيأ لها الفيكنت صندوقةً من خشب وزجاج واستكتب تاريخها ووضعها في مكتبة الدير كذخيرة ثمينة الى هذا اليوم .

والى الفيكنت فيليب يرجع الفضل ايضاً في إِحياء ذكر أَقدم الذين احسنوا الى دير الشرفة او بذلوا اتعابهم لاجل تأسيسه . فانه كتب الى البلاط

---

١) طالع اخبار هذا الدير في كتاب « السلاسل التاريخيَّة » صفحة ٣٥-٣٦ لمؤلفه الفيكنت فيليب دي طرّازي .

الملكي في اسبانية وطلب رسميًا صورتَي الملك كراس الرابع وزوجته الملكة ماري لويز كي ينصبهما في دير الشرفة تخليدًا لذكر هذين العاهلين وعرفاناً لاحسانهما. وما ان وصلت اليه صورتا الملكين المشار اليهما حتى بادر الى تكبير حجمهما على نفقته . ثم وضعهما ضمن إطارين وزيّن بهما بهو ذلك الدير العامر.

ومن حسنات الفيكنت فيليب دي طرّازي انه اعتنى بجمع اهمّ الوثائق واقدمها التي كانت مبعثرة في زوايا دير الشرفة . فرتّبها واحدة فواحدة ثم ضمّها الى بعضها وأحضرها الى بيروت وأوعز الى مدير المطبعة الكاثوليكية ان يجلّدها بعد اصلاح ما تمزّق منها . وما صنعهُ بتلك الوثائق الثمينة صنعهُ كذلك بالاُسْطاثيقونات البديعة التي خلّفها الاجداد وكاد يذهب الدهر برونقها لتراكم الغبار عليها او لكثرة تداولها بين ايدي مَن لا يدرك قيمتها الاثريّة . فأرشدتهُ فكرتهُ الواسعة الى اتخاذ وسيلة مشكورة لوقايتها والحرص عليها . وهي انه احضرها ايضاً الى بيروت وكلّف بعض ذوي الفن الشرقي باعادتها الى حالتها القديمة من دون ان يعتورها خلل . ثم الصقها بقماش متين واستصنع لكل منها صواناً خاصاً بهِ يبقى محفوظاً ضمنهُ على كرور الاحقاب . وأهدى كذلك الى متحف دير الشرفة محفظةً تحتوي على أثرٍ من لحية العلّامة السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق وعلم علماء الملة السريانية في القرن التاسع عشر رحمهُ الله تعالى .

ومما لا يسعنا ان نغمّض عنه في هذا المعنى ان الفيكنت حرسه الله رأى أنّ اضرحة البطاركة والاساقفة المدفونين في مصلّى دير الشرفة خاليةٌ من أثر ظاهر يذكّر الخلف بالسّلف . فاقترح ان تقام في جدران هذا المصلّى القديم صفائح رخاميّة ينقش على كل منها اسم حبرٍ من اولئك الاحبار مع تواريخ ولادته وسيامتهِ ووفاتهِ . فيكون ذلك مدعاةً الى تجديد ذكرهم الطيّب والترحم على نفوسهم . وتحقيقاً لهذه الفكرة الصالحة سبق فاستصنع صفيحةً رخاميّة نقش عليها اسم السيّد كوارتس انطون دياربكرلي اول

اساقفة السريان في بيروت . وهي اول صفيحة من الصفائح التذكارية التي دُبّج بها المصلّى المشار اليه . ومنذ ذاك العهد اخذ رئيس الدير وسكّانهُ يقصدون هذا المعبد المهيب كل يوم سبت بعد صلاة الغروب لاقامة تشمشت (ܬܫܡܫܬܐ) الموتى عن ارواح الاحبار الراقدين هناك بالرب .

ولما ضربت المجاعة اطنابها في انحاء جبل لبنان اثناء الحرب العظمى (١٩١٤—١٩١٨) وقع دير الشرفة في عسرٍ مالي شديد لم يسبق له مثيل منذ تأسيسه . لانهُ نكب حين ذاك بتناقص وارداته وزيادة نفقاته وتكاثر عدد سكّانه . فاضطرّ الى استقراض الاموال بفائدة باهظة للقيام بمعيشة جميع النازلين به واللاجئين اليه والمحتاجين الى احسانه[1] . فحرّكت الشفقة عواطف الفيكنت فيليب الذي نهض حالًا وسعى في ارسال ثمانية عشر قنطارًا من الحنطة على سبيل المساعدة الى الدير لوجه الله تعالى. وقد تسلّمها وقتئذٍ المونسنيور افرام حيقاري الذي كانَ رئيساً على ذلك الدير اثناء الحرب . ولم يقف الفيكنت عند هذا الحدّ من المساعدة للدير المذكور بل بعث اليه على يد الرئيس المشار اليه مرات شتى بكميات وافرة من الالبسة التي خاطتها والدته وزوجته وشقائقه بايديهنَّ لتوزع على تلامذة دير الشرفة وعلى اكثر الفقراء المقيمين حوله. واجتهد كذلك مع زوجته السيّدة اوجيني في انقاذ حياة ستين ولدًا ذكورًا واناثاً من سكان القرى المجاورة لهذا المعهد المبارك أَو من أولاد مزارعيه في بقعاتا وميروبا ورعشين ومزرعة كفردبيان وغيرها بادخالهم الى المآوي الخيرية والمطاعم المجانيَّة[2] في بيروت . واليك فقرة من رسالة وجهها المونسنيور افرام حيقاري الى الفيكنت فيليب

---

١) لدى حلول تلك الضائقة المالية لجأ المونسنيور افرام حيقاري رئيس دير الشرفة الى اريحية الفيكنت فيليب دي طرّازي . وكتب اليه بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩١٧ يسأله ان يجد لهُ شخصاً يقرض الدير مبلغاً من المال . فاجاب الفيكنت بكل ارتياح الى سؤاله وانجز رغبته .

٢) تؤيد ذلك رسالتان وجهها البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني من قرية ميروبا الى الفيكنت طرّازي بتاريخ ٩ و١٩ ايلول ١٩١٧ .

بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٦ تؤيد ماسبق بيانه قال :

« . . . اني اشكركم تكراراً على شحنة الثياب الثانية التي تكرَّمتم بها لتوزّع على الفقراء المساكين . وكل الذين أَصابهم منها شيء رفعوا الادعية الحميمة الى العزّة الالهيَّة بشأنكم وشأن عائلتكم الكريمة . فاقدّم لجنابكم امتنانهم الخالص . والله المسؤول ان يمنحكم الاجر الوفير وهو القائل : « كنتُ عرياناً فكسوتموني »

ومن جملة الايادي البيضاء التي جاد بها الفيكنت فيليب على دير الشرفة اثناء الحرب الطاحنة انه ارسل اليه كميّة وافرة من القراطيس لاجل الكتابة . وكان الورق في ذلك الوقت العصيب غالي الثمن ونادر الوجود . فكتب رئيس الشرفة المنسنيور افرام حيقاري عينه الى المحسن المشار اليه بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٧ قائلًا : « تشرّفت بكتابكم وبه تعلموني بارسال رزمتين كبيرتين من الورق لكتابة الرهبان . قد استلمتُ الورق المذكور وهي بالحقيقة هدية ثمينة خاصة في هذه الآونة . فرأيت ان اتشرَّف وارفع اليكم اعظم الشكر على اياديكم البيضاء . وصار سائر التلامذة الرهبان يتذكرونكم ويصلون لكم وللعائلة ليس مرة في اليوم بل مرات عديدة لدى كتابة فروضهم الخ » . وما عتَم ان اعاد الرئيس ذاته الكرَّة فطلب ايضاً بتاريخ ٥ تموز ١٩١٨ كميّة اخرى من الورق فلبى الفيكنت طلبته بكل ابتهاج .

وقد قدر الرؤساء للفيكنت فيليب فضله وجميله وتحدّثوا بعبقريّته ومكارمه . وأَبدوا له عواطف الشكر خصوصاً لما تبرّع به على مكتبة دير الشرفة من نفائس الكتب والمخطوطات . فكتب اليه السيّد المطران اقليميس ميخائيل نجَّاش رئيس الدير رسالة مؤرخة في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥ نقتطف منها ما يلي :

« . . . كن على ثقةٍ ايها الوجيه الاريحيّ ان الشرفة ستشيد بمكارمك وتبثّ في الملأ جميلك عليها ونعمك اليها ما قامت آثارها . وتذكّر بنيها على

تعاقب الزمان بما تقرأه عليهم من سجلات المحسنين اليها : ان آل طرازي وعلى الخصوص الفيكنت فيليب كان من محبيها ومن المفضلين عليها . وتوجب عليهم الصلاة عليك حياً واستمطار غيوث الرحمة والرضوان من بعد العمر الطويل عليك راقداً . هذا ونرغب الى فضلك ان تتمّ يدك فتخصّ خزانة كتبها برسمك فيزيّنها تخليداً لحسن آثارك وآية لاعترافها باجلال قدر المحسنين اليها ... » .

وكتب اليه ايضاً خالفه في رئاسة الدير الخورفسقفوس جرجس ستيته (مطران دمشق حالًا) رسالة مؤرّخة في ١٥ كانون الثاني ١٩٣١ ورد فيها ما نصهُ : « ... فان لجنابكم على شرفتنا وشرفتكم من الايادي البيضاء والنعم الغرّاء ما يجعلنا مدى الدهر ننشر آلاءكم ونذيع مكارمكم » .

وخلاصة القول اننا لا نعرف رجلًا سريانياً جاد على دير الشرفة بالتحف الثمينة كالفيكنت فيليب دي طرازي . فان ولعه بتعزيز مكتبته جعله ان يصرف الايام الطوال في تنظيمها وتبويب مواضيعها وتجليد قسم وافر من مصاحفها . ثم أهدى اليها نيفاً وألفين واربعمائة مجلد ونحو المائة والثمانين كتاباً مخطوطاً . وبين هذه المخطوطات طائفة من المجلدات التي ألّفها الفيكنت وكتبها بخطّ يده ولم يتيسّر له نشرها . فكانت تلك العوارف باعثاً ليثني على أريحيّته جميع محبي المعهد المذكور وفي مقدّمتهم غبطة السيّد البطريرك مار اغناطيوس جبرائيل الاول . فانه انفذ اليه بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٣٠ رسالة نفيسة نجعلها مسك الختام لهذا الفصل . واليك نصّها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول البطريرك الانطاكي

« حضرة ولدنا السريّ الفاضل الفيكنت فيليب دي طرّازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت الاكرم رعاه الله تعالى

« نهدي اليكم البركة الرسوليَّة والسلام والمحبة بالربّ

« امَّا بعد حمد الله عزّ شأنه فنقول : لئن قام في بني السريان رجالات

عظام من ارباب الكهنوت امتلأوا غيرة على صالح الطائفــة وبذلوا النفس والنفيس في سبيل اعلاء منارها ورفع شأنها فلم تُحرم الامة ما بين ابنائهــا العالميّين ممّن ضاهوا اولئك الاعلام في غيرتهم وبذل نفسهم وذات يدهم في هذا السبيل.

« وليس من مقصودنا في هذه العجالة تعداد المبرّزين في هذه الحلبة من تينك الطبقتين ولا وصف ضروب الخير المتعدّدة التي آتوهــا الامّــة . بل نقصر الكلام على احدى المآثر — وقد دعانا الى ذكرها تفقّدنا خزانتي كتب دير كرسيّنا البطريركي في الشرفة — ونأتي بشاهدين من الفئتين المذكورتين على ما قدّمنا.

« لا غرو ان السعي الحثيث في انتقاء الكتب النفيسة والمؤلفات الثمينة وتوفيرهــا في كل فرعٍ من فروع العلم الصحيح والفنون الجميلة وتأليف خزانة صالحة منها ووقفها على معهدٍ يزاوله الساعون في نشر الفضيلة والعلم والادب. ويختلف اليه المدعوّون ليكونوا يوماً قادة الامة ونبراسها هو من اقوى العوامل على فلاح تلك الامــة وانجع الوسائل في رقيّهــا ورفع قدرها.

« ولقد أَلفينا من جملة الناشطين لهذا العمل طبقاً للآثار التي طالعناها في خزانتي معهد الشرفة البطريركي فردين كريمين وشاهدين كبيرين من الطبقتين يدعونا الواجب ان ننوّه باسمهما خصوصاً :

احدهما هو سالفنا المجيد الطيّب الذكر السيّد اغناطيوس ميخائيل الثالث من اسرة جروة النبيلة مؤسس هذا دير كرسيّنا الانطاكي . فقد عانى هذا الحبر القديس على قلّة ذات يــده الامرَّين في جمع طائفةٍ صالحةٍ من تلك المصاحف بالسريانيَّــة والعربيَّة . منها ما وضعه هو نفسه . ومنها ما نسخه بخطّ يده المباركة . ومنها ما استنسخه غيره . ومنها ما هو منشور بالطبع اشتراه بماله . وقد ضمّ الى هذه المؤلفات ما كان في حوزة والده الشماس نعمة الله وشقيقــه الكافلير جبرائيــل . ثم وقف مجموع ذاــك كلّه على

دير الكرسي البطريركي . يؤيد ذلك الصكوك والمخطوطات الشتى المصونة بكل حرص في سجلاته وفي داري كتبه كلتيهما .

« اما الشاهد الثاني من فئة العالميين فاننا بملء الارتياح والمفاخرة نثبت اسمكم الكريم ونأتي بكم حجة دامغة وشاهداً لا يدافع ايها الابن الحبيب يا حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي النبيل . فهذه كتبكم الوافرة اليتيمة من منظوم ومنثور وعلوم وفنون . ومن مخطوط نادر ومن منشور بالطبع قيّم باللغات المختلفة . وقد صرفتم في تأليفها او نسخها بخط يدكم العمر والسهر الطويل . او انفقتم في سبيل الحصول عليها الدنانير الوهّاجة . واصبحت اليوم تزيّن خزانتي كتب الشرفة المخطوطة والمطبوعة ووُسمت باسم واقفها الكريم . فهذه الكتب لهي بيّنات ناطقات بغيرتكم المتقدة المتأجّجة على صالح الامة وبفضلكم المتواصل على معهد الشرفة المقدّس وبكرم تلك العترة الطيّبة الاصول والزكيّة الفروع التي تنتمون اليها وهي عترة آل دي طرازي الشريفة .

« اننا ننتهز هذه الفرصة ايها الابن العزيز الغيور لنثني الثناء الجميل على اريحيّتكم . بل نشكر لكم الحديث والقديم من عوارفكم . ونسأل المولى المنّان ان يزيدكم فضلاً ويتولى عنا وعن دير كرسيّنا الانطاكي مكافأتكم في الدارين .

« وفي الختام ندعو لكم من صميم القلب بمزيد التوفيق وطول البقاء . ثم نهدي اليكم تكراراً والى افراد اسرتكم الكريمة البركة الرسوليّة والسلام والمحبة بالربّ . حرسكم المولى واياهم مديداً .

« عن دير كرسيّنا البطريركي في الشرفة ٢٠ ايلول ١٩٣٠ »

الفصل الثاني

آل طرّازي والكنائس والاديار السريانيّة

لم يقتصر آل طرَّازي على مساعدة ملتهم وكنائسها ومعاهدها في ابرشية بيروت فحسب بل شملت غيرتهم ابرشياتٍ اخرى . ولدينا شواهد جليلة تنطق بمآتيهم في سبيل امتهم السريانيَّة وتعزيز شؤونها ادبيًا وماديًا . واليك بعض ما عثرنا عليه من تلك المبرات نوجزه في ما يلي :

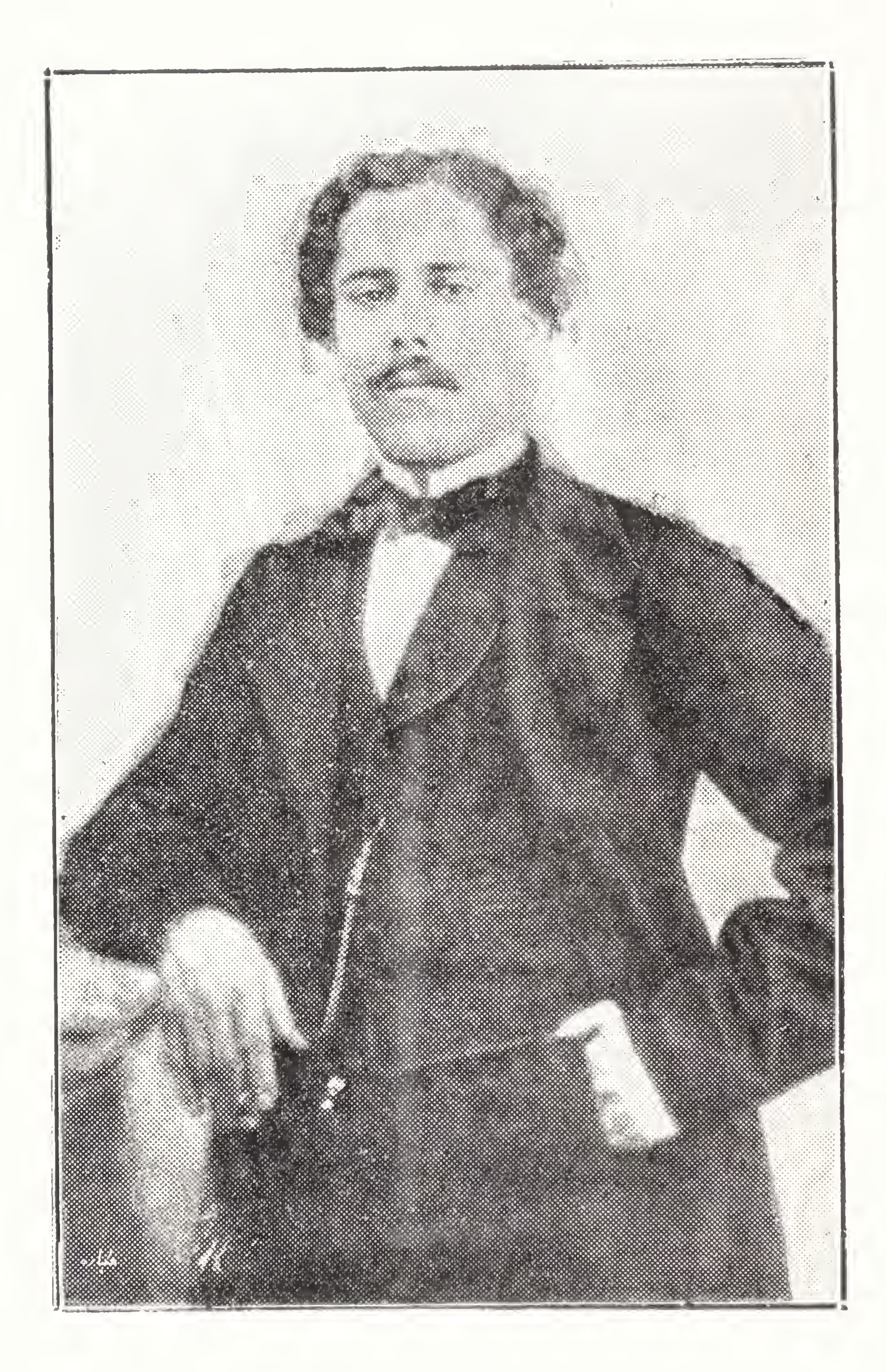
١ : الكنيسة الكاتدرائية في حلب

كان المرحوم الياس طرَّازي (١٨١٢ـ١٨٥١) رجلًا بارًا زهد في الحطام الدنيا وقضى شطرًا كبيرًا من حياته في خدمة المشاريع الخيرية . ومن مآثره الطيّبة أنه اهدى الى كنيسة السيّدة في الشهباء وطنه نذورًا شتى . نذكر منها انجيلًا مصفحاً بالفضّة وموشّى برسوم ذهبيَّة تمثّل آلام السيّد المسيح لهُ المجد وتحيط بزواياه الاربع رسوم الانجيليّين الاربعة . وقد نهبهُ السالبون بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠ لدى احتراق الكنيسة والدار البطريركيَّة المجاورة لها . ولما سافر المرحوم نعمةالله طرَّازي[١] (١٨٢٥ـ١٨٩٧) من

---

١) انتقل نعمةالله طرازي الى رحمة ربه بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٨٩٧ في مدينة مرسيليا . وقد أرّخ وفاتهُ بهذه الابيات صديقه العلّامة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة في السلطنة العثمانية سابقًا ومعرّب «الياذة اوميرس» واحد منشئي « دائرة المعارف » البستانيَّة قال :

اليومَ عن آل طرّازي الكرام نأى	شهمٌ بكاهُ ذوو الحاجات حين مضى
أَبقى لهم بعدهُ الذكرَ الجميلَ وفي	مرسيليا سعدهُ مثلَ الشهابِ أضا
يرثي الورى نعمةَ اللهِ الذي رُزئت	بـه القلوب فلا ترجو لـهُ عوضا
هذا الذي عاشَ في دنياهُ محترمًا	تاريخهُ في الاعالي رحمةٌ ورضى
	١٨٩٧



نعمة الله طرّازي

١٨٢٥ — ١٨٩٧

مرسيليا الى حلب عام ١٨٧١ ذكرهُ مطران الابرشيَّة السيّد ديونوسيوس جرجس شلحت بكتاب الانجيل المشار اليه آسفاً على فقدانه شديد الاسف. فما كان من المرحوم نعمةالله الّا ان رغب الى المطران ان يصيغ بالفضّة على نفقته جميع دفَّات اناجيل الكنيسة المذكورة. فأثنى المطران الجليل على اريحيَّة هذا الشهم الكريم ودبّج جميع اناجيل الكنيسة بدفَّات فضيَّة. ثم كتب رسالة مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٨٧٢ الى آل طرَّازي محوّلًا عليهم قيمة اكلاف تلك الاناحيل فادّوها لسيادته بالشكر والامتنان.

٢ً : كنيسة مار الياس الحيّ في القاهرة

ثم اننا نذكر بالرحمة الخورفسقفوس اندراوس طرَّازي الذي قرأ العلوم في دير الشرفة ورقَّاه السيّد اغناطيوس انطون الاول الى الرتبة الكهنوتيّة في ٨ كانون الثاني ١٨٥٤. وهو باكورة الكهنة الذين وضع عليهم اليد هذا البطريرك المغبوط. ثم انفذه الى القطر المصري بمثابة نائب بطريركي فجمع شمل الملة واستحصل الامر باستعرافها رسمياً لدى الحكومة المصرية في عهد الخديو سعيد باشا. وكان الخوري اندراوس من اكبر الساعين في تشييد كنيسة مار الياس الحيّ مع دارٍ لسكنى كاهن الرعيَّة في محلة درب الجنينة بالقاهرة.

٣ً : دير مار افرام الملفان في ماردين

ولآل طرَّازي اياد بيضاء على دير مار افرام المؤسس في الناحية الغربيَّة بماردين. ومن حسناتهم الكثيرة اليه انهم اتحفوه عام ١٨٩٨ بصورة كبيرة مرسومة بالزيت تمثّل مار افرام الملفان جالساً الى باب منسكه تحيط به جفنة فنواء. وتُشاهَد فوقهُ صورة مريم العذراء حاملة على ذراعيها ابنها السيد المسيح عزّ شأنه. وتعدّ هذه الصورة الرائعة من ابدع ما رسمته ريشة مصوّر في هذا الزمان. واضاف الفيكنت فيليب الى هذه المبرّة انه

استصنع صورة كبيرة مفتخرة تمثل رئيس ذلك الدير الخورفسقفوس افرام احمردقنه المشهور بتقواه وفضيلته .

وواصل الفيكنت فيليب حسناته الى دير مار افرام في احوال مختلفة بحيث ان رئيسه ورهبانهُ اعربوا لهُ في فرص شتى ورسائل عديدة عن عواطف معرفة الجميل . وحسبنا ان نثبت هنا رسالة وجّهها اليه ذلك الرئيس الجليل بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩١١ قال :

« ... على انكم لم تكتفوا بمساعدة الطائفة جمعاء ببرّاتكم وتبرّعاتكم الوافرة بل رحتم تخلّدون لها الذكر الجميل بتآليفكم وتصانيفكم . وايم الحقّ اننا لا سمح الله اذا حاولنا انكار معروفكم وسماحتكم وسخائكم نهضت آثاركم التي في بيعنا ومعابدنا وغرفنا فبكّتتنا ووبّختنا . وعليه فقروننا تردّد ذكركم الجميل خاصةً عندما نرى اسم اسرتكم النبيلة مرقوماً في صورة ابينا مار افرام التي جدتم بها على ديرنا . دعوا غيرها من الآثار التي تُذكر فتشكر . على ان النفيس نفيس اينما حلّ . والكريم كريم كيفما كان .

« والآن نعلمكم ايها الفيكنت العزيز الفاضل اننا انشأنا يانصيباً خيريًّا لديرنا ووزّعنا اوراقه على الابرشيَّات . وارسلنا باسم حضرة الخوري يوسف اسطنبولي الفَي ورقة ليوزعها في بيروت وتوابعها . فنفزع الى حضرتكم ملتمسين من غيرتكم ان تُعينوهُ وتسعفوهُ فان لكم اليد الطولى في ذلك . وقد شكونا علّتنا الى طبيب وانزلنا حاجتنا بكريم لهُ الذكر الطيّب المخلّد في قلبنا وقلب جميع الرهبان »

٤ : الكنيسة والنيابة البطريركيَّة في اورشليم

وفي السنة ١٩٠٠ عزم السيّد اغناطيوس افرام الثاني ان ينشئ في القدس الشريف معهدًا للملّة . فكلّف الفيكنت سليم دي طرَازي ان يتوجه الى تلك المدينة لانتقاء ارض صالحة يؤسّس فيها معبدًا ومركزًا للنيابة

البطريركيَّة. فسافر الفيكنت الى القدس وصرف الجهود الطيِّبة في مشترى بقعة الارض الواقعة تجاه دير «سيِّدة فرنسة» للآباء الصعوديّين. ثم عاد الى بيروت فوضع خريطةً لتلك الارض وخريطة ثانية للبناء بواسطة يوسف افندي افتيموس عميد المهندسين في لبنان. وعلاوةً على ما تبرّعت به اسرة طرّازي على النزل المذكور فان سليلهم الفيكنت فيليب اسنى اليه ايضاً بمائة ليرة ذهبيَّة. وكان هو واخوته من اكبر المعاونين لغبطة السيِّد اغناطيوس افرام الثاني في انشاء يانصيب يُرصد ريعه لهذا المشروع الطائفي. وقد حُدّد ثمن كل ورقة من ذلك اليانصيب بخمسة فرنكات ذهبيَّة. هكذا صار تشييد اول مركز للسريان الكاثوليك في اورشليم وانتهى بناؤه عام ١٩٠٣

٥ : كنيسة الخرطوم

لما افتتحت الجيوش المصرية الانكليزية بلاد السودان اخذت حكومة تلك البلاد تنشِّط رؤساء الاديان الى تشييد المعابد فيها حبًّا لترقيتها وعمرانها اذ كانت الى ذلك العهد تتخبط في دياجير الجهل. واظهرت الحكومة حين ذاك استعدادها لمنح كل ملّة ارضاً بلا ثمن كي تشيّد فيها معبدًا لاتباعها. وقد شرطت لاجل تأييد حق التملّك ان يُباشر البناء قبل مرور ثلاث سنوات على تاريخ تلك المنحة. وقرّرت انهُ اذا مرّت المهلة قبل مباشرة البناء فللحكومة الحقّ في استرجاع ما منحتهُ من تلك الارض.

انتبه آل طرّازي لهذا الامر الخطير وفاوضوا لساعتهم بطريرك الملّة المغبوط مبيّنين لغبطته الفوائد العظيمة التي تنجم عن تأسيس هذا المركز الجديد. فكلّفهم غبطته ان يمهّدوا الطرق ويبذلوا الجهود للاستفادة من تلك الفرصة. فاخذوا يراجعون من يعتقدون بكفاءتهم تحقيقاً لامنيَّة السيِّد البطريرك وتعزيزًا لشأن الملّة. وما مرّ القليل من الزمان حتى تمهدت السبل وأُجريت المعاملات الرسميَّة وأُعطي السريان بقعة ارض فسيحة واقعة بجانب

شارع غردون في الخرطوم العاصمة. وسُجّلت تلك البقعة باسم الملّة السريانيَّة الكاثوليكيَّة وفقاً للشروط المبيّنة آنفاً. غير ان المهلة الممنوحة انقضت قبل المباشرة بالبناء. فذهبت المساعي كأنها ادراج الرياح. وهكذا خسر السريان حقوقهم في تلك الارض التي تساوي اليوم الوفاً من الجنيهات. وبالتالي فانهم حُرموا مركزاً دينياً واجتماعياً في بلاد يسكنها عدد غير قليل من بني جنسهم وما برحت تتقدَّم يوماً فيوماً في معارج الحضارة. ولم تزل بعض الوثائق المتعلّقة بهذه القضيَّة محفوظةً الى يومنا هذا لدى آل طرَازي.

٥ً : الرهبانيَّة الافراميَّة للعذارى

تجلّت شهامة آل طرَازي عندما اعتزم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني عام ١٩٠١ على انشاء رهبانيَّة للعذارى تنضوي تحت لوائها فتيات الملّة اللواتي هجرن الدنيا لممارسة الاعمال الصالحة. وكان يعوّل في تحقيق هذه الفكرة على رجلين تفرّدا بالاخلاص والحميَّة وهما: السيّد اقليميس ميخائيل بخّاش مطران دمشق والفيكنت فيليب دي طرَازي. فانهما أبديا من الجهود المشكورة في تعزيز هذا المشروع لدى تكوينه ما لا يعلمه الا الله تعالى. ودلالةً على ذلك ننقل للقراء فقرةً من رسالةٍ انفذها المطران المشار اليه الى الفيكنت فيليب بتاريخ ١ شباط ١٩٠١ قال:

«... الحقّ يقال انهُ لو وُجد في طائفتنا شبان غيورون على شرف الامة واعزاز جانبها نظيركم ونظير افراد عائلتكم العزيزة لكانت قد بلغت هذه الطائفة أوج المعالي... اننا نرى خيرًا عظيماً في هذا العمل المبرور الذي ترقص له افئدتنا فرحاً... ولقد استحسنت جدًّا جدًّا درر عباراتكم وسأبلّغها غبطة مولانا البطريرك[1]. ان المرشحات كثير عددهنَّ وأملي وطيد ان اجد قريباً ان شاء الله امرأة حكيمة تحسن سياستهنَّ.

١) كان الحبر الانطاكي في ذاك الحين متغيّباً عن كرسيّه في بيروت يتمهّد ابرشية الموصل في جولة بطريركية.



الفيكنت سليم دي طرّازي

١٨٦٢ — ١٩٠٥

المحلّ للمذكورات اذا كان في البدء حقيرًا فلا بأس . المعيشة والكسوة اذا كانتا بسيطتين أنسب من ان تكونا فاخرتين . فلنرتضِ بالقليل فيمنّ علينا المولى بالكثير . العمل رباني فالله يدبّره كما يشاء . ان الشروع به يحقّق قيامه وبقاءهُ . . . »

ثم كتب المطران عينه الى الفيكنت فيليب ايضاً بتاريخ ١٨ آذار ١٩٠١ في هذا الصدد يقول :

« . . . نودّ ان الرهبنة النسائيَّة تقوم باقرب آنٍ . نرى الصعوبات عديدة اما ذلك فلا يخيفنا . املنا وطيد ان سنحت لنا اشغالنا ان نتشرّف الى بيروت وبالاتفاق مع جنابكم نجري ما تستصوبونه . المخابرة متصلة بين صاحب الغبطة وبيننا في هذا الشأن . استنسب غبطته حفظه الله ان يكون المحلّ في جوار الشرفة . . . » .

وبعد انقضاء سنتين على افتتاح الرهبانيّة في بيت مجاور لدير الشرفة رأى السيد البطريرك ان يكفل نجاحها بتشييد دير يكون حرزًا لها في مستقبل الزمان . فابتنى عام ١٩٠٣ ديرًا فوق قمَّة حريصا بالقرب من كرسيّه في الشرفة وجهّزه بكل اللوازم الروحيَّة والمادية . ثم ضمّ اليه ستّ عذارى مشهودٍ لهنّ بالفضيلة وحسن السيرة . وفوَّض رئاسة الدير الى احداهن لما عهده فيها من الحكمة والحنكة . وتعهّد آل طرّازي ان يقوموا سنةً فسنةً بنفقات راهبة من تلك الراهبات احرازًا للثواب وتخفيفاً عن عاتق البطريركيَّة .

غير ان المولى سبحانه شاء باحكامه التي لا تُدرك ان لا يطول عمر هذا المشروع الذي كان يؤمل منهُ خير عظيم . لان مصاعب شتى حالت دون ثباته فقُضي عليه وهو في مهد الحياة . اما الراهبات فقد انتقلن بتفويض خاصّ من الرؤساء الى رهبانيَّة الوردية المقدسة التابعة لبطريركيَّة اورشليم اللاتينيَّة .

٦ : كنيسة مار افرام في باريس

كانت الدولة الفرنسيَّة قد تبرَّعت على بعض الملل الشرقيَّة الكاثوليكيَّة في باريس بكنائس يؤدّون فيها فروضهم الدينيَّة وطقوسهم البيعيَّة . فنال كلٌّ من الموارنة والملكيّين والارمن كنيسة مستقلّةً يتصرّفون بها وتكون لهم مرجعاً في شؤونهم الروحيَّة . امَّا السريان فلم يظفروا بما ظفر به الملكيّون والموارنة والارمن الا منذ عهدٍ قريب . ويعود الفضل في ذلك الى الحبر الانطاكي الحميد الآثار مار اغناطيوس افرام الثاني الذي كانت له منزلة رفيعة لدى الدولة الفرنسيَّة . فانه بعد ما وضعت الحرب العظمى اوزارها أخذ يفاوض في هذه القضيَّة ارباب الحلّ والعقد فوافقوا بكلّ ارتياح على تحقيق أُمنيَّتهِ وتلبية رغبته . ثم اوعزوا اليه ان يختار كنيسة في عاصمتهم مطلقةً من كل قيد ليخصّصوها بالملّة السريانيَّة .

وحينذاك فوّض السيّد البطريرك الى المنسنيور جرجس خيَّاط وكيله في باريس ان يتدبّر هذه المسئلة مراعياً فيها خير الملّة . فاخذ الوكيل يبحث بكلّ اجتهاد واهتمام عن كنيسة يتفق عليها الشرط المذكور . وكانت النتيجة انه عثر على كنيسة قديمة واقعة في شارع الكرْم (Rue des Carmes) قريب من البنثيون يرعاها كاهن باسم الامة الارلاندية . وهي من الابنية الاثريَّة المشمولة بعناية الدولة الفرنسيَّة وحمايتها .

وكان الوكيل البطريركي المشار اليه يتحاشى عن حكمةٍ التظاهر بالسعي في هذا السبيل لئلا يشيع الامر قبل تحقيقه فتؤول مساعيه الى الخيبة والفشل . واتفق ان الفيكنت فيليب دي طرّازي سافر في ربيع السنة ١٩٢٥ الى باريس لاشغال خاصة . فأخذ المنسنيور خيّاط يختلف اليه ذات المرار ويكاشفه في امر الكنيسة المذكورة . ثم كلّفه ان يذهب اليها ويتعهدها عن كثب ويُبدي رأيه فيها .

فما كان من الفيكنت الا ان سارع الى شارع الكرْم وتفقّد تلك

الكنيسة كسائح يتوق الى مشاهدة الآثار القديمة . وبعد ما تعهّدها مرات شتى ووقف على احوالها وتاريخ بنائها اعتنى باخذ رسمها مع رسوم جميع الاماكن المجاورة لها . وارسل تلك الرسوم الى السيّد البطريرك مشفوعةً بتقرير موجز ينطوي على ما شاهده بعينه واطلع عليه في هذا الصدد . فكتب اليه السيّد البطريرك يثني على غيرته وفوَّض اليه رسمياً ان يشترك مع وكيله المنسنيور خيَّاط الفاضل في تعاطي هذه القضيَّة . وجرت المفاوضة في ذلك بينهما وبين مسيو كانِه رئيس دائرة المذاهب والاديان في وزارة خارجيَّة فرنسة .

على ان الفيكنت دي طرَّازي نهض بهذه الخدمة الجليلة خير نهوض امتثالًا لرغبة السيّد البطريرك . وظلّ يتردّد مع الوكيل البطريركي المرَّة بعد المرَّة على مسيو كانِه حتى فرغ ثلاثتهم من وضع الشروط التمهيدية لتحويل تلك الكنيسة وتخصيصها بالملّة السريانيَّة . ثم رفع الفيكنت تقريراً ثانياً الى السيّد البطريرك عن نتيجة المهمّة التي كلّفه بها رسمياً . وسأل غبطته ملحّاً عليه ان يحضر الى باريس ليوقع الميثاق النهائي مع الدولة الفرنسيَّة بشأن تخويل السريان حقّ التصرف بالكنيسة المومأ اليها .

وما عتّم ان سافر السيّد البطريرك الى باريس وحلّ ضيفاً في نزل الرهبان تحت رقم ٢٢٨ في شارع « Rue du Bac » . وبعد وصوله أجرى المعاملات القانونيَّة بينه وبين الوزارة وتسلّم الكنيسة واطلق عليها اسم مار افرام السرياني ملفان البيعة الجامعة . ولم تقتصر الدولة الفرنسية على اريحيَّتها هذه بل شاءت ان تبرهن عن وافر اجلالها لشيخوخة هذا الحبر الانطاكي ومقامه السامي . فارصدت مبلغاً كافياً لاصلاح الكنيسة وتجديد رونقها . ثم اوعزت الى مجلس بلدية باريس بتوسيع الطريق المؤدّي اليها وتنظيم الابنية المجاورة لها حتى اصبحت تلك البقعة قرَّةً للناظرين . هكذا اتاح الله تعالى مركزاً للسريان ثابتاً في عاصمة الفرنسيس يؤدون فيه فروض العبادة باللغة السريانيَّة التي شرّفها السيد المسيح ورسله الاطهار .

٧ : كنيسة المصيطبة في بيروت

ظلّت كنيسة مار جرجس المركز الوحيد للملّة السريانيّة في بيروت حتى اخذ عدد ابنائها يزداد سنة فسنةً ولاسيما بعد الحرب العظمى (١٩١٤— ١٩١٨) . وسكن فريق منهم في محلّتي المصيطبة والمزرعة حيث دعت الضرورة الى بناء كنيسة مجاورة لهم . فنهض الفيكنت فيليب يهتم بشؤونهم الروحيّة كما سبق فاهتمّ بشؤونهم المادية . ثم كتب عريضة عام ١٩٢٦ الى الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر يوضح فيها الاحتياج الى كنيسة جديدة في بيروت قريبة من مساكن اولئك السريان . وسلّم تلك العريضة الى نيافة القاصد الرسولي السيّد فرديانو جيانيني راغباً اليه ان يرفعها رسمياً الى الكرسي الرسولي . فاجاب الحبر الاعظم الى ملتمس الفيكنت ولم يلبث ان تبرّع بمبلغ من المال اوفده الى السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني . فاشترى البطريرك من فوره بقعة ارض في المصيطبة وباشر البناء فيها عام ١٩٢٧ بهمّته المشهورة . ولكن المنيّة عاجلته قبل انجازها فاكملها خليفتهُ في الكرسي الانطاكي مار اغناطيوس جبرائيل الاول ودشّنها في ١٨ ايار ١٩٣٠

٨ : كنائس شتى

وحبّاً للاختصار نكتفي بذكر ما سبق ضاربين الصفح عمّا تبرّع به آل طرّازي على كنائس آطنه ودير الشرفة ودياربكر وزحلة وصدد وبيت لحم وغيرها . ويتمتّع اليوم آل طرّازي بقدّاس مؤبّد يقرّب في كل سنة على مذبح كنيسة مار يوسف في بيت لحم . ذلك بموجب صك رسمي مؤرخ في ٨ نيسان ١٩٢٧ ومدوّن في سجلّ الكنيسة المذكورة .

٩ : التواريخ الشعريّة للكنائس السريانيّة

ونختتم هذا الفصل بذكر الاشعار التاريخيّة التي نظمها الفيكنت فيليب

دي طرازي لبعض الكنائس السريانيَّة ندوّنها حسب تسلسل تواريخها وهي :

اولًا : تاريخ كنيسة مار جرجس في بيروت وكان قد ارتفع بنيان جدرانها سنة ١٨٧٩ وهي السنة التالية لتأسيسها قال :

أنشا إمام الفضل جرجسُ بيعةً   لليمن باسم شفيعهِ قد كُرِّست
ضمّت خرافَ المؤمنين لأنّها   حقًّا على ايمان راعيها رَسَت
بُنيت بجود ذوي الحميَّة والتُّقى   ومن السماءِ بحلَّة القدس اكتست
أكرم بعامٍ قد هتفتُ مؤرّخاً   فيه على خوف الاله تأسّست

١٨٧٩

ثانياً : اشعار تاريخيّة لضريح المطران اثناسيوس رافائيل جرخي في كنيسة بغداد . وقد نقشها ناظمها على قطعة من المرمر وارسلها الى كنيسة بغداد الكاتدرائيَّة فوُضعت فوق ضريح راعيها المثلَّث الرحمة . وكان نظم هذه الابيات باقتراح السيّد اثناسيوس اغناطيوس نوري الذي كتب في ذلك الى صديقه الفيكنت بتاريخ ٢٣ آب ١٨٩٤ من بغداد . فاجاب الى اقتراحه وهذا نصُّ الابيات المشار اليها :

قبرٌ لرافائيل جرخي حبرنا   في بيعة الزوراء بات مكرّمَا
قبرٌ حوى رجل الفضيلة والتقى   وعليه قد سكب المهيمن أنعمَا
قامت لديه في الصباح وفي المسا   ذكرى فقيدٍ بالمحامد قد سَمَا
هذا هو الراعي الذي من بعده   يبكي القطيع عليه دمعاً بل دَمَا
صعدت الى مجد الاعالي نفسهُ   من ربها تبغي الجزاء الاعظمَا
لمّا اصطفاها اللهُ قلتُ مؤرّخاً   للقائها خفّت ملائكةُ السّمَا

١٨٩٠

ثالثاً : ابيات تاريخيّة نظمها في بناء كنيسة حماة سنة ١٩١٠ باقتراح كاهنها وهذا نصُّها :

للخالق السريان نالوا معطفاً   فبنَوا له هذا البناءَ الارفعَا
هو خير مأثرةٍ لراس رعاتنا   افرامَ مَن حاز الثناءَ مع الدُّعَا

بجاهَ مسعـاهُ يدوم مؤرّخاً وكنيسة الرحمن لن تتزعزعـا
١٩١٠

رابعاً : اقترح الدكتور ابرهيم مدوّر على الفيكنت فيليب ان ينشئ تاريخاً شعرياً يُنقش على باب المصلّى الذي ازمع هذا الدكتور ان يبنيه في المقبرة السريانيّة فوق ضريح أُسرته . وذلك على اثر وفاة شقيقـه المرحوم عبدالله الذي قُتل بتاريخ ٧ ايار ١٩٢٦ في بيروت . فاجاب الفيكنت الى رغبته وانشأ هذه الابيات :

عبادَ الله شِيـدَ لكم مُصلّى غـدا للبرّ والتقوى دِعامَـهْ
بناهُ بنو المـدوّر فـاستحقُّوا بشرع الدّين والدُّنيا الكرامَهْ
لهم في صفحـة الاحسان ذكرٌ وفي الملكوت أجرٌ والسلامَهْ
ثوى أمواتُهم أرّخ وناموا هنا يتراصدون ضُحى القيامَهْ
١٩٢٦

الفصل الثالث

آل طرّازي والابرشيّات السريانية في نكباتها

أُصيب بعض الابرشيّات السريانيَّة بنكباتٍ شديدة دوّنهـا التاريخ في آونة مختلفة . فخصّصنا هذا الفصل بسرد أَخبارها وبما ابداهُ آل طرّازي في خلالها من الشهامة والعطف على المنكوبين . وفي ما يلي نوردهـا واحدةً فواحدةً مراعين في اثباتها تسلسلها التاريخي وهي :

١ً : زلزال حلب عام ١٨٢٢

جرى هذا الزلزال الهائل في ١٣ آب ١٨٢٢ فهلعت له القلوب اذ تقوّض بسببه جانب عظيم من أَبنية المدينة وبات جمهور غفير من سكانهـا دون مأوى . وكانت خسارة آل طرّازي في الارواح والاموال اثناء النكبـة

المذكورة تفوق الوصف . لان منازلهم وأَغلب عقاراتهم تهدّمت ومات منهم تحت الردم سوسنّة ارملة المقدسي نصرالله طرّازي مع حفيديها . وكان ابنها البكر المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥–١٨٤٥) متصفاً بالتقوى يستسلم في جميع شؤونه لاحكام العزّة الصمدانيَّة فلمَّا رأى هذا المشهد الفاجع اعتصم بالصبر وأَخذ يردّد مع ايوب الصديق :« الربّ اعطى والربّ اخذ فليكن اسم الربّ مباركاً » (١ : ٢١)

وتفادياً من زيادة الخسائر في الارواح نقل المقدسي يوسف أَهله الاحياء الى بستانٍ في ضواحي حلب . لان الزلازل كانت تتكرَّر في الايام التاليـة تكررّاً أَشدّ هولًا من المرة الاولى . واستمرَّت الحال على هـذا المنوال شهورًا بحيث ان سكان حلب قضوا بقيَّة فصل الصيف والخريف وشطراً من الشتاء إمَّا تحت الخيام او في بيوت خشبيَّة .

وكان المقدسي يوسف يتردّد الى المدينة يوماً فيوماً لاشغاله الخصوصيَّـة ويشاهد عددًا صالحاً من اقربائه واصدقائه وأَبناء ملّته في حال يُرثى لها . فحرَّكت الشفقة فؤادهُ ودفعته عوامل الرحمة على تخفيف بلايا المنكوبين في تلك الايام العصيبة غير مكترث لما حلّ به من النوائب . ومن ثمَّ استدعى كاهناً سريانياً من كهنة حلب موصوفاً بالغيرة يُقال له القس جبرائيل بهنا . وكلّفه ان يبحث سرّاً عمن تضرّروا في تلـك النكبة العظيمة اكثر من غيرهم . فلبَّى الكاهن النشيط طلب سائله وأَطلعه على عـدَّةٍ من الأُسر السريانيَّة التي تبدَّلت حالها من اليسر الى العسر . فاختار المقـدسي يوسف مَن كان منها أَحوج الى المساعدة وابتنى لها بيوتاً خشبيَّة وواصلها بعنايتـه وحسناته عملًا بوصيَّة السيِّد المسيح :« اما انت فاذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك (متى ٦ : ٣) . تؤيد ذلك كتابة مسطورة على احدى دفتي انجيل عربي مخطوط يملكهُ بنو طرّازي الى هذا العهد .

٢ً : ثورة حلب عام ١٨٥٠

لما حدثت ثورة حلب[1] عام ١٨٥٠ ذهب المقدسي انطون طرّازي (١٧٨٩-١٨٥٥) من بيروت الى الشهباء مسقط رأسه ليفتقد ذويه وابناء وطنه فاجزل لهم العطايا الوافرة وفرّج كربتهم بنصائحه الحبيَّة . وبعد عودته الى بيروت استمرّ يواصلهم بمساعداته التي استحقّ عليها الثناء العاطر. يؤيد ذلك رسالة مؤرخة في ٩ شباط ١٨٥١ بعث اليه بها البطريرك اغناطيوس بطرس السابع قال :

« من صميم القلب نشكركم الشكر الوافر ايها الابن العزيز على الغيرة التي بذلتموها لاجل مساعدتنا في مصائبنا الكثيرة . فانكم ما اكتفيتم بتعزيتنا على ما لحق بشخصنا من الاهانة ثم بالكنيسة والقلّاية من النهب والحريق بل اردتم ايضاً ان تجودوا بما الهمكم الله تعالى من الاسعاف في حال ضيقنا وشدائدنا . فنحن لا ننسى معروفكم وعلى الدوام نتذكر الطافكم معنا ومع الطائفة . من ضمن مكتوبكم استلمنا الحوالة التي ارسلتموها من امضاء الخواجات خوري وطاسو على الخواجا كبّه في حلب . وبموجبها قبضنا من الخواجا كبّه مبلغ خمسة آلاف وستمائة غرش (ذهب) التي تبرَّعتم بها . . . وعربوناً لرضانا وشكرنا فاننا نباركم ببركة ابرهيم واسحق ويعقوب داعين بتوفيقكم الروحي والزمني ومتضرّعين الى الله الرحمة ان يفيض عليكم ينبوع الخيرات السماوية والارضيَّة »

٣ً : فتنة دمشق عام ١٨٦٠

على اثر الفتنة الشهيرة التي جرت في دمشق[2] عام ١٨٦٠ وافى بيروت

---

١) طالع اخبار ثورة حلب في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ١٠٦ الى صفحة ١٠٩ لمؤلفه الفيكنت فيليب دي طرّازي .

٢) راجع ايضاً اخبار فتنة دمشق في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ٢٨٧ الى صفحة ٢٨٩ بقلم الفيكنت فيليب المشار اليه .

عدد غير قليل من المنكوبين . وحلّ فريقٌ منهم في دار آل طرّازي على الرحب والسعة ريثما عاد الامن الى نصابه في البلاد الشاميَّة . ثم رجع المنكوبون الى وطنهم وهم يلهجون بالاثنية المستطابة على أريحيَّة آل طرّازي وعطفهم . يتضح ذلك من الرسالة التي وجّهها السيّد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق على السريان الى آل طرّازي بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٨٦٠ واليك نصّها :

« ... في هذا الاسبوع رجع الى دمشق بعض اولادنا الروحيّين الذين فرّوا الى بيروت عند وقوع الحوادث المشؤومة . وبعد فراق ثلاثة اشهر تعزّى قلبنا الابويّ بمشاهدتهم لامرين : اولًا لرجوعهم سالمين الى بيوتهم واشغالهم . ثانياً لما قصوه علينا من الاخبار المفرّحة عن احسانكم وكرم ضيافتكم مدة وجودهم في منزلكم العامر . لا ندري كيف نعبّر لكم ايها الابناء الاحبّاء عن عواطف شكرنا على معاملتكم الطيّبة لهؤلاء المساكين الذين جبرتم خواطرهم المنكسرة واستحقّيتم لاجلهم التطويبات الانجيليّة . بارك الله في أصلكم واسبغ عليكم وعلى كل من يلوذ بكم النعم السماوية والخيرات الارضيَّة . نسأله تعالى ان يطيل بقاكم فخرًا لنا وللطائفة السريانيَّة المعتزّة بكم في كل مكان ... »

٤ً : مجاعة الموصل عام ١٨٨٠

نُكبت مدينة الموصل وجميع البلدان المجاورة لها عام ١٨٨٠ بمجاعة شديدة كادت تؤدي بحياة السواد الاعظم من سكانها . فكتب راعي ابرشيَّتها السريانيَّة مار قورلس بهنام بني[1] رسالة برقيَّة مؤرَّخة في ١٧ آذار الى الكنت نصرالله دي طرّازي وأعقبها برسالة بريدية في اليوم ذاته ليستنهض همته لمدّ يد المساعدة لابناء ابرشيَّته الواسعة الاطراف. فشمّر الكنت الجليل عن ساعد الجدّ وارسل اليه من فوره اربعمائة ريال مجيدي (ثمانين ليرة

---

١) ارتقى الى السدَّة البطريركية عام ١٨٩٣ باسم اغناطيوس بهنام الثاني .

ذهبيَّة) تلغرافيًا ليوزعها على الفقراء المحتاجين من المسيحيّين والمسلمين . فورده الجواب من السيّد المشار اليه بتاريخ ١١ نيسان ١٨٨٠ وهذا نصه :

« . . . قدّمنا لبنوّتكم المحبوبة قبل هذا مكتوباً يحوي طرفاً عن احوال الموصل المبتئسة بسبب الغلاء الهائل الذي دهمنا ولاسيما ابناء طائفتنا السريانيّة . كما اننا كنّا قد التمسنا تلغرافيًا من تقواكم ورحمتكم المشهورة اسعافاً لابناء طائفتكم وجنسكم المتضايقين بالجوع في ابرشيّتنا . ولم تخب آمالنا فيكم اذ انهُ بعد ذلك بايام ورد الينا من امضائكم الكريم تلغراف به حوّلتم لنا اربعمائة ريال مجيدي اجابةً لطلبتنا . فأثنينا عليكم قدَّام جميع من كان حاضرًا لدينا في ديواننا . وشاع في المدينة خبر المدد الذي مددتمونا به ولهجت افواهُ السريان الكاثوليك بحمدكم . وافتخرنا بان في طائفتنا رجالًا ذوي جودٍ وكرمٍ مثلكم . . . »

ولم يكتفِ الكنت نصرالله دي طرّازي بارسال المبلغ المذكور آنفاً الى السيّد قورلس بهنام بني اسعافاً لمنكوبي المجاعة في ابرشيّتهِ . بل ارسل مبلغاً آخر يفوقهُ كرماً على يد صديقه الموصلي اصلًا ووطناً السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان . فورد من مطران دمشق المشار اليه جواب بتاريخ ١٤ نيسان ١٨٨٠ يثني على اريحيَّة الكنت وهذا نصّه :

« . . . اني اشكركم باسمي وباسم جميع ابناء وطني (الموصليّين) على الهمّة التي تبذلونها في اسعاف اولئك الجياع الذين يتمزّق القلب على الحال التي هم فيها . وقد ذخرتم لكم بذلك ذخرًا لا ينفد في الدنيا والآخرة . وقد شمّرنا للعمل في هذه الايام لجمع حسنات اهل الخير . والظاهر ان العاقبة تكون حميدةً بدعائكم . ولكن مهما فعل الدمشقيّون فليس عملهم شيئاً بالنسبة الى ما ابداه البيروتيّون من التكرّم والسخاء ولاسيما شخصكم الفريد . فجزاكم الله بعلوّ همّتكم ورقة رحمتكم . . . »

٥ً : ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢

لما حدثت ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢ فرّ كثير من سكان وادي النيل واقبلوا الى بيروت والى بعض انحاء لبنان . فاستقبل آل طرّازي ابناء ملّتهم السريانيّة وغيرهم وافسحوا للفقراء منهم بعض المنازل لايوائهم بجوار دارهم في محلّة خندق الغميق . ثم نصبوا الخيام لفريق آخر منهم في ساحة كنيسة مار جرجس السريانيّة القريبة من دارهم . اذ لم تكن هذه الكنيسة قد اكتمل بناؤها في ذلك العهد . ولما عادت السكينة الى القطر المصري بذل بنو طرّازي كل مساعدة لاولئك المنكوبين ودفعوا نفقات السفر من جيبهم لمن كان فقيراً منهم .

ولدى رجوع المنكوبين الى وطنهم اخذوا يتحدّثون الى كاهن رعيّتهم الخوري يوحنا طوّاف عن مكارم آل طرّازي وعوارفهم اثناء المدة التي اقاموها في بيروت . فكتب الخوري المشار اليه رسالة ثناء الى آل طرازي بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٨٨٢ وهذا نصها بالحرف الواحد :

« ... نهار الاحد الفائت بعد القداس اجتمع في غرفتي بعض ابناء طائفتنا الذين سافروا الى بيروت بداعي حوادث عرابي باشا . وبحسن دعاكم رجعوا سالمين الى مصر مشمولين بانظاركم ومغمورين باحسانكم . وكان الجميع من رجال ونساء يتحدّثون عن مكارم اخلاقكم وسخاء اياديكم وحنان قلبكم وحسن ضيافتكم . وكانت الدموع تسيل من عيونهم كلّما ذكر اسم جنابكم بالخير او اسم قرينتكم السيدة منّة التي شملتهم بلطفها . وبينما كانوا في زيارتي كلّفوني بان احرّر هذه الاسطر التي تنوب عنهم وعني في تأدية الشكر لحضرتكم على معروفكم الذي لا ينسونه مدى الدهر لا زال شأنكم مرفوعاً وبيتكم عامراً لخير الانسانيّة وفخر الطائفة السريانيّة بمنّهِ تعالى وكرمه » .

٦ً : مذابح تركيا عام ١٨٩٥

في السنة ١٨٩٥ جرت مذابح شابت لها رؤوس الاطفال في ولاية آطنة وغيرها من الولايات التركيَّة. وشملت ويلاتها اكثر النصارى القاطنين في تلك الاصقاع . فذهب جانب كبير منهم ضحيّة الجهل والاستبداد حتى اصبح القتلى يُعدّون بعشرات الآلاف . فازاء تلك الحوادث المشؤومة لم يتأخر بنو طرّازي عن اغاثة اخوانهم في الانسانيَّة. فارسلوا الى نسيبهم الخورفسقفوس فيلبّس شقّال المعتمد البطريركي للملّة السريانيَّة في آطنة مبلغاً من المال مع صناديق مشحونة بالملابس والعلاجات للمنكوبين من جميع الملل . وقد ارسل آل طرّازي تلك الصناديق من بيروت على يد صديقهم المرحوم نصرالله غدراسي من تجّار بيروت . فكتب الخورفسقفوس فيلبّس رسائل ضافية تتضمّن أخلص عواطف الامتنان للفيكنت فيليب دي طرّازي شاكراً له اريحيّته ومثنياً على مكارمه السخيّة.

٧ً : المجاعة في بيروت اثناء الحرب العظمى
(١٩١٤-١٩١٨)

أمست بيروت اثناء الحرب العظمى مسرحاً للفاقة والامراض التي فتكت بقسم صالح من المعسرين فيها وفي ضواحيها . لان ابواب الارتزاق سُدَّت تجاههم بحراً وجيوش الجراد التهمت الاخضر واليابس في داخل البلاد مدَّة سنتين متواليتين . بناء عليه حدث عسر شديد لم تشاهد بيروت مثله في الايام الغابرة. فكانت الشوارع مكتظة بجثث الموتى وبفقراء مطروحين على الحضيض يئنون جوعاً ويتسابقون الى التهام كناسة البيوت وزبل البهائم سدًا لجوعهم . فكان ذلك المشهد الكئيب يفتّت الاكباد ويدعو الناس الى الشفقة والحنان.

بيد ان الله ابا المراحم مَنَّ على بيروت في تلك النكبة الشديدة بقوم صالحين تجرّدوا لتخفيف ويلات البائسين ومساعدة الانسانية المتألمة . وأخصّ

من وقفنا على تفانيهم في هـذا المضمار أسرة طرّازي التي اقبلت بالرغم من ضيق ذات يدها في ذاك العهد على اصطناع ما لم يصطنعـهُ ارباب الثروات في هذه البلاد . فقـد واصلت تقديم المـلابس لفريق من العراة واطعمت الجياع يومياً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . وقد أوردنا نتفاً من تلـك المبرّات في الفصل الخامس من القسم الاول تحت عنوان آل طرّازي والجمعيّة الخيريّة السريانيّة » وفي الفصـل الاول من القسم الثالث تحت عنوان « آل طرازي ودير الشرفة » .

ومن الادلة الجليّة على عناية هذه الاسرة بالفقراء اثناء الحرب المذكورة أنّ سليلهم الفيكنت فيليب باع في ٨ كانون الاول ١٩١٦ بموجب ولايته الشرعية جانباً من ارض الاشرفية الموقوفة من اسرته واسرة شقّال في سبيل البرّ . ودفع ذلك الثمن برمته الى السيّد اغناطيوس افرام الثـاني بطريرك الملّة لينفقه على الجياع والمنكوبين . اما السيّدة اوجيني زوجته الكريمة فقد شاركته في اعماله ومساعيه وحسناته . وما بلغ عزمي بك والي بيروت خبر عطفها على البائسين حتى عيّنها مديرةً لاحد مآوي الاولاد الفقراء . وكانت الحكومة العثمانيّة تنفق عليهم من خزانتها . فنهضت السيّدة اوجيني بتلك المهمّة خير نهوض اكتساباً للاجر والثواب .

وقد سبقنا فنقلنا عن جريدة « المقتبس » الاسلامية في دمشق شهـادة صريحةً تنطق باريحيّة الفيكنت فيليب وعوارفه الجمّة ولاسيما اثناء الحرب العظمى . فانها كتبت بتاريخ ١١ كانون الثـاني ١٩١٨ انه حرسه الله « لم يدع ستاراً في بيته الا خاطهُ البسةً للمحتاجين وانه جعل ديدنهُ صباح مساء توزيع الخبز والطحين على المساكين » .

وقد طالما تردّد العلماء وحملة الاقلام على اسرة طرازي في تلـك الايام المشؤومة ووقفوا بانفسهم على مآتيها المبرورة . ولم يتمالك بعضهم عن نظم القصائد المؤثرة في الثناء على عوارف هذه الاسرة نقتصر منها على ابيات من قصيدة ذات تسعين بيتاً نظمها الشيخ عبدالله البستاني قال :

لكن هي الأيّام كم وقعت بمن   لم يرصدوا للحادثاتِ وقوعا
ومن البليّة انّهم حسبوا العلى   تعنوا لمن حبسوا النضار خضوعا
خابوا ظنوناً فالعلى سكنت الى   ذي البرّ فيليبَ الوهوب بخوعا . . .
عرفت به حرّ الشمائل فارعاً   مجداً اليها بالسخاء فروعا
من منبت الفضل الخصيب غما فما   بسوى صنيع الفضل كان ولوعا
فسلوا وصيفتهُ المروّة عن حيا   كفّيه في البلد الجديب هموعا
وسلوا قضاةً غيرها إنْ لم تروا   حُكم الحبيب لحبه مشروعا
وسلوا دنيءَ الحرص وهو ابو الغنى   يصدقكمُ خبراً يفيض شيوعا
فلكم تمنى ان يمرّ ببابه   متباكياً غلس الظلامِ هلوعا
حسد الفقيرَ غداةَ أبصر ثوبَهُ   ذا جدّةٍ من بعد كان خليعا
تغريهِ خسّة نفسه برقاده   ايّان مرّ من الظلامِ هزيعا
فلعلّهُ يحنو عليه فؤادُهُ   فينيلهُ ثوباً ولو مرقوعا . . .
فالفضل خادن آل طرازي وما   بسوى رحابهم أراد رتوعا
ورعى ذمام سليلهم فيليب مَن   أحياهُ المجوع العقور قريعا . . .
مَن زار في البأساءِ مغناهُ رأى   للعارياتِ وللعراةِ دُرُوعا . . .
عانت خياطتها عقيلتهُ التي   تتصيّرُ العِرقَ الكريمَ نزوعا
وحكتْ برأفتها رفيقَ حياتها   وبخلقها المسكَ الفتيقَ سطوعا
فتراوحا صُنعَ الجميل وروّحا   قلبَ الكئيب وأشبعا المخفوعا

وفي تلك الغضون انتقلت الكونتس منّة دي طرازي الى رحمة الله تعالى في ١٥ كانون الاول ١٩١٧ عن شيخوخةٍ جليلةٍ بالغة السن الثمانين . فترأس البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني صلاة الجناز على نفسها ووفّاها حقّها من التأبين . ثم ألمع الى سجاياها الممتازة والى ما أدّته هي وأسرتها لشخصه وللاحبار الانطاكيّين أسلافهِ من ادلة الاحترام وكرم الضيافة . وعدّد مآثرها المشكورة في سبيل كنيسة بيروت ولاسيما عنايتها بالفقراء والايتام اثناء الحرب الطاحنة . وقد رثاها ايضاً فريقٌ من الشعراء الذين



الكونتس منّة زوجة الكنت نصر الله دي طرّازي

١٨٣٨ — ١٩١٧

خبروا مبرّاتها عن كثب ولمسوا حسناتها . من ذلك ابيات اقتطفناها من قصيدة ذات خمسين بيتاً نظمها العلّامة الكبير الشيخ عبد الله البستانيّ قال :

بيروت فيها مكثرون أصابهم ❊ مالُ المقلّين الضئالِ ذواتها . . .
فبكت كما يبكي الفقير على التي ❊ كانت تزيل بكاهُ قبل وفاتها
هي منّةٌ للبائسين ونجعةٌ ❊ الرائدين ومنيةٌ لعُفاتها
أخلق بمن رأفتْ بهم ان يزجوا ❊ جزعاً دموع عيونهم برُفاتها
تلك التي تركت تباريح الأسى ❊ في آل طرّازي وكلّ نُعاتها
كانت تزيد جلالهم بجلالها ❊ وتصون مجدهمُ بفيض هباتها . . .
وبكتْ بها بيروت أرصن حرّةٍ ❊ قاوى صروفَ الدهر طولُ أناتها
وأماد منعاها الصروح لانها ❊ عانتْ خياطة كسوةٍ لعُراتها . . .
فلكم تعاورت اليتامى دارها ❊ يتناولون الخبزَ من صدقاتها
ولكم تكتّف بعضهم جدرانها ❊ واضاق وهي رحيبة رحباتها
ما انتابها الغرثان[1] ينـدب حاجةً ❊ الا رأيت قراهُ من حاجاتها
كانت اليه تهبُّ من سنة الكرى ❊ لتقيتهُ والطير في وكناتها
ولفقدها تأسى المروءة وهي لا ❊ تنفكّ باكيةً على مرآتها
ان الثمانين التي من عمرها ❊ ولّت انارت بالتقى ساعاتها . . .
كانت تميل الى الصلاة بغدوةٍ ❊ طرباً مُميلٍ ايأها غاداتها . . .
فدعا بها المولى الى أخداره ❊ لمّا رآها اربحت وزناتها
فهناك يغمرها برأفته التي ❊ يسخى بها أجرًا على رأفاتها
فلآل طرّازي العزاء بفقدها ❊ ولتنعمنّ نفوسهم بنجاتها

٨ً : المنكوبون في بيروت بعد الحرب العظمى

واصل آل طرّازي عنايتهم بالمنكوبين بعد الحرب العظمى ايضاً .

---

[1] الجوعان

ولنا على ذلك شواهد كثيرة نكتفي باثبات واحدة منها للكاتبة الارثذكسية الشهيرة ماري ينّي التي رغبت الى الفيكنت فيليب ان يساعد بعض الاسر الرازحة تحت اعباء الفقر فبادر الى تلبية رغبتها . فما كان منها الا ان بعثت اليه تشكره بكتاب رقيق مؤرخ في ٢٣ كانون الاول ١٩١٨ نقتطف منهُ ما يلي :

« . . . اذا كانت السماء تريد ان ترسل بركاتها فعلى أَمثالك تجوز خيراتها . وحقّ ما الك في نفسي من الاعتبار انني مقدّرة" فيك مبدءًا سامياً يرفعك في أعين قومك حتى يجعلني غريقة هذه المعاملة الطيّبة وهذا الاخلاص النادر . أَكد يا حضره الفيكنت انّ كل نبضةٍ في صدري تدعو بتوفيقك وتهتزّ اشعورٍ فيك رقيق شريف . حبذا انسانيَّة يكون امثالك قوَّادها ! وايتَ الك في ارضنا اخواناً في المبدإِ فكم كنّا نكون سعداء ؟ »

٩ً : مهاجرو تركيّا الى بيروت عام ١٩٢١ فما بعد

لا يجهل احد ما حلَّ من الويلات بالاقوام الذين طردتهم تركيّا من اراضيها بعد الحرب العظمى . فلجأَ الى بيروت فريق كبير منهم يُعدّ بعشرات الآلاف . واستقبلهم ذوو المروءة والحميَّة بصدور رحبة . وامتاز حين ذاك الفيكنت فيليب دي طرّازي بغيرته الشديدة عليهم . ونهض لاغاثتهم ومساعدتهم نهضة البطل وسعى في اقتناء اراضٍ وابتناء منازل لسكناهم . وجاد عليهم بيد سخيَّة ومهّد لهم سبل المعيشة . واسكن فريقاً منهم في الاراضي الموقوفة منه للبرّ او التي اقتناها لهم بالاموال التي سعى في جمعها من اصحاب الاحسان والفضل . وقد أَلمعنا الى ذلك في الفصل الخامس من القسم الاول تحت عنوان «آل طرّازي وجمعية المساعي الخيرية السريانيَّة واوقافها» في بيروت .

على ان اولئك المنكوبين تمكنوا من التوطن في عاصمة لبنان حيث وجدوا الطمأنينة والراحة والامن وتمتّعوا بسبل الارتزاق . وجعلوا يطلقون

أَلسنتهم حتى اليوم بالادعية الحميمة الى الله تعالى في اطالة بقاء هذا المحسن الكريم الذي يعتبرونه أباهم ومنقذهم ووليَّ نعمتهم ·

الفصل الرابع

آل طرازي وآثارهم القلميّة في الملّة السريانيّة

أَصبح أَشهر من نار على علم ما ابداه آل طرازي من عواطف الولاء لايمة ملّتهم السريانيَّة وما بذلوه من العوارف والمبرَّات في سبيل كنائسها ومعاهدها وجمعياتها · وما عدا ذلك فان غير واحد منهم انصرفوا الى الانشاء والتأليف فوضعوا ابحاثاً شتى في مواضيع مختلفة علميّة وادبية وتاريخية · وقد اطلعنا في ما بينها على نبذٍ جديرة بالوصف تتعلق بملّتهم عموماً وبرؤسائها خصوصاً · فلم نرَ مندوحة عن اثبات اسماء اولئك الافاضل مع نتف من آثارهم القلميّة فنقول :

اولًا : المقدسي نصرالله طرَّازي (١٧٥١—١٨٠٨)

برع هذا العلَّامة الفاضل والصيدلي الشهير في معرفة اللغتين العربيـة والسريانية · وقد ألف كتاباً في الطبّ سمّاه « الادوية الشافية لمعالجة المرضى وإحراز العافية » أُعجب به الدكتور كرنيليوس فان ديك واقتناه لمكتبته · ونظم المقدسي نصرالله الشعر ايضاً في اللغة السريانية التي درس أُصولها وأتقن آدابها على ابن خالة ابيه مار اغناطيوس ميخائيـل الثالث (جروة) البطريرك الانطاكي · ثم علّمها بدوره فريقاً صالحاً من ابناء ملته في حلب فاستفادوا وافادوا · وكان في اوقات الفراغ يترنم باناشيدها الرخيمة ويطالع كتب علمائها الاعلام وينسخ تآليفهم بخطّ يدهِ · وقد شهد بفضله وذكائه سميُّهُ ومعاصرهُ وابنُ وطنه نصرالله بن فتح الله بن بشارة طرابلسي الحلبيّ فامتدحه عام ١٧٩٩ بقصيدة نورد منها هذه الابيات :

جاد الزمانُ على بني طرَّازةٍ بالنطْس نصر الله سيِّد قومهِ
نسباً لاجداد كرامٍ ينتمي من آل والدهِ وأُسرة أمهِ
تسمو به فخرًا لوافر فضلهِ وسداد حكمتهِ وثاقب فهمهِ
هو أوحد الشهباءِ بل مقدامُها بجزيل تقواهُ وشدّة حزمهِ
خوفُ الاله شعارهُ[1] ولذا غدا أجلى مثالٍ للجميع بحلمهِ
شهمٌ نديٌّ يدٍ نقيٌّ سريرةٍ عَلَمٌ بجودة نثره وبنظمه
أعلى منار الطبّ في أبحاثهِ وشفى العليل كما ترى من سقمهِ
لا غروَ أن مدحتهُ أَلسنة الورى وتقاعست شعراؤنا عن ذمهِ
نهدي اليه مع الدعاء ثناءنا ونُنافس الدنيا براسخ علمهِ

ثانياً : المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥—١٨٤٥)

كان من أُدباء عصره كما اوردنا في صدر الصفحة ٥٢ من هذا الكتاب. وقد دوَّن بيده على هوامش انجيل مخطوط وعلى دفتيهِ وقائع مختلفة جرت في عهده بمدينة حلب. وهي تتلخص في ما يأتي: ١ً مقتطفات منوطة بالملة السريانيّة وأيمتها . ٢ً : اسماء افراد أُسرة طرّازي مع تاريخي ولادتهم ووفاتهم مشفوعة ببعض أخبارهم . ٣ً : خلاصة حوادث زلزال حلب عام ١٨٢٢ وما نجم عنهُ من الاضرار خصوصاً لبني طرازي في الارواح والاموال.

ثالثاً : المقدسي انطون طرَّازي (١٧٨٩—١٨٥٥)

سبقنا فذكرنا اسم المقدسي انطون طرازي مرات شتى ولاسيما في الفصل الثاني من القسم الاول في بحثنا عن «آل طرَّازي وتكوين الملّة السريانيَّة في بيروت» . لانه كان عماد هذه الابرشية التي تنطق بفضله وتردّد الثناء على عبقرية أُسرته ما كرّت الاعوام.

---

١) لاحِظْ أن آل طرَّازي اتخذوا « مخافة الله » شعارًا لهم منذ القرن الثامن عشر مستندين في ذلك الى الآية الواردة في سفر يشوع بن سيراخ (١ : ٢٢) وهي: تاج الحكمة مخافة الرب. راجع ما كتبناه في هذا الصدد في الفصل السادس من القسم الاول صفحة ٣٩

فقد أُتيح لهذا الرجل العالي الهمّة ان يقوم برحلةٍ الى اوربا على متن سفينةٍ شراعيّة استغرقت اكثر من ثلاث سنين(١٨٢٩-١٨٣٢) بحرًا وبرًا. لان المراكب البخارية كانت في تلك الحقبة في اول عهدها . وقد دوّن خلال تلك الرحلة مذكراتهِ ووقائعهُ في كرّاس خاصّ. وهو فيما نعلم خامس رحّالةٍ[1] من سكان الشرق الادنى كتب حوادث سياحته في سِفْر خاصّ

١) اول رحّالة شرقي خلّف لنا اخبار سياحته مكتوبةً هو فيما نعلم الارخدياقن بولس ابن البطريرك الانطاكي الارثذكسي مكاريوس ابن الزعيم. فانه رافق اباه البطريرك من السنة ١٦٥٢ الى السنة ١٦٥٩ في رحلته المشهورة الى القسطنطينية وبلاد الفلاخ والبغدان وروسيا. وقد تُرجمت اخبار هذه الرحلة الى اللغة الروسية بقلم جرجي بك مرقص والى اللسان الانكليزي بقلم المستر بلفور. وقد اطلعنا في مجلة «النعمة» التي كانت تصدر بلسان البطريركية الانطاكية الارثذكسية في دمشق (سنة ٤ صفحة ٢٥ و١١٩) على مقالة نشرها البحاثة المدقّق عيسى المعلوف عن البطريرك مكاريوس ورحلته المذكورة. وثاني رحّالة شرقي كان المطران اسحق الشدراوي († ١٦٦٥) الماروني. فانه اثبت في نبذة وجيزة اخبار رحلته (١٦٦٠ - ١٦٦٣) من لبنان الى فرنسا. وكانت بغيته ان يحصل من لويس الرابع عشر (١٦٤٣-١٧١٥) ملك فرنسا على براءة برتبة قنصلية لهذه الدولة في بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن (مجلة المشرق ٢ : ٩٢٩). وثالث رحالة شرقي اتصلت بنا اخبار رحلته مكتوبة كان الخوري الياس ابن القسّيس حنا الموصلّي الكلداني من عيلة بيت عموده . فانه ساح في اكثر البلاد الاميركية (١٦٦٨ - ١٦٨٣) ودوّن تلك الاخبار في كتاب محفوظة نسخته الاصلية في خزائن مطرانية السريان الكاثوليك في الشهباء . ثم نشرها الاب انطون رباط اليسوعي عام ١٩٠٥ في السنة الثامنة لمجلة المشرق . ورابع رحالة هو ابن وطننا صاحب المآثر الغرّاء السيد اثناسيوس سفر العطار اسقف ماردين السرياني (طالع ترجمته في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » (صفحة ٢٢-٢٨) عندما كان قسيسًا. فانه خلّف اخبار رحلته (١٦٨٠-١٦٨٤) برفقة السيد فرنسيس بيكيت سفير مملكة فرنسا لدى شاه ايران. وقد سرد فيها حوادث تلك السياحة ذات النوادر الغريبة والوقائع المهمة معدّدًا ما شاهده في مدينة دياربكر وبلاد ارمينيا ومملكة فارس من العادات الوطنية والحفلات الشائقة التي جرت للسفير المشار اليه. ووصفها باسلوب يتوق الى الوقوف عليه اهل البحث وروّام التاريخ. ثم كتبها بخط يده بحروف سريانية واهداها الى المكتبة الواتكانية برومية وهي موسومة بالرقم ٢٣٢ ومشتملة على ٢٠٨ صفحات بقطع صغير. وقد نقلناها بحرفها الواحد عام ١٩٣٠ وباشرنا نشرها هذه السنة في مجلة المشرق تعميماً لفوائدها.

وضمّنها كل ما شاهده من حسن ومفيدٍ ونادرٍ وغريبٍ.

ويشير مؤلف هذا الكرّاس الى خدمٍ شتى أدّاها اثناء رحلته للملّة السريانيّة عموماً ولاحبارها خصوصاً . لانهُ كان متضلّعاً من اللسان السرياني الذي درسهُ على والده المقدسي نصرالله طرازي وعلى أُستاذه الايكونومس[1] رافائيل طنبرجي اللذين كانا من صفوة الكتّاب في عصرهما. وقد أَلمعنا الى عناية المقدسي انطون بتعزيز الآداب الآرامية في الفصل الاول من القسم الرابع تحت عنوان « الاحبار الرومانيون وآل طرازي » . ولما توفي انطون طرازي في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ نظم الشاعر العلّامة الخوري ارسانيوس الفاخوري هذه الابيات التاريخية لتُنقَش على ضريحه قال :

أهلُ البصيرةِ في العصور جميعها شادوا القبور مواعظاً لبني الورى
طوبى لمن حازوا التقى فعيونهم قد أبصرتْ وجهَ الالهِ بلا مرا
ذي حجرةٌ انطون طرازي ثوى فيها وشهماً كان مرفوعَ الذرى
فالروح عند اللهِ لكنْ جسمُهُ أمسى يؤرّخُ راقداً تحت الثرى
١٨٥٥

رابعاً : المعلّم جرجس طرازي (١٨١٤ــ١٨٤٧)

هو ابن المقدسي يوسف ابن المقدسي نصر الله طرّازي كان اوّل تلميذ

---

١) لم نعثر في آثار السريان السالفين على لقب ايكونومس الشائع استعماله في الكنيسة اليونانيـة الا مرّتين : احداهما في الفنقيث المحفوظ في خزائن دار المطرانية السريانية بحلب حيث تقرأ الحاشية التالية « رسم روح القدس الايكونومس. . . لكنيسة والدة الله مريم بحلب سنة ١٨٢١ يونانية » اي سنة ١٥١٠ مسيحية (راجع كتاب عناية الرحمان في هداية السريان للمطران ديونوسيوس افرام نقاشة صفحة ٣٢). وثانيتهما في عهد مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢–١٨٠٠) بطريرك السريان الانطاكي. فان هذا الحبر الجليل أنعم باللقب المذكور على نائبه في حلب الايكونومس رافائيل طنبرجي († ١٨١٣) جزاءً لفضائله السامية ومكافأةً له على مساعيه المشكورة وعلمه الراجح (طالع ترجمة هـذا الايكونومس في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » (صفحة ٢٨٨–٢٨٩).

سوري دخل مدرسة « قصر العيني » الطبيّة بعد تأسيسها عام ١٨٢٨ في القاهرة . لكنّ علّة قلبيّة طرأت على صحته صدّته عن المثابرة على الدراسة فعاد الى حلب بعد ما اقام في مصر سبعة شهور . ثم اتخذه السيّد البطريرك مار اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠ــ١٨٥١) كاتماً لاسراره فكان يعتمد على ثقافته وآرائه في تحبير الرسائل وانشاء التقارير الموجهة الى الحبر الاعظم والى الباب العالي والى سائر المقامات الرسميّة.

ومن مآثر المعلّم جرجس انهُ أنشأ في حلب مكتباً لتثقيف الاحداث وكان عددهم ينوف على المائة والثلاثين اغلبهم من ابناء الأُسر الوجيهة. وبين الادباء والاعيان الذين درسوا عليه نذكر: شقيقهُ الخوري اندراوس والخوري يوحنا طوّاف السرياني والشاعر فرنسيس مراش وانطون ضاهر والمركيز ميخائيل ابن المركيز فتح الله جروة وغيرهم . وألف كتاباً في علم المنطق[1] لافادة تلامذته.

وبياناً لمنزلة المعلّم جرجس في الادب العربي نورد له ارجوزة بليغةً ضمّنها بعض قواعد طبيّة وفوائد صحيّة . واليك مطلعها :

حمدُ المهيمنِ العظيمِ الرحمهْ ... فرضٌ على طلابِ علم الحكمهْ
والشكرِ للمَلْكِ الرفيع الشانِ ... عزيز مصر[2] الوافر الاحسانِ
نال الورى في عهده الأَمانا ... وللمعالي شيّد الاركانا
وجودهُ أضحى بلا جدالِ ... في كل صقعٍ مضرب الامثالِ
في كنفهِ احرزتُ علم الطبِّ ... فنلتُ اوطاري وهذا حسبي
اليكمُ أزفُّ يا ذوي الفِطَنْ ... أُرجوزةً تجلو عن الجسم المحَنْ

---

١) لهذا الكتاب نسخة كانت تخص الكاتب الشهير عبدالله مرّاش الحلبي المتوفى عام ١٩٠٠ في مرسيليا . وقد ورثها عن اخيه فرنسيس مرّاش تلميذ الاستاذ جرجس طرّازي . ولما كان القسم الاوفر من مكتبة عبدالله مرّاش قد دخل في حوزة دار الكتب الاهلية في باريس ساغ لنا ان نرجّح ان هذا المخطوط ايضاً انتقل الى تلك الدار الكتابية.

٢) هو محمد علي باشا الكبير مصلح الديار المصرية في القرن التاسع عشر وجد الاسرة المالكة فيها.

لكلّ داءٍ وصفتُ دواءَ وللمداوي رفَعتُ لواءَ
دوّنتُ في أطوائها نصائحًا وكلُّ ما فيها أتاكم صالحًا
نظمتُها في ليلةٍ ويومِ لعلّ فيها خدمةً لقومي
واذ تجلّى نفعُها المأمولُ بحولهِ سبحانه أقولُ :

خامساً : الخورفسقفوس اندراوس طرّازي (١٨٢٦_١٨٥٩)

أنشأ كتاب مواعظ عنوانهُ « تذكرة اللبيب الى الواعظ والخطيب » . يحتوي على مواعظ جديرة بالاعتبار القاها في القاهرة والاسكندرية . وخلّف بعض كتب مخطوطة نسخها بيده او استكتبها خدمةً للعلم والملّة . وقرض الشعر احياناً فنظم قصائد لا تخلو من الفائدة . وقد قرأنا له بيتين نفيسين امتدح بهما المرحوم فرج الله موصلي كبير أعيان الملّة السريانيّة بالقاهرة واحد المحسنين الى بيعة مار الياس الحيّ في المدينة المذكورة وهما :

لو ادّخرت نضارًا انت باذله كنتَ الملقّب في دنياك بالذهبي[١]
الاجر أكسبُ من مالٍ تجمّعهُ والبرُّ في مذهبي خير من الذهب

ومن آثار الخورفسقفوس اندراوس طرّازي نبذةٌ تاريخيّة أثبت فيها أصل بني طرازي واخبارهم ووقائعهم . وضمّنها تراجم رجالهم السالفين كما تلقّاها عن افواه الشيوخ أو عما وقف عليه بذاته في وثائق اسرته . واردفها بشجرة نسبيّة جمعت اسماء افرادهم بالتسلسل معأعمارهم منذ اجدادهم الاولين الى عهده . وسمّى تلك النبذة « السلسلة الابريزية في تاريخ السلالة الطرّازية » وافتتحها بهذين البيتين :

اليك سِفرًا حوى تاريخ عائلةٍ عن أصلها ذات الآثار في السلفِ
سليلُ يوسف[٢] أنشاها وقدّمها هديّةً منهُ في الاحقاب للخلفِ

١) ذي الذهب اي أغنى الناس.

٢) اشار الناظم الى اسم ابيه المقدسي يوسف طرّازي (١٧٨٥ – ١٨٤٥) الذي اوردنا ذكره مرّات شتى في هذا الكتاب ولا سيما في الفصل الاول من القسم الثاني وفي الفصل الثالث من القسم الثالث وفي الفصل الذي نحن بصدده.



الخورفسقفوس اندراوس طرّازي

١٨٢٦ — ١٨٥٩

ولما اعتزم الفيكنت فيليب دي طرّازي ان ينشئ شجرة نسبيّة لاسرته[1] استند الى هذه الشجرة التي رسمها قبل ثمانين عاماً نسيبه الخورفسقفوس اندراوس. وقد اتخذ تلك الشجرة القديمة اساساً لعمله فاضاف اليها جميع الاغصان التي تفرّعت منها منذ وفاة الخورفسقفوس المشار اليه حتى زماننا الحاضر.

سادساً : الكنت نصرالله دي طرازي (١٨٢٢ـــ١٨٩٥)

كان مع اشتغاله بالتجارة لا يُحجم عن مناصرة العلم ومعاضدة الادباء. وبرهاناً على ذلك انه كان من اعضاء «الجمعيَّة العلميَّة السورية» ومن اوفرهم كرماً عليها . وقد تأسست هذه الجمعيّة بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٨٦٨ في بيروت برئاسة الامير محمّد ارسلان . وكانت له اليد البيضاء على مجلّة «النحلة» البيروتية لمنشئها القس لويس صابونجي[2] . وهي تُعدّ اول صحيفة دوريّة لكاتبٍ سرياني على وجه البسيطة .

ونشر الكنت نصرالله على نفقتهِ في مطبعة حجرية رواية «شاول وداود» التي وضعها القس لويس صابونجي المشار اليه عام ١٨٦٩ . وتبرع

١) تُعد أُسرة طرّازي من اقدم الاسر الشرقية كما يتَّضح من الوثائق المحفوظة لديها وقد نشرنا بعضها في هذا الكتاب. وهي آثورية المحتد نزحت من الموصل الى حلب قبل منتصف القرن السادس عشر. يؤيد ذلك حجة شرعية موقّعة باسم عُمر بن مصطفى قاضي حلب ومؤرخة في ٦ محرم ١٠٤١ هجرية اعني في ٤ آب ١٦٣١ ميلادية. وقد اطلعنا على شجرة نسبها التي تتصل ببطرس جدّها الاعلى (١٥٩٧–١٦٧٨) الذي منه تتحدَّر سلالته المنتشرة الان في لبنان ومصر واليونان وفرنسا وشمال افريقيا واميركا وغيرها من البلدان . وبلغ عدد فروع الشجرة الطرّازية عشرة اجيال مسلسلةً الواحد تلو الاخر منذ الجد المشار اليه حتى كتابة هذه السطور . ولما كان لهذه الاسرة المباركة آثار مشكورة واعمال مبرورة رأينا ان نجمع اخبارها في كتاب مستقل دعوناه «الحلل الطرازية في الاسرة الطرّازية» . وسننشره بحوله تعالى في وقتٍ قريب اقرارًا بالفضل وخدمةً للتاريخ.

٢) راجع اخبار هذه المجلة في الفصل الثامن والقسم الاول من هذا الكتاب. وطالع ايضاً الجزء الثاني من «تاريخ الصحافة العربية» صفحة ٤٧–٥١.

ايضاً في السنة ١٨٨٣ على الخورفسقفوس افرام ابيض بقيمة الورق لطبع الجزء الاول من كتابه « دليل الفردوس » وهو اول كتاب مواعظ نشرته المطابع لكاهن سرياني . ويتضمن خطباً وقضايا ذات شأن لم يتعرَّض الخطباء الشرقيّون لمثلها قبل الآن . وقد حذا فيها مؤلفها حذو الواعظين الغربيّين في القرنين التاسع عشر والعشرين .

سادساً : الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧ــ ١٩٠٠)

قرأ اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فأحكم أُصولها وخلّف نبذة عنوانها « فنّ البديع » ونظم الشعر يافعاً . وقد وقفنا له على بعض المنظومات في تقريظ مآثر رؤساء ملّته وغيرهم نذكر منها قصيدته الشائقة في وداع البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس لما غادر غبطته بيروت الى حلب عام ١٨٨٦ جاء في مطلعها :

وداعك أحزنَ الالباب طرًّا ومن مُقَل العيون الدمع أجرى
وبُعدُك بعده أسفٌ شديدٌ وهجرُك للرعيَّة بات مُرًّا

وعثرنا للكنت انطون ايضاً على بعض الخطب أهمها خطبته التي رحب فيها بالسيّد العلّامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق لدن مروره ببيروت عام ١٨٧٩ بعد سيامتهِ الاسقفيّة وهو متوجه الى دمشق كرسي رعايته .

وللكنت انطون الفضل في الاشراف على مؤلفات شتى انشأها بعض علماء السريان وفوّضوا اليه ان ينشرها في مطابع بيروت اخصها : ١ً — كتاب « الفلسفة » الذي وضعه المركيز جورج دي صعب السرياني في منشستر وقد طبعه الكنت انطون عام ١٨٨٣ في مطبعة القديس جاورجيوس الارثذكسية . ٢ً — كتاب « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » في ثلاثة مجلدات . وقد ألّفه المطران ثئوفيلس انطون قندلفت في حلب وكلّف الكنت ان يشرف على طبعه عام ١٨٨٣ في المطبعة الادبية . ٣ً — كتاب « القصارى » لمؤلفه الشهير السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق . وقف الكنت انطون

على طبعه في المطبعة الادبية عام ١٨٨٧ بعد ما استحصل الرخصة الرسميَّة لنشره من مجلس المعارف . واليك نصّ الرسالة التي وجّهها اليه بهذا الصدد مؤلف « القصارى » من دمشق في ٢٦ نيسان ١٨٨٧ قال :

« اما بعد ابلغ التحيات الحبية والشوق والدعاء فقد احتجتُ اليوم الى صداقتك الثمينة الغالية . وذلك ان في نيَّتي ان انشر بالطبع في بيروت كرَّاسة صغيرة يُبحث فيها عن مسائل تاريخية . فالتمس من فضلك وحبك ومروءتك ان تتكلف وتلاقي خليل افندي الخوري ترجمان الولاية ومدير المطبوعات وتسأله : هل يمكن ان تُنال الاجازة من حضرته اطبع هذه الكرَّاسة من دون ان يُعرض المبيَّض على لجنة المعارف في دمشق ? اذ قد شاع عنها انها وقفت عن العمل . هذه هي المصلحة التي علَّقتها بهمة حضرتك ونخوتك وصداقتك التي افتخر بها على الدوام . وبالامل الوطيد انها تُقضى عاجلًا على احسن وجه اختم بالسلام وغزير البركات الالهية عليك وعلى ذويك الموقرين اجمعين . . . »

ثامناً : الفيكنت سليم دي طرازي (١٨٦٢ــ١٩٠٥)

امتاز هذا الفيكنت الجليل بالغيرة على بيت الله تعالى والسخاء في سبيل الاعمال الخيرية . ومما يُذكر له بالثناء انه لما سافر الى رومة عام١٨٩٥ ونال شرف المثول لدى البابا لاون الثالث عشر عرض عليه احتياجات البطريركية الانطاكية السريانية . فاصغى الحبر الاعظم بكل اهتمام الى كلام زائره واثنى على غيرته الفائقة . ثم فوّض اليه ان يضع تقريراً مسهباً ودقيقاً عن احوال البطريركية المشار اليها ويعرض على قداسته رأيه الخاصّ لاجل تعزيزها . فاكبّ الفيكنت سليم اياماً على وضع هذا التقرير المستوفى . ثم رفعه في مقابلة ثانية الى مقام الحبر الاعظم الذي قرأه وتمعن في محتوياته . وفي النهار ذاته جمع البابا لديه شيوخ الكرادلة وفاوضهم في شؤون البطريركية السريانية . فقرّ رأيهم بالاجماع على ارسال مبلغ من المال تعزيزاً

لها وسدًا لحاجاتها . وعلى اثر الاجتماع المذكور استدعى الاب الاقدس اليه الفيكنت دي طرازي وسلّمه المبلغ المقرّر كي يبعث به الى بطريرك الملّة مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣ـــ١٨٩٧) .

وفي السنة ١٨٩٦ نشر الفيكنت سليم على نفقته نبذةً عنوانها « الحقّ الوضّاح في الجواب على المصباح» لواضعها المطران ثئوفيلس انطون قندلفت . وقد توخى فيها المؤلف تفنيد افتراء جريدة « المصباح » البيروتية على كتابه « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزواجية عند الشرقيّين » .

وفي السنة ١٩٠٠ حجّ الفيكنت سليم الى الاماكن المقدَّسة للتبرّك بقبر الخلاص . فانتهز فرصة زيارته ليكتب تقريرًا مفصلًا عن احوال السريان الكاثوليك واليعاقبة في اهمّ مدن فلسطين كالقدس وبيت لحم ويافا وحيفا وغيرها . ثم اردف هذا التقرير ببيان رفعهُ الى السيّد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨ـــ١٩٢٩) عن الاماكن التي رآها موافقةً في مدينة القدس ليختار احدها ويُشيّد فيه كنيسة ودارًا للنيابة البطريركية . وقد أبدى رأيه في تفضيل بقعة الارض الواقعة تجاه دير « سيّدة فرنسة » . فاعتمد السيّد البطريرك على تقرير الفيكنت هذا واستحسن رأيه واشترى بقعة الارض التي وقع اختيارهُ عليها .

تاسعاً : الفيكنت فيليب دي طرّازي

قضي الفيكنت فيليب معظم حياته في خدمة العلم والادب حتى صار ممّن يشار اليه بالبنان . وقد عرف له هذه المزية رؤساء الحكومات ورجالات المعاهد العلمية في الوطن وسائر البلدان . فزيّنوا صدره بستة عشر وساماً وعيّنوه عضوًا في عشرة مجامع علمية وجمعيات ادبية ومؤتمرات اثرية . ذلك اقرارًا بفضله ومكافأةً لمساعيه .

وقد فاق هذا الفيكنت جميع من نوّهنا بذكرهم من حملة الاقلام وانصار العلم في الاسرة الطرّازية . ولا يسعنا ان نسرد هنا جميع التصانيف

الشهيرة التي افاد بها روّام العلوم في بلادنا الشرقيّة . بيد اننا لا نرى بدًّا من ذكر ما ألفه عن الملّة السريانية واحبارها ومعاهدها وآثارها :

١ً : « كتاب القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » ضمّنه الفيكنت ترجمة السيّد اقليميس يوسف داود متروبوليت دمشق الذي استأثرت به رحمة الله في ٤ آب ١٨٩٠ . واثبت فيه جميع المراثي التي كتبها علماء الشرق والغرب بعشرين لغة في تأبين ذلك الحبر الشهير . وبياناً لمنزلة هذا الكتاب النادر المثال وتأثيره في اذهان مطالعيه نورد نص رسالة المطران ربولا افرام رحماني الذي ارتقى الى السدّة الانطاكية عام ١٨٩٨ باسم اغناطيوس افرام الثاني . وقد كتبها بخط يده في ٢٥ حزيران ١٨٩١ وانفذها من بغداد الى مؤلف الكتاب الموماً اليه قال :

« ... لا اقدر ان اصف لك ما شعر به فؤادي من الرقة والحنان وما ذرفتهُ عيناي من الدموع عندما افتتحت كتاب « القلادة النفيسة » وتيمنت بطلعة السيّد اقليميس المندوب على ممرّ الايام . ثم اخذتُ أُجيل النظر في ترجمته وفي المراثي التي عنيتَ باستحصالها وجمعها . فللّه درّك !

« لستُ ارى بايّ كلام يمكنني ان أُثني على العمل المحمود الذي اتيت به . فلقد اجدتَ وابدعتَ من كل وجه فاذا تأملت الفكرة التي أعملتها حتى أُلهمت هذا التأليف فاني لاعجب من كرامة نفسك ونجابتها . واني لاجد في عملك من هذا القبيل ابلغ تحريض وتنشيط لنا على مراعاة الذمام والوفاء بالمعروف . واذا اعتبرت الغاية التي قصدتها من تخليد ذكر فقيدنا على ممرّ الاحقاب ورفع اسمه ونشره في جميع الامصار فاني لادهش من سمو عقلك واصوب مقاصدك . واذا نظرتُ الى فوائد هذا الكتاب في الاقليرس خاصة ولاسيما من ابناء طائفتنا فاجد ان فيه أَبلغ موعظة للقيام بواجبات الدعوة الكهنوتية والاكباب على العلم والعمل مقرونين بحسن السيرة .

« فعند قراءة الكتاب ينبغي ان يقول كل من الاقليرسيّين : لمثل هذا فليعمل العاملون . وان قايسنا ما كابدته من التعب والاعتناء بجمع الكتاب

وطبعه قلنا : يا لعلوّ همتك وسعة جهدك ! وان علمنا ما انفقته على ذلك من الدينار حمدنا سخاءك . وان سمعنا ما عمدت اليه وهو ان تُنفق ما يردك من بيع النسخ فيا لحسن نياتك ! وان استوفينا قراءة الكتاب سواء كان ما وضعته بنصك او ما صحّحته او ما جمّلتهُ وحلّيته فيا لفصاحة نطقك وسلاسة عباراتك !

« وقد خطر ببالي امرٌ لا اكتمه عنك . وهو انه يليق ان نعمل تمثالين من المرمر يحفرهما اساتذة رومانيّون لينصب احدهما في بيعة دمشق والآخر في بيعة الموصل بعد استئذان الرؤساء المحليين . فما قولك ؟ . . . »

وكتب الدكتور لويس صابنجي في ٢١ حزيران ١٨٩١ من الاستانة الى مؤلف « القلادة النفيسة » ايضاً يثني عليه بقوله :

« تناولتُ كتاب القلادة النفيسة وطالعتهُ بعين الانتقاد فوجدتهُ مجموعاً من درر غراء نُظمت بعنايتك في قلادة نفيسة طبق المراد . وكلما قرأت منهُ نثرًا او نظماً هزّني سرورٌ عظيم ما شعرت بمثله من سنين واعوام . فقد جاء كل سطر من سطور هذه الترجمة اثرًا يزري بهرم من اهرام مصر وغيرها من سبع عجائب الدنيا . لله درّهُ من اثرٍ يفتخر به اهل الشرق طرًا وتُسرّ به الطائفة السريانيّة المنتشرة على وجه البسيطة كلها !

« اما انت ايها الابن الحبيب والخل اللبيب فقد ملأتَ عيني بهمّتك العلياء ومساعيك الغراء وأتيت بما لم تأته الاوائل وان كنت الاخير زماناً . نعم لقد اتيت من العظائم امرًا وانجزت في الفخر عملًا على حداثة سنك ما سبقك اليه احدٌ من فحول الادباء في الاعصار الخالية والامم الدابرة . وذلك أننا منذ علّق الشعراء والخطباء الرثاء على قبور محاضير الرجال والابطال ما سمعنا حقاً ولا وقفنا على كتابٍ حوى مراثي احد من العلماء او الملوك والقوّاد نظماً ونثرًا بعشرين لهجة .

« هذه قلادة نفيسة تطوّع لنظم درّها في سلك الزمان فحول رجالٍ من كل مذهب ومعتقدٍ ومن كل ملّة وأمّة ومن كل مقام ورتبة ومن كل



الفيكنت فيليب دي طرّازي

ارضٍ وبلدة . فلو انبعث من قبره قديم الحكماء براوشاع الاثوري وطرزماجست المصري وزردوشت المجوسي الزندي وفيازا الحكيم الهندي والفيلسوف كنفوشي الصيني وصنقنياطون الفينيقي واناقريسز التتري وافلاطون اليوناني واسكندر المقدوني وكسرى الفارسي وقيصر الرومي ونابوليون الافرنسي وغيرهم من قوّاد الجيوش والحكماء والفلاسفة والمشترعين وسمعوا تقريظاً ورثاءً بعشرين لغة في مدح رجل من خدَّام العلم والانسانية لذابوا من جرّائه حسدًا .

« فلي ان افتخر بك يا ولدي وقرّة عيني كل الافتخار . واهنئ نفسي على ما أولاها ربها قبل ارتحالها من دار الفناء الى دار البقاء من ان ترى شاباً زكياً من بني جنسها وملته قد قام بهمته العليا وعزيمته الكبرى بما قعد عنه كثير ممن ادّعى المروءة والنخوة قبلهُ . بارك الله فيك ايها الشاب النحرير! واقرّ بك عيون والديك واهلك الكرام ! وجعلك قدوةً لاصحاب العزائم العظام ! فكنتُ قد توسمتُ الخير والنجابة في سماك منذ وسمتُ جبينك الاغرّ وصبغته بصبغة العماد المقدّس .

« فاهنأ اذاً بهذه الفعلة الحسنة التي ادركت بها من طيب الذكر وحسن الثناء ما يدومان مدى الزمان . واذّخرت لك في خزائن الصحف والتواريخ أثرًا يحاذي ما نصبته في قلوب محبي الفقيد في الحال والمقتدين بنموذجه الصالح في الاستقبال . وصار ذكرك واسمك مقرونين باسمه الكريم وذكره المجيد ما تعاقب الملوان وتلألأ الفرقدان . ونلت بذلك فخرًا في الناس وثواباً عند ربك ذي الجلال . وابتعت بالفضل سلعة شهرةٍ ما استطعت ابتياعها ولو بمال قارون ما توالت القرون . . . »

٢ : كتاب « قطر الندى في ردّ الصدى » يشتمل على رسائل الثناء التي وردت الى الفيكنت فيليب في تقريظ كتابه « القلادة النفيسة » الآنف الذكر .

٣ : كتاب « اصدق ما كان في تاريخ السريان » . أنشأه الفيكنت

فيليب وضمنه اخبار الملة السريانية الى هذا العهد . واهدى نسخته المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة مع نسخة اخرى منه بغير خطهِ .

٤ : كتاب « التحفة في تاريخ دير الشرفة » . سبق لنا وصف هذا الكتاب الفريد في الفصل الاول من القسم الثالث وعنوانه « آل طرازي ودير الشرفة » وما برح هذا الكتاب غير منشور بالطبع الى اليوم .

٥ : كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » نشره الفيكنت بالطبع عام ١٩١٠ وادرج فيه اخبار احبار الملة السريانية منذ عهد انضمامهم الى البيعة الرومانية وزيّنه برسوم اولئك الاحبار . وعلّق عليه حواشي ذات شأن قلّما يعثر عليها الباحثون مفصلةً بالدقة والضبط في كتاب آخر . وقد اصبح مؤلفه هذا مرجعاً لجميع الذين يرومون الوقوف على حوادث الملة واخبار بطاركتها واساقفتها .

٦ : « جدول عام لبطاركة السريان الكاثوليك » يشتمل على انسابهم وتواريخ ولادتهم ووفاتهم وسيامتهم الكهنوتيَّة والاسقفيَّة وجلوسهم البطريركي وتأييد الاحبار الرومانيّين لهم وحصولهم على الفرمان الشاهاني وشعارهم الخاص مع ما لهم من المآثر العلميَة والدينيَّة والوطنيَّة . وقد رتّبه بهيئة مبتكرة تروق الناظر وتبهج القارئ . ثم اهداه خطاً الى مكتبة دير الشرفة .

٧ : « شجرة تاريخية لسلاسل بطاركة انطاكية » من عهد الرسول بطرس الى الآن عند جميع الطوائف الكاثوليكيَّة وغير الكاثوليكيَّة .

٨ : « مجموع البرآات البابوية » الممنوحة لبطاركة السريان من عهد انضمامهم الى البيعة الرومانيّة . وهذه البرآات ضمها الفيكنت فيليب في مجلد واحد واهداه الى مكتبة دير الشرفة .

٩ : « مجموع الفرامين والبرآات السلطانيّة » الممنوحة من سلاطين آل عثمان لبطاركة السريان الكاثوليك منذ القرن السابع عشر الى القرن العشرين . وقد ضمها كلها الى مجلد واحد اهداه ايضاً الى مكتبة دير الشرفة .

١٠ : « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين » . نشر الفيكنت فيليب على نفقته هذا الكتاب الذي ألّفه المطران ثئوفيلس انطون قندلفت († ١٨٩٨) في بيروت . ثم ترجمه بقلمه الى اللغة الفرنسية واهدى النسخة المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة .

١١ : «وثائق زواجية» هي مجموعة مرافعات ومدافعات جليلة الشأن وضعها المطران ثئوفيلس انطون قندلفت في احدى الدعاوى الزواجيّة الشهيرة في بلادنا الشرقية . جمعها الفيكنت فيليب وترجمها الى اللغة الفرنسيَّة ثم اهدى النسختين العربيّة والفرنسيّة في مجلدين الى مكتبة دير الشرفة .

١٢ : كتاب « قرّة العين » هو ديوان كبير يحتوي على قصائد شتى نظمها الفيكنت فيليب . ومن جملتها منظومات وتواريخ شعرية كثيرة العدد منوطة بالملة السريانية ورؤسائها وأَعيانها ومعاهدها ومعابدها واضرحة موتاها .

١٣ : كتاب « صنَّاجة الطَرَب في رياض الخطب » . ضم اليه مؤلفه الفيكنت فيليب كثيرًا من الخطب التي القاها في احتفالات شتى تتعلق بالملة السريانية . وقد اشرنا الى تلك الخطب في الفصل الثاني من القسم الثاني الذي عنوانه «آل طرَّازي وتعظيمهم لاحبار ملّتهم».

١٤ : نقل الفيكت عن اللغة العربية الى اللغة الفرنسيّة المنشور البطريركي الذي أَصدره مار اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٥ عن مقرّه يوم ذاك في دار آل طرَّازي مشفوعاً بالرسالة البابوية العامّة التي بدؤها : « Orientalium Dignitas » .

١٥ : ترجم الفيكنت ايضاً الى اللغة الفرنسيّة اول منشور بطريركي أَذاعهُ مار اغناطيوس افرام الثاني على اثر ارتقائهِ الى السدة الانطاكية . ثم طبعه في كرّاس خاص ووزعهُ على جميع الابرشيات السريانيّة .

١٦ : « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » سبق لنا وصف هذه المجموعة الاثرية في مقدمة الكتاب . وهي مختارات من الرسائل الكثيرة التي كتبها ائمة الشرق بخطوطهم ولاسيما بطاركة السريان ومطارنتهم . وهذه

الرسائل باجمعها قد وجّهها اولئك الايمة من انحاء شتى الى آل طرّازي في القرنين الاخيرين . فانتقى منها الفيكنت فيليب زهاء ثلاثة آلاف رسالة ثم رتبها في احد عشر مجلدًا وأهداها الى مكتبة دير الشرفة .

١٧ : نقل عن العربية الى الفرنسية خطاباً للسيد ثئوفيلس انطون قندلفت عنوانه « تعاليم الكنائس السريانية في سر الاوخارستيا » وألقاه الفيكنت عينه بالنيابة عن مؤلفه في المجمع القرباني الاورشليمي عام ١٨٩٣ كما ألمعنا اليه في الصفحة ٥٨ من هذا الكتاب .

١٨ : تقرير عنوانه « فوائد نقل كرسي البطريركية السريانية من ماردين الى بيروت » وقد اشرنا اليه في الصفحة ٦٤ من هذا الكتاب .

١٩ : نبذة عنوانها «الرتبة العددية في اسماء بطاركة البيعة الانطاكية» كتبها الفيكنت بمثابة تقرير رفعه الى البطريركين الانطاكيَّين مار اغناطيوس بهنام الثاني وخليفته مار اغناطيوس افرام الثاني . وقد اثبتنا تفصيل ذلك هنا في الصفحة ٧٠

٢٠ : نبذة عنوانها « بيان مرفوع الى محكمة الديوان العرفي في عاليه» بلبنان . كتبها الفيكنت بتاريخ ٢٦ آذار ١٩١٥ دفاعاً عن نفسه وعن السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني وعن بعض اعيان هذه البلاد تبرئة من مكيدة شيطانية لم تخطر على قلب بشر . وكان بطل تلك المكيدة اميرًا لبنانيًا نبذته أُسرته النبيلة لشذوذ اخلاقه وعدم استقامة مبادئه .

٢١ : تراجم بعض مشاهير الملة السريانية . دوّنها الفيكنت تخليدًا لمآثرهم وحثًا على اقتفار آثارهم .

٢٢ : شجرات نسبيَّة لبعض الاسر السريانية . نظمها الفيكنت اجابةً الى طلب تلك الاسر مستندًا في ذلك الى أوثق المصادر . وكثيرًا ما اعتمدت المحاكم على تلك الشجرات النسبيَّة في فصل الدعاوى او في اثبات ارث او غير ذلك .

٢٣ : أَلف احد ايمة الملّة السريانية في السنة ١٨٧٣ كتاباً جدليًا تاريخيًا

لم ينسج على منواله احدٌ قبله من حيث كثرة التنقيب ودقة البحث. وافرغ كنانة جهده في استيفاء الموضوع حقه مستندًا في ذلك الى اقـدم الوثائق واثبت المصادر التي توفق الى العثور عليها في مكاتب الغرب والشرق. وكان العلاّمة صاحب هذا الكتاب صديقاً حميماً لآل طرَّازي فاراد قبـل وفاته رحمه الله تعالى ان يبدي لهم برهاناً جلياً على تلك الصداقة. فتنزَّل لهم طوعاً عن مؤلفه هذا النفيس الذي عكف على وضعه اعواماً طويلة وملّكهم اياه مؤثرًا ان يبقى لديهم ولدى ذريّتهم ذكرًا منه مؤبدًا. ولما سلّمهم تلـك الذخيرة اليتيمة قال لهم: « استودعكم ابني الوحيد ليكون ملكاً حلالًا لكم ولذريّتكم المباركة ». وكان هـذا الكتاب الفريد منسوجاً بخطّ يد مؤلفه الجليل من فاتحته الى خاتمته. فأهداه الفيكنت بدوره الى مكتبة دير الشرفة في ١٥ آب ١٩٢٥. ونسقنـاه نحن تحت الرقم ٢٩/٥ في خزائن مخطوطاتها الثمينة.

٢٤ : نشر الفيكنت في آونة مختلفة مقـالات شتى على صفحـات الجرائد والمجلات تتعلق بالملّة السريانية. من ذلك مقالتان نشرهما عام١٩٢٧ في مجلة « الآثار الشرقية » صفحة١٣٢ و١٩٠ ردًّا على افتراء احدى مجلات بيروت التي تعرّضت لتخطئة السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني في مسئلة علمية فأخطأت المرمى. واتفق ان السيد البطريرك المشار اليه كان متغيّباً حين ذاك في اوربة انتجاعاً للصحة. فلم يتمالـك الفيكنت ان جرّد قلمه وأتى بالحجج الدامغة مفنّدًا مزاعم تلك المجلة مدافعاً عن الحق ومناضلًا عن كرامة بطريركه المغبوط. ولما عاد هذا الحبر الانطاكي من رحلته شكر للفيكنت همّته وتمنى لو يكون بين السريان ابنائه من يضارعه في شهامته.

٢٥ : اجاب الفيكنت الى رغبة بعض اعيان الملة واكليرسها في نظم القصائد وتحبير المقالات لفائدتهم الخصوصية. وقد نشروا تلـك الكتابات شعرًا ونثرًا باسمائهم. ثم نقّح ايضاً بقلمه بعض كتب وضعها غير واحد من المؤلفين السريان في هذا العصر.

٢٦ : اعتنى هذا الفيكنت الهمام بجمع اهم الاسفار التي نشرها المؤلفون السريان في مختلف البلدان وفي عدة لغات واهداها باجمعها الى مكتبة دير الشرفة العامر . وقد صنع ذلك علماً منه بان السريان قاطبةً يعتبرون مكتبة ذلك المعهد الشهير مرجعهم الاعلى في الابحاث العلمية .

٢٧ : اقتنى الفيكنت دي طرّازي جميع ما عثر عليه من المخطوطات السريانية او مما له علاقة بالامة الارامية . ووقف ذلك كله لمكتبة دير الشرفة ليستفيد من مطالعته اهل البحث وروّام الآثار القديمة .

٢٨ : يرجع الفضل الى هذا البحاثة النشيط في تكوين مجموعة كاملة من الجرائد والمجلات السريانية والكرشونية التي صدرت في لبنان وسوريا وفلسطين وما بين النهرين واسية الصغرى والعراق وكردستان والملبار واميركة الشمالية . وهي مجموعة ثمينة بل نادرة صرف الفيكنت جهوده في ضمّ شتاتها واهداها الى مكتبة دير الشرفة حرصاً عليها من الضياع .

وننتهز الفرصة لنضمّ الى ما سبق سائر مؤلفات الفيكنت فيليب وآثاره القلمية . وقد نشر قسماً منها بالطبع ووقف القسم الآخر لمكتبة دير الشرفة وهي :

٢٩ : تاريخ الخديوية المصرية في عهد السلالة المحمدية العلوية .

٣٠ : تاريخ نابوليون الاول .

٣١ : ديوان نفحة الطيب .

٣٢ : ترويح الانفس في بلاد الاندلس .

٣٣ : كتاب « الجوهر الصافي في ابدع القصائد المشتركة القوافي » جمع فيه الفيكنت أشهر القصائد ذات القوافي المشتركة كالخال والعين والعجوز والغرب والعلم والشرف وغيرها . وعلّق على تلك القوافي شرحاً وافياً .

٣٤ : « ارشاد الكاتب الى فنّ تنظيم المكاتب » يتضمن قواعد فنّية واساليب حديثة لتنسيق المكاتب في الشرق على منوال دور الكتب في الغرب . وهذا الكتاب مبتكر في بابه . استند الفيكنت في وضعه الى

العلم والاختبار مدة ستّ عشرة سنة متوالية . فسدّ بذلك ثلمةً كبيرة في اللغة العربية لم يأبهْ لها غيره قبل الآن . ولسرعة انجاز هذا الكتاب الخطير الذي يتطلّب الدقة والبحث الطويل استعان المؤلف في انشائه وترجمته ببعض معاونيه في دار الكتب الكبرى ببيروت .

٣٥ : نبذة عنوانها « تأسيس دار الكتب الكبرى » في بيروت نشرها الفيكنت دي طرّازي عام ١٩٢٣

٣٦ : خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت منذ نشأتها في السنة ١٨٦٠ حتى السنة ١٩٠٦

٣٧ : سلسلة تاريخية لرؤساء شركة القديس منصور ونوّاب رئاستها وجميع متوظفيها في بيروت منذ عام ١٨٦٠ الى الزمان الحاضر .

٣٨ : « الآثار الذهبية لشركة القديس منصور الخيرية » . يحتوي هذا الكتاب على اهمّ الصكوك الرسمية للشركة المذكورة وعلى اكثر الخطب والتقارير التي تُليت في جلساتها العامة وحفلاتها الكبرى .

٣٩ : « فهارس عامة للجرائد والمجلات العربية في الخافقين » منذ تكوين الصحافة حتى الآن .

٤٠ : « فهارس عامة للجرائد والمجلات الشرقية في الخافقين » لكل من اللغات السريانية والعبرانية والحبشية والارمنية والفارسية والتركية والكردية والتترية واليونانية والاردوية الخ .

٤١ : « نبذة مختصرة في الصحف العربية المصوَّرة » .

٤٢ : « مجموع تقارير علميّة واثريّة » وجهها الفيكنت الى المجامع العلمية والجمعيات الادبية في اوربة والشرق .

٤٣ : نبذٌ أُدمجت بتاريخ « لبنان » الذي طبعته الحكومة اللبنانية على نفقتها اثناء الحرب العظمى .

٤٤ : كتاب « تاريخ الصحافة العربية » يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في الخافقين مع رسوم اصحابها ومحرّريها وتراجم

مشاهيرهم . يقع هذا الكتاب في اثني عشر مجلدًا ظهر منها بالطبع الى حين كتابة هذه السطور اربعة مجلدات . وقد أثنى عليه العلماء شعرًا ونثرًا وأحلُّوه محلّ الاعتبار لانه اصبح مرجعاً في موضوعه للباحثين والصحافيين . ومن الشعراء الخمسين الذين قرّظوه نذكر ابياتاً للشيخ العلّامة ابرهيم الحوراني اختتمها بتاريخ قال :

يا مَن اذا صُلّت الاقلام في يده صامَ المهنّدُ خوفاً وانحنى وسجدْ
انشأتَ في الشرق تاريخ الصحافة لم تُسبقْ اليهِ ولا باراك فيه أحدْ
سفرٌ بهِ يا ابنَ نصراللهِ قد نُصرت صحائفٌ كسرت كسرًا بغير عددْ
أحرزتَ يا نجل طرّازي الشريف بهِ مدحاً وذكرًا غدا عطرًا لكل بلدْ
فأنتَ من رام من مسعاهُ حين بدا بستان تاريخهِ غضّ الجنى ووجدْ
١٩١٣

عاشرًا : سائر أدباء آل طرّازي

اثبتنا حتى الآن اسماء فريق من آل طرّازي ممن خلّفوا في الملة السريانية آثارًا قلميّة . وقد اشتهر بينهم رجالٌ غيرُ مَن نوهنا بذكرهم خدموا الصحافة والأدب قولًا وعملًا . أخصّهم يوسف طرّازي (١٨٤٧ — ١٨٧٢) ابن المقدسي انطون عميد ابرشيّة بيروت السريانية . فانه دبّج جريدتي «الجنة» و «الجُنينة» البيروتيتين للمعلّم بطرس البستاني بمقالات عديدة بعث بها من مدينة بورسعيد حيث كان امين سر فرديناند دي ليسبس فاتح ترعة السويس . وما عدا ذلك فانه على قصر حياته خلّف كثيرًا من المنظومات الرائعة المعربة عن نبوغه وطول باعه . نورد منها تاريخاً شعرياً نقشه فوق باب منزلٍ امتلكهُ عام ١٨٦٩ على شاطئ ترعة السويس[١] . قال :

من فضل ربّي شِدتُ بيتاً قامَ في عِبْرِ السُوَيسِ به أُسَرٌّ وأُسرَتي

---

١) لمّا سافر البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس فيلبّس الاول مع ستّة من مطارنته وبعض الكهنة لحضور المجمع الواتيكاني رست الباخرة بتاريخ ٨ آب عام ١٨٦٩ في ثغر بورسعيد . فاحتفى يوسف طرّازي بقدومهم وقضوا في منزله يوماً كاملًا على الرحب والسعة .



يوسف ابن المقدسي انطون طرّازي

١٨٤٧ — ١٨٧٢

فَيدُ الطبيعة نمنمت أرجاءَه برًّا بزهرٍ فيهِ أطيبُ نكهةِ
فانضمَّ فيهِ الخافقانِ ومنزلي هُوَ مجمعُ البحرَينِ في ذي البُقعةِ
بالشرقِ صارَ الغربُ متَّصلًا هنا فتلاحما وتصافحا كالإخوةِ
وبكلِّ حقٍّ صِرتُ أهتفُ قائلًا ومُؤرِّخاً لي تمَّ حفرُ التُّرعةِ
١٨٦٩

وانتقل يوسف طرّازي الى دار البقاء بتاريخ ١٠ شباط ١٨٧٢ في بيروت مأسوفاً على آدابه وشبابه . فنظم صديقهُ العلّامة وعارفُ فضله امين شميّل[1] تاريخاً لضريحه قال :

ذا رمسُ يوسف طرّازي عليه همى دمعٌ سخينٌ من الأحداق قد نفدا
قد مات في الخمس والعشرينَ تهصرهُ غصناً رياحُ الردَى تُحيي به الكمدا
قضى الحياةَ بتقوى اللهِ ثمَّ مَضى الى النعيمِ ليحظى بالهنا أَبدا
ملائكُ العرش قد نادَت مؤرّخةً نراه في حضن ابراهيم قد رقدا
١٨٧٢

ومن أُدباء هذه الأُسرة يوسف (١٨٥٧ــ١٩٠٥) بن نعمةالله طرّازي الذي اشتغل كاتباً حاسباً في ادارة جريدة « الاهرام » في اوائل عهد نشأتها بالاسكندرية . فانه درس اللغة العربية على سليم بك تقلا مؤسس تلك الجريدة عندما كان كبير اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت . ولما انجز يوسف دروسه عام ١٨٧٣ أنشد في الحفلة السنوية قصيدة عامرة الابيات من نظمه وداعاً لتلك المدرسة التي غذّتهُ البان الفضيلة والعلم . ونظراً لمتانة قصيدته معنىً ومبنىً نوردُ منها أبيات المطلع وهي :

سلامٌ على صرحٍ به العلم زاهرُ وقومٍ لهم في كلِّ يومٍ مآثرُ
سلامٌ على رهط الاحبّةِ كلّما تبلّج صبحٌ أو تغزّل شاعرُ
سأحفظ ذكرى البطريركية التي بما علّمتني قد غدوتُ أُفاخرُ

---

١) طالع ترجمة امين شميّل في الجزء الثاني من كتاب « تراجم مشاهير الشرق » لمؤلفه جرجي زيدان صفحة ٢٠٦–٢٠٩ .

رعى اللهُ عهدًا في حماها قضيتهُ ولا ينكرُ المعروفَ إلَّا المكابرُ
اودَعُ فيها الفضلَ والنبلَ والنهى وقلبي لها في السرِّ والجهرِ شاكرُ
فلا برحت للشرقِ مشكاةَ حكمةٍ تعزّز شأن العلم ثمَّ تناصرُ

ولما نشبت الحرب بين ايطاليا والحبشة (١٨٩٤ — ١٨٩٦) كلفت القيادة العليا للجيوش الايطالية يوسف طرأزي ان يرافقها الى بلاد الاريتره. وعهدت اليه حين ذلك بمنصب مهمّ في قلم الترجمة لتضلعه من لغات شتى شرقية وغربية .

ومنهم فتح‌الله طرّازي (١٨٣٥—١٨٩٢) الذي عاش اربعاً وعشرين سنة في انكلترا . فانه انشأ مقالات شتى مفيدة ونشرها على صفحات جريدة « مرآة الاحوال » لرزق‌الله حسُّون ومجلة « النحلة » للدكتور لويس صابونجي في لندن . وكانت مقالاته في «مرآة الاحوال» المطبوعة على الحجر مكتوبة بخط يده . ولم يكتفِ فتح‌الله بذلك بل تبرَّع بسخاء على هذين الصحافيين كليهما تعزيزًا لفن الصحافة الشرقية في بداءة عهده . وعلى رغم اشتغاله بالتجارة فقد جرت له مساجلات لطيفة مع العالِمين اللبنانيين الكنت رُشيد الدحداح (١٨١٣—١٨٨٩) نزيل باريس وامين شميّل (١٨٢٨—١٨٩٧) نزيل ليفربول. وقضى فتح‌الله طرازي ايامه الاخيرة في مرسيليا حتى ادركته المنون في ١٤ اذار ١٨٩٢ وقد وقفنا على تاريخٍ شعري لوفاته هذا نصه:

باليمن فتح‌الله فارق أهلهُ أملًا بفتحٍ في ربوع الجنَّةِ
من هذه الدنيا مضى متدرّعاً بسلاح تقوى الله لا بأسنةِ
أَسفتْ له مرسيليا لمَّا قضى وبكته أُسرتهُ بدمع الكآبةِ
واذا بكاهُ زهرُ موطنهِ ففي تاريخه يبكيه زهرُ الغُربةِ
١٨٩٢

ومثلما خدم بعض آل طرازي الآداب السريانية والعربية انصرف غيرهم الى الكتابة والتأليف في اللغة الفرنسية . واخصهم السيدة ماري زوجة



يوسف بن نعمة الله طرّازي

١٨٥٧ ــ ١٩٠٥

فتح‌الله طرازي المشار اليه. فأنها وضعت كتباً كثيرة لم تنشر منها سوى ثلاثة وهي : الاول «تبتل الكهنة» والثاني «سياحة في جبل آثوس» والثالث رواية عنوانها «في السيَّارة» . وتطرّقت المؤلفة في كتابها الثالث الى الحديث عما اطّلعت عليه من احوال الشرق وعادات الشرقيين . وحلّت وفاة هذه الكاتبة في مرسيليا عام ١٩٢٨ بالغة الرابعة والثمانين من سنها .

وما قلناه عن ماري زوجة فتح‌الله طرازي يصدق عن ماتلد ابنته ايضاً . فقد اكبّت على الدرس والكتابة منذ نعومة اظفارها واشتهرت بما خلّفتهُ من الآثار القلمية التي نشرتها في بعض المجلات الفرنسية . وقد هصر غصن حياتها الرطيب في شرخ شبابها .

ومن احفاد فتح‌الله طرّازي نذكر المحامي البارع جرجس بن ادمون في مرسيليا . فانهُ قضى مدةً من خدمتهِ العسكرية بالجيش الفرنسي (١٩٢٥ــ ١٩٢٦) في سوريا ولبنان . واثناء ذلك عُيّن استاذاً للغة الفرنسية في مدرسة دير الشرفة إجابةً لرغبة بطريرك السريان مار اغناطيوس افرام الثاني رحمهُ الله تعالى .



القسم الرابع

آيات معرفة الجميل لآل طرّازي

الفصل الاول

الاحبار الرومانيون وآل طرّازي

كانت الأُسرة الطرازية فيما سلف كأغلب الأُسر السريانية في مدينة حلب منتمية الى ملة السريان اليعاقبة الزاعمين بطبيعة واحدة في السيد المسيح . وكان ابناء تلك الاسرة كابناء زملائهم وجهاء حلب يزاولون في المدرسة الملية مبادئ اللغتين السريانية والعربية . ويغـذّون انفسهم بقراءَة الكتاب المقدس بدءًا من المزامير الداودية طبقاً لاسلوب التعليم الجاري في ذلـك العصر . وكانوا يتمرنون على الطقوس البيعية ويتلقنون عن اساتذتهم نتفاً من تواريخ اجدادهم وآداب علمائهم .

فلما جاهر السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه مطران حلب عام ١٧٧٤ بالايمان الكاثوليكي المقدس لبَّى آل طرازي دعوة هذا الحبر الجليل وانضموا الى آرائه وعقيدته . واضحى جدّهم بطرس طرّازي الثاني (١٦٨٧ــ١٧٧٦) من اخص تلاميذه الصادقين وابنائه البررة الامنـاء . فاطرح هو وآل بيته المذهب المنوفستي واصبحوا من اقوى المدافعين عن حوزة الايمان الكاثوليكي باقوالهم واعمالهم وامثلتهم الصالحة . وشاطروا رئيسهم الروحي المشار اليـه نوائبه الشتى . وضحّوا بالغالي والنفيس في تعزيز مقامه ولاسيما بعد ارتقائه في

دير الزعفران عـام ١٧٨٢ الى الكرامة البطريركية على جميع السريان دون استثناء .

بلغت مسمعي إمام احبار بيعة الله مار بيوس السادس (١٧٧٥ـــ١٧٩٩) اخبار غيرة آل طرّازي وتفانيهم في تعزيز مقام بطريركهم المغبوط وتشبثهم باهداب الكرسي الرسولي. فانعم على عميدهم الياس طرازي (١٧١٥ـــ١٧٩٢) بوسام «المهماز الذهبي» طبقاً لبلةٍ تاريخها ٢٨ آب ١٧٨٥ لم تزل محفوظـة الى الآن . وقد اثبتنا ذلك في الفصل الاول من القسم الثاني تحت عنوان «آل طرازي وضيافتهم لاحبار الملة السريانية» صفحة ٤٦ .

وورد في قيود آل طرازي ان جدهم انطون (١٧٨٩ـــ١٨٥٥) ارتحل الى عاصمة الكثلكة عام ١٨٢٩ انتجاعاً للصحة . وحظي بعد وصوله اليها بمقابلة الحبر الاعظم بيوس الثامن (١٨٢٩ـــ١٨٣٠) الذي ادرك مـا يعانيه هذا الزائر الغريب الديار من ضعف القوى فأمر طبيبه الخاص بمعالجته . فقام هذا الطبيب باوامر مولاه حتى فاز العليل بعد مدة وجيزة بالشفاء التـام . ولما تشرف انطون بين يدي إمـام الاحبار ليعرب لقداسته عن عواطف شكره البنوي ويستأذنه في السفر أوعز اليـه ان يتربَّص في رومية ريثما يستجمع قواه . ثم فوَّض اليه أن يعلّم اللغة السريانية في مدرسة نشر الايمان المقدس لانه كان من البارعين بها. وكلفه ايضاً ان يدرس بعض المخطوطات السريانية في المكتبة الواتيكانية ويترجم بعضها . فنهض انطون بتلك الخـدمة الادبية واستحق ان تثبت تلك المكتبة اسمه في احد سجلّاتها بين اسماء رجالات الفضل الذين ادوا لها الخدم المشكورة. وبعد هذا عاد انطون طرازي الى وطنه يحمل تحفاً قدسية نفيسة تكرم بها عليه الحبر الروماني الموما اليه .

وفي السنة ١٨٥٦ عاد البطريرك اغنـاطيوس انطون الاول (١٨٥٣ــ ١٨٦٤) من رومة الى بيروت . وحلَّ هو واساقفته في دار آل طرازي عملاً بتقاليد سلفائه الاحبار الانطاكيين . فأهدى اليهم صورة زيتيَّة تمثل دخول

السيد المسيح الى الهيكل واحتضان سمعان الشيخ له . وقد بارك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ـ١٨٧٨) بيمينه تلك الهدية التي خصصها البطريرك بالاسرة الطرازية . وما برحت تلك الصورة الجميلة مصونةً عندهم كاثمن ذخيرة الى هذا العهد .

ولما انفرط عقد المجمع الواتكاني المسكوني عام ١٨٧٠ أتحف الحبر الاعظم بيوس التاسع بطاركة المشرق بهدايا وتذكارات نفيسة . ومن جملتها نوطٌ ذهبي نُقش على احدى صفحتيهِ رسمه الكريم وعلى الصفحة الاخرى رسم المجمع الواتكاني . ولما قفل البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦ـ١٨٧٤) راجعاً من رومة وحلّ هو وحاشيته في دار آل طرازي أهدى الى عميدهم الكنت نصرالله هذا النوط التذكاري الذهبي . فكان ذلك برهاناً ساطعاً على شديد اعتبار البطريرك لهذه الاسرة النبيلة التي تتمتع بارفع منزلة لدى بطاركة الملة السريانيَّة .

واصل آل طرازي صنائعهم في سبيل تعزيز ملّتهم وتجلّت تلك الصنائع خصوصاً حين المباشرة ببناء كنيسة بيروت السريانية . وبلغت القاصي والداني اخبار عوارفهم فاراد الحبر الروماني البابا لاون الثالث عشر(١٨٧٨ـ١٩٠٣) ان يُبدي لكبيرهم نصرالله عاطفة الرضا والاستحسان . فمنحه وسام « القديس سلفسترس » طبقاً لبراءة مؤرخة في ٢٠ شباط ١٨٨٠ ميلادية . وهو اول سرياني احرز هذا الوسام من سخاء الكرسي الرسولي .

واضاف هذا الاب الاقدس الى تلك المنحة منحةً اسمى واعظم اراد ان يكلل بها شيخوخة نصرالله طرازي عميد اسرته وملته . فانعم عليه برتبة « كنت روماني » تتسلسل في اعقابه الذكور كابرًا عن كابر . ذلك اجابةً الى رغبة البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣ـ ١٨٩٧) الذي تسلم براءة هذه الرتبة الشريفة وانفذها الى الكنت الجديد مشفوعة برسالة منه هذا نصها :

« نهدي اليكم دعواتنا الخيرية ونستمطر عليكم النعم الربانية

لتمتعكم نفساً وجسماً . اما بعد فان ما انطوت عليه سريرتكم ايها الابن العزيز الكامل من مكارم الصفات والمآثر الروحية والزمنية والتفاضل في افعال التقوى والخدمات الحسنة في سبيل الخير الطائفي التي على خطتها نبغ ابناؤكم المباركون لم يزل محرّكاً فينا عوامل حبٍّ خاص ابوي لكم تتضاعف بدرجات تفاضلكم في هذه المحاسن . وكان ذلك سبب عزاء وسرور ومباهاة بكم . ومن ثم فقد ترتب علينا من باب العدل ان نكيل لكم بمكيال مبرّاتكم هذه تقديراً لمنزلتها وتعزيزاً لجانبها وتزايداً لاسباب مباهاتنا ومسرتنا بكم .

« وعليه فبطيب نفس نوافيكم اليوم بالجعالة النفيسة الجليلة النادرة من رأس كنيستنا المقدسة الحبر الروماني الاعظم البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً . وهي براءتهُ برفع منزلتكم الى مقام الكنت الروماني السامي جاعلاً حق هذا النعت الشريف متسلسلاً منكم للابناء الابكار ظهراً بعد ظهر . وذلك دلالة من قداسته على رضوانه الابوي عنكم وعن انجالكم المحبوبين المباركين وارتياحه الى حسن خدمكم وتقواكم . فنعما ما استحققتم ايها الابن التقي الفاضل ! فليكن ذلك لكم هنيئاً مريئاً ! وليهنأ ابناؤكم المباركون وسائر افراد عائلتكم بهذا المجد الذي لاقى محلّهُ ! والله نسأل ان يمد في عمركم لتستعملوا هذه علامة الشرف بعلاء شأن وفخر . وان يؤتيكم سائر ابواب العز والتوفيق والهناء . هذا ونهدي اليكم والى افراد عائلتكم المصونة المباركة تكراراً البركة والسلام بالرب في الختام

« أُعطي في رومية في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ وهي الثانية لبطريركيتنا

الحقير

(مكان الختم) اغناطيوس بهنام بني

بطريرك السريان الانطاكي

واليك نص البراءة البابوية المشار اليها كما ورد في الاصل اللاتيني بالحرف الواحد وهو :

Leo P. P. XIII

Dilecte fili Nasrallah, salutem et apostolicam benedictionem.

Eximia virtutum ornamenta, quibus una cum filiis tuis egregia apud omnes opinione flores et a Patriarcha Antiocheno Syrorum amplissimis verbis commendaris, religionis praesertim pietatisque laus atque immutatum erga Romanam cathedram Nos quodammodo impellunt, ut peculiare benevolentiae tibi documentum deferamus, quod non te solum, sed tuos etiam posteros nobilitate claros efficiat. Quare omnes ac singulos quibus hae litterae Nostrae facient, peculiari benevolentia complectentes, et a quibusvis excommunicationis et interdicti, aliisque ecclesiasticis sententiis, censuris et poenis si quas forte incurrerint huius tantum rei gracia absolventes et absolutos fore censentes, te, dilecte fili, tuosque posteros in primogenitorum linea masculina tantum, dummodo sint e legitimis nuptiis progeniti, a catholica religione nunquam desciverint, atque in debito sanctae huic Apostolicae Sedi obsequio perseverent, hisce litteris auctoritate Nostra Comites facimus, constituimus, renutiamus. Tibi ideo, dilecte fili, tuisque posteris praefatis concedimus, ut in publicis privatisque tabulis, diplomatibus et apostolicis etiam litteris quibuscumque hoc honoris titulo dici ac nuncupari licite possitis et valeatis, utque utamini, fruamini singulis quibusque honoribus, privilegiis, praerogativis, indultis, quibus alii huiusmodi titulo insignes utuntur, fruntur, vel uti, frui possunt ac poterunt. Decernentes praesentes litteras firmas, validas et efficaces existere ac fore, suosque plenarios et integros effectus sortiri atque obtinere, illisque ad quos spectat et in futurum spectabit in omnibus et per omnia plenissime suffragari, sicque in praemissis per quoscumque indices delegatos et ordinarios indicare ac definiri debere, ac irritum et inane si secus super his a quoquam quavis auctoritate scienter vel ignoranter contigerit attentari. Non obstantibus in contrarium facientibus quibuscumque.

Datum Romae apud S. Petrum sub annulo piscatoris, die XVI Novembris MDCCCXCIIII Pontificatus Nostri anno decimoseptimo.

C. Card. de Ruggiero

وفي ما يلي نثبت تعريب هذه البراءة الرسولية عن الاصل اللاتيني :

البابا لاون الثالث عشر

« الى حضرة الابن الحبيب نصرالله طرازي

« السلام والبركة الرسولية

« ان حلى الفضائل السامية التي تزينتَ بها انت وانجالـك مع حسن السمعة عنـد الجميع والثناء الطيب الـذي اطرأك به بطريرك السريان الانطاكي . ولاسيما ما اتصفت به من صدق الدين والتقى واداء الاحترام الثابت للسدة الرسولية الرومانية . فذلك كله يحملنا على ان نخوّلك برهاناً على انعطافنا الخاص .

« بناءً عليه نرفع مرتبتك ومرتبة اعقابك الى مقام الاشراف والنبلاء . ولما كنا نروم ان يشمل انعطافنا هذا كل من نوجه اليهم رسالتنـا اجمالاً وافراداً . فبعـد حـل الجميع من كل حرم وقطع ومن سائر الاحكام والتأديبات والعقابات الكنسية التي لعلكم تكونون قد سقطتم فيها ومع اليقين بانكم ستحلون منها لاجراء النعمة الحاضرة نقلدك ايها الابن العزيز برسومنا هذا وبقوة سلطاننا رتبة كنت . فنقيمك ونعلنك بها مع ابكار أُسرتك الذكور يتوارثونها عنك بطريق التسلسل كابراً عن كابر . بشرط ان يولدوا من زواج شرعي ويعتصموا بعرى الديانة الكاثوليكية ويثابروا على اداء الاكرام لهذا الكرسي الرسولي المقدس .

« وعليه نسمح لك ايها الابن العزيز ولاعقابك المشار اليهم ان تتخذوا هـذا اللقب بحيث يمكنكم ان تستعملوه شرعياً وتتمتعوا بكل اصناف الشرف والامتيازات والانعامات التي يستعملها ويتمتع بهـا حائزو هـذه الرتبة الشريفة او عساهم يحوزونها فيما بعد . فتستطيعون وسوف تستطيعون استعمالها مع التمتع بهـا في الكتابات العامة والخاصة والمـدنية وفي مراسلاتكم الى الكرسي الرسولي . ثم اننا نقضي بان منطوق هذه البراءة ثابت وشرعي وفعَّال في الحـال والمستقبل . وانه نافذ بجزئيـاته وكلياته وشامل بامتيازاته المذكورة كلها من أُنيط او سيناط بهم الامر كافـة .

هكذا يُحتم ان يجري ذلك ويعمل به جميع القضاة سواء كانوا نوّاباً او رؤساء ذوي سلطة ثابتة بحيث ان كل من يخالف الاحكام المذكورة آنفاً يُعدّ عمله باطلًا وملغى . ونبطل كل ما هو مخالف لاوامرنا هذه.

«أعطي في رومة بالقرب من القديس بطرس تحت ختم الصياد في ١٦ تشرين الثاني سنة اربع وتسعين وثمانمائة بعد الالف وهي السنة السابعة عشرة لحبريتنا»

(مكان الختم)

(المسجل الكردينال دي روجيرو)

ما كاد ينقضي العام الاول على توجيه هذه الرتبة الشريفة الى الشيخ الجليل الكنت نصرالله حتى أُصيب بداء عضال أقعده عن العمل وألزمه الفراش. فبلغ الخبر مقام الحبر الاعظم الذي أَوعز الى وزير دولته الكردينال رمبولا في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٩٥ ان يبعث الى ابنه الوفي المشار اليه بالرسالة البرقية الآتية :

« لما علم الاب الاقدس باشتداد مرضك غلب عليه الغمّ . وهو يمنحك من صميم الفؤاد بركته الرسولية طالباً لك العون السماوي »

فكان لهذا الانعطاف السامي شأن خطير لا لدى الاسرة الطرازية فحسبُ بل لدى الملة السريانيَّة جمعاء . فكتب البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني الى آل طرازي بتاريخ ٢٠ كانون الاول من السنة المذكورة يقول :

« . . . فهذا الامتياز الفائق المقدار قد افعم قلبنا سروراً وتسلية بما يفوق الوصف . فاننا لا نعهد ان احداً نال هذا الشرف المتسامي سوى الملوك والامراء العظماء في بلاد اوربة وغالباً عند طلبهم ذلك بغاية الشوق. فكفى ذلك لكم عزاءً ومجداً وشرفاً . ولنا تباهياً وسروراً . وللطائفة جمعاء فخراً . . . »

على ان برقية الحبر الاعظم هذه ما وصلت الى الكنت نصرالله حتى رفع الى سدّته الرسولية في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٩٥ عريضة امتنان وشكر باللغة الفرنسية هذا تعريبها :

« ايها الاب الاقدس

« ان أقدس فرض يُحتم عليَّ اداؤه في عريضتي هذه هو ان ارفع الى سدتك الابوية عواطف عرفان الجميل للبركة الرسولية التي شاءت قداستك ان تمنحني اياها على يد نيافة الكردينال رمبولا اثناء المرض العضال الذي أُعاني آلامه.

« فهذه البركة التي اعتدُّها برهاناً نادر المثال على عطف قداستك السامي قد غدت لي عوناً قويًّا في اوجاعي بل تعزيةً كبيرة في شيخوختي . فازاء هذا الاحسان الجليل لا استطيع نظرًا لسقم جسمي الا ان ارفع عينيَّ الضئيلتين وابسط يديَّ الواهنتين نحو ذاك الذي تُستمد منه كل قوة ملتمساً منه سبحانه صيانة رأس الكنيسة الكاثوليكية سيدنا البابا لاون الثالث عشر المالك سعيدًا.

« اسأل الله متوسلًا ان يسمع ادعيتي ويمنّ عليَّ بالصحة الكافية لاتمكّن من السفر الى رومة تيمّناً بمشاهدة أسير الواتيكان المعظم . هكذا يتيسَّر لي ان اجدد لقداستك عهود الولاء والاخلاص والانتماء كما اثبتها لاسلافك والدي المرحوم انطون طرازي وجد والدي الياس طرازي.

« وبينما اتوقع بذاهب الصبر تحقيق هذه الامنية السعيدة التي اتوق اليها من صميم الفؤاد اتجاسر ان اقدم جزية احترامي البنوي طالباً ان تتنازل قداستك لقبولها مني كفلسي الارملة . ثم اني لدى مغيب شمس عمري استمد صلوات قداستك لي ولاولادي واحفادي الذين لبثوا بنعمة الله متمسكين بعرى الامانة لكرسيك الرسولي . وسيظلّون معتصمين بمخافة الرب عملًا بالآية الكريمة التي اتخذها آبائي واجدادي شعارًا لهم . وقد ايدتها قداستك شعارًا ابديًا لاسرتي وهي : تاج الحكمة مخافة الرب .

« وفيما انا منحنٍ تحت عبء الشيخوخة اجثو بكل احترام امام قداستك مع الكونتس قرينتي وجميع اعضاء اسرتي سائلًا لنا قاطبةً ولافراد ذريتي عطفك الابوي وبركتك الرسولية »

أطوع عبيد قداستك

نصرالله دي طرازي

الكنت الروماني

وقد شفع الكنت نصرالله عريضته هذه بتقدمة مالية وتحف شرقية . وكلف الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي السرياني لدى الكرسي الرسولي ان يقدمها لاعتاب قداسته . فقام الوكيل البطريركي بهذه المهمة في مقابلة خاصة جرت له في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ قبل الظهر . وهو نفس اليوم الذي لفظ فيه الكنت نصرالله روحه بيد خالقها . تغمده الله بالرحمة والرضوان .

وفي اليوم التالي لتلك المقابلة نُمي الى الحبر الاعظم نعيُ الكنت دي طرازي فلم يتمالك ان اظهر الاسف الشديد على فقده . ثم بلّغ الخورفسقفوس يوسف هبرا بواسطة المونسنيور انجلي كاتم سره انه فوض الى الكردينال رمبولا تقديم التعازي الى اسرة الراحل الجليل .

ونرى ان نثبت هنا للكنت نصرالله دي طرازي برهاناً آخر على تعلقه بالكرسي الرسولي . ذلك انهُ لدى الاحتفال عام ١٨٨٧ باليوبيل الكهنوتي الخمسيني للبابا لاون الثالث عشر اشترك بسخاء في الهدية النفيسة التي رفعها البطريرك السرياني مار اغناطيوس جرجس الخامس الى صاحب اليوبيل . وكانت تلك الهدية بطرشيلًا منسوجاً بالذهب ومرصعاً باللؤلؤ لا نعهد ان يداً شرقية نسجت على طرازه في سالف الزمان . وقد أُعجب به الحبر الاعظم غاية الاعجاب حتى انه توشح به صباح عيد يوبيله وهو داخل باحتفال باهر الى كاتدرائية مار بطرس .

وقد حذا حذوَ الكنت نصرالله انجاله في تبيان عواطف اخلاصهم



الكونتس ماري زوجة الكنت انطون دي طرّازي

١٨٧٣ — ١٩٢٥

للكرسي الرسولي وتشبثهم بالاحترام لرأس البيعة الجامعة . فتشرف كبيرهم الكنت انطون وقرينته الكونتس ماري بزيارة البابا لاون الثالث عشر عام ١٨٩٣ في مقابلة خاصة لاجل تهنئتهِ ببلوغهِ السنة الخمسين من اسقفيته . فسعيا خصيصاً للقيام بهذا الواجب وأدّيا لقداسته فريضة الاجلال مشفوعة بجزيتهما البنوية . وكان الكنت انطون قد سبق وحجّ عاصمة الكثلكة عام ١٨٨٩ ونال ايضاً شرف المثول لدى الحبر الاعظم المشار اليه .

ونهج الفيكنت سليم نهج شقيقه الكنت انطون فحظي بالمثول لدى قداسة البابا دفعتين متواليتين عام ١٨٩٥ ونال من مكارمه وسام «القديس غريغوريوس الكبير» من رتبة كومندور . ثم دفع اليه البابا مبلغاً وافراً من المال باسم البطريركية السريانية يُنفق على مشاريعها الخيرية كما سلف القول في الفصل الثاني من القسم الثالث . وحاز سنة ١٩٠٠ وسام «التذكار المئوي للقرن العشرين»

اما الفيكنت فيليب فقد اقتفى ايضاً آثار آبائه وشقيقيهِ في ابداء ولائه للسدة الرومانية . فتشرَّف هو وقرينته السيدة اوجيني في ٥ نيسان ١٩٠٠ بمقابلة البابا لاون الثالث عشر . وكان ذلك يوم الثلاثاء من اسبوع الآلام اذ ينصرف الحبر الاعظم في اثنائه الى الصلاة وتُقفل ابواب قصر الواتيكان في وجوه الزائرين . الا ان البابا شاء ان يظهر للفيكنت وقرينته عطفه السامي الابوي فامر ان يُستثنى الزائران من قانون اسبوع الآلام . وقد استغرقت الزيارة خمساً وثلاثين دقيقة تحدث الاب الاقدس اليهما في خلالها عن شؤونٍ كثيرة تتعلق ببلاد الشرق كأنه ساكن فيها ومضطلع باحوالها . وفي نهاية المقابلة اهدى الحبر الاعظم الى الفيكنت فيليب وسام «القديس سلفسترس» من رتبة كومندور بعد ما سبق واهدى اليه عام ١٨٩٤ وسام «القديس غريغوريوس الكبير» . ونال كذلك وسام «القبر المقدس» ووسام «محامي القديس بطرس» ووسام «التذكار المئوي للقرن العشرين» .

هكذا ظلّ آل طرازي منذ القرن الثامن عشر الى هــذا اليوم على وصال متين وولاء بنوي وثيق مع الاحبار العظام خلفاء شمعون كيفا في رومة عليه السلام.

الفصل الثاني

تكريم أيمّة السريان وكتبتهم لآل طرازي

لا نعرف أُسرةً سريانية كالاسرة الطرازية أجمعت أفواه ايمــة السريان واقلام كتّابهم وقرائح شعرائهم قديماً وحديثاً على إطرائها وتعداد مناقبها . لسنا نقول ذلك من باب المبالغة بل من باب الحق والانصاف . لان مـــا اثبتناه عنها الى الآن من الاقوال الخـــالدة والحجج الدامغة لا يُعتبر في نظر عارفيها سوى برضٍ من عِدٍّ . ومن ثم رأينا ان ندرج في هذا الفصل من كتابنـــا لُمعاً من الوثائق العديدة التي كتبها الرؤساء والمفكرون السريان الى اسرة طرّازي في احوال شتى وآونة مختلفة . وهي اجلى برهـــان على شدة اعتبارهم لها واقرارهم بعوارفها . ولا غرو فان لتلك الكتابات قيمة معنوية ثمينة لا ينسخها كرور الاعوام . ومن اوثق البراهين على صحة قولنا تلك النعوت الفريدة التي استشهدنا بها في الصفحة ٤٩ من هذا الكتاب . فانها ولعمري كافية لاظهار ما احرزته هذه العترة المباركة من رفعة المقـــام لدى ايمة السريان ومفكريهم . وفي ما يلي نثبت ما توخيناه من تلك الحقائق مسلسلًا بحسب تاريخه على حد قول القائل «الكل قديم حرمة» :

كتب البطريرك اغناطيوس ميخائيل الرابــع من دير مار افرام الرغم بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ رسالة الى انطون طرازي يعزيه بوفاة والده المقدسي نصرالله نقتطف منها ما يلي :

« . . . وهذا السهم الذي اصابكم نالنا منهُ القسم الاوفر . لاننـــا

اكثر من الجميع قــد اختبرنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامه بمصالح الطائفة . . . وكان قدوة حسنة بسيرته ومبراته واعماله . . . » .

وكتب البطريرك اغناطيوس سمعان الثاني من دير الشرفة بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٨١٧ الى انطون طرازي المشار اليه ما يلي :

« . . . لا نقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم ومحبتكم . وعلى الخصوص لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء مصالح الطائفة . . . » .

وكتب البطريرك اغناطيوس بطرس السابع بتاريخ ٩ شباط ١٨٥١ من حلب الى انطون طرازي المومـا اليه يشكر له احسانه ويختم رسالته بهذه العبارة :

« . . . نسأل الله ان يعوض عليكم جميعاً اضعاف ذلك في الدنيـا ويجعلكم بعد العمر الطويل من ابناء الملكوت . ويفرحكم بانجـالكم المحروسين لتروا اولاد اولادهم ويكونوا مثل اغصـان الزيتون حول مائدتكم . وعربوناً لرضانا نباركـكم ببركة ابرهيم واسحق ويعقوب داعين بتوفيقكم الروحي والزمني ومتضرعين الى إلاهِ الرحمة ان يفيض عليكم ينبوع الخيرات السماوية والارضية » .

وكتب البطريرك اغناطيوس انطون الاول من دير الشرفة الى انطون طرّازي واولاده في ١١ شباط ١٨٥٤ قال :

« . . . لاننـا في كل وقت نتذكر لطفكم وانسكم واكرامكم واتعابكم امامنا مع عائلتكم كلها اثناء المدة التي اقمناها عندكم . وكلما يمر ذلك بفكرنا نبـاركـكم من صميم القلب ونطلب من الرب الاله ان يكافئكم عنّا بخـيراته وبركاته ونعمه الروحية والزمنية . ويجعل داركم معمورة ومغمورة بالخيرات الى الابد . . . » .

وكتب السيد غريغوريوس يعقوب حليـاني مطران دمشق في ٥ كانون الثاني ١٨٥٦ الى آل طرازي يعزيهم بوفاة عميدهم المرحوم المقدسي انطون الذي انتقل الى جوار ربه في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ قال:

« ... امس تاريخه بلغنا خبر انتقال المرحوم والدكم الى رحمته تعالى. فحقًا لا نقدر نصف لكم عظم الحزن الذي شملنا من هـذا الخبر المؤلم. فكان يجب ان نحضر بذاتنا لتعزيتكم. ولكن من كون العذر في هذه الايام مقبولًا[1] اقتضى تحرير هذه الاسطر لحضرتكم طالبين من الرب الاله ان يعزيكم بمراحمه الالهية. ويمنحكم نعمة الصبر على فقد هـذه الجوهرة والذخيرة التي كانت مشهورة لدى الجميع بافعال صالحـة وعبادات تقوية وسلوك حسن مع الجميع ...».

وكتب البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول من دير الشرفة في ٢٦ كانون الثاني ١٨٦٧ الى الكنت نصرالله طرازي قال:

« ... علمنا بانكم مسرورون وآخذون تمام راحتكم التي تهمنا للغاية لكونكم في اعظم طبقة من الاعزاز عندنا. ونعتبر خاطركم اشد الاعتبار ونود خيركم وراحتكم ونجاحكم من صميم الفؤاد. وهـذا مما لا شبه فيه ان ضميركم النقي يشهد لكم بهذه الحقيقة الراهنـة الثبوت. ولكن الذي عزّى قلبنا هو تصورنا ما انتم منطورون عليه من الاخلاق الحميدة وتجملكم بحسن التقوى والفضل والغيرة المقدسة والرغبة الحـارّة في خير الطائفة العام ...».

وكتب البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس من بيروت بتاريخ ٩ ايلول ١٨٨٦ الى الكنت نصرالله طرازي في عاليه يودّعه قبل رجوعه الى كرسيه

---

١) كانت الطريق بين دمشق وبيروت تسدها الثلوج اثناء فصل الشتاء. وكانت وعرة المسالك ايضًا لا يمر بها الا المشاة او المسافرون ركوبًا على ظهر البهائم. لان طريق العربات ما انشئت الا عام ١٨٥٩ كما ان السكة الحديدية لم تحدث الا عام ١٨٩٦.

في حلب . قال :

«... كنا نتشوق قلبياً الى مشاهدتكم اثناء الوداع لنبثكم تشكراتنا الابوية عما لقينا من حسن مودّتكم والطافكم ومن كرم انفس كل افراد عائلتكم المصونة ... وقد تكبدنا صعوبة عدم مشاهدتكم عند الوداع لاجل توفير صحتكم الغالية التي تهمنا للغاية ... ونختم بشكر معروفكم وحميتكم » .

وكتب العلّامة الشهير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق في صك وصيته الاخيرة المؤرخة في ١٢ كانون الاول ١٨٨٩ قال :

« اني ارى من الواجب عليَّ في صك وصيتي الاخيرة هذه ان ابوح بما هو مكتوم في صدري منذ سنين وعبّرت عنه للناس مرات شتى عند حضور الفرصة وهو : اني مأسور بامتنانٍ عظيم للرجل الاعز الجليل الفخم نصرالله طرازي ومغمور بفضله بنوع يفوق كل الوصف . واقر باني عاجز عن وفائه ومجازاته على ما صنعه معي من انواع المعروف الجليل في حياتي ولو اوصيت له بكل ما املكه . فارى ان احسن وجه لمكافأته ومكافأة سلالته المباركة المشتركة معه في الفضل عليَّ هو اعترافي هذا لهم في هذه الفرصة الجليلة من حياتي واقراري الاحتفالي بفضلهم الفائق عليَّ . وهو خير من كل وصية يمكنني ان أُوصي لهم بها من كل ما املكه ...» .

وكتب البطريرك اغناطيوس افرام الثاني من حلب بتاريخ ٤ نيسان ١٨٩٠ عندما كان مطراناً رسالةً الى نصرالله طرازي يقول فيها :

«... ولا اقدر ان اصف لكم الكرب الذي اورثني فراقكم . وها اني على ممر الساعات اذكر اوصافكم الفريدة والنعيم الذي كنت فيه مدة حلولي في داركم العامرة . فحقًّا ان لساني قاصر عن اداء الشكر الذي يجب عليَّ لكم من وجوه شتى . فان ما خوّلتموني اياه اولًا وآخرًا من الكرم والفضل واللطف والنعم لا حد لهُ . فليس لي الا ان ادعو الى

الله من اقصى الفؤاد ان . . . يبقيكم سنداً وفخراً تتباهى به الطائفة السريانية في جميع البلدان» .

وكتب الحبر المشار اليه الى الفيكنت فيليب من بغداد بتاريخ ١٢ شباط ١٨٩١ يعلن قائلاً :

«. . . اني اقر جهاراً بانكم انتم يا آل طرازي الافاضل قد غمرتموني باحسانكم . وليس لي من اتباهى به على وجه الارض غيركم . أبقاكم الله دهراً مديداً فخراً لي . . .» .

وكتب اليه ايضاً البطريرك عينهُ بتاريخ ٣ تموز ١٨٩٢ ما نصه :

« . . . ولا ريب عندي ان طائفتنا البيروتية على صغرها تحوز قصبات السبق على سائر اخواتها في سورية وما بين النهرين . وذلك لعلو همة عائلتكم وشدة حميتها وسخائها . فهنيئاً لكم على ذلك ! . . .» .

وكتب اليه ايضاً بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٨٩٣ من الموصل ما نصه :

«. . . اقول ذلك كله مع الاعلان على رؤوس الملا بانكم انتم موضوع عزي وفخري وملجاءي . وكل ما يخصكم فهو يخصني . . . فارغب ان تقرأوا . . . سلامي وبركتي على حضرة والدكم فهو درّة طائفتنا . . .» .

وكتب اليه ايضاً من الموصل بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٨٩٤ يقول :

« . . . اني اعلم علم اليقين بانك انت في جملة آل دارك من أَخلص الناس لي مودّةً . واعظمهم عليّ فضلاً . واشدهم على الطائفة غيرةً . واكثرهم شوقاً الى ان يروا طائفتنا تأخذ بالتقدم والنجاح . . . »

وكتب اليه في ٢٢ كانون الاول ١٨٩٤ من الموصل ما نصه :

« . . . لقد طربتُ فرحاً بوصول البريد الحامل بشرى الانعام الذي خصك به الاب الاقدس اذ جعلك من فوارس مار غريغوريوس الكبير

ومنحك الوسام المختص باصحاب هذه الكتيبة المقدسة . فهنيئاً لك ذلك ! وهنيئاً لعائلتك وهنيئاً لي انا ايضاً ! اذ انني اجعل نفسي من اخص اصدقاء آل طرازي الكرام واصدقهم . وحسبي ان اتباهى واتفاخر بكم واقول : انكم الدرة اللامعة في هامة طائفتنا » .

وكتب هذا الحبر النبيل الى الكنت نصرالله دي طرازي بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٨٩٤ يهنئه بالرتبة الكنتيّة الشريفة قال :

« ... فيا ما اطيب البشارة التي وافتنا مع البريد الاخير اذ اعلمتنا عن المقام السامي المنيف الذي رقاكم اليه قداسة لاون الثالث عشر المالك سعيدًا . اذ منحكم بكل استحقاق رتبة الكنتيّة وحلّاكم باقبها الوسيم . فاذا كانت هذه البشارة قد وقعت اجلّ موقع في قلوب جميع بني الامة الآرامية وكلهم على وجه العموم يلهجون بمديحكم ويطربون لعلوّ شأنكم ويعتقدون فيكم الاستحقاق والجدارة فماذا ينبغي لي ان اقول عما أثاره فيّ هذا النبأ من الفرح والسرور ? ... اني اتباهى واتفاخر بين الملأ بانني من اخص من ينتمي الى حماكم ويعتزّ بكم ويعرف ما فطركم المولى عليه من رقة الجنان وحمية النفس وكرامة الطبع ويثني على افضالكم السابغ . فهنيئاً ثم هنيئاً لكم ذا الشرف ! ولذلك ندعو من اقصى القلب ان يجعلكم المولى على الدوام تاجاً في راس امتنا . ويمدّ في عمركم . ويهنئنا بكم . ويحفظ عائلتكم النبيلة في اليمن والنجاح ... »

وكتب هذا الحبر العلّامة عينه من حلب بتاريخ ١٠ آب ١٨٩٥ الى الفيكنت فيليب دي طرازي قال :

« ... ساءني خبر توعك مزاج والدكم الجليل الكنت دي طرازي . فاتضرّع الى الله ان يحفظ لنا حياته الثمينة اعواماً مديدة . وعندي انهُ حرسهُ المولى اعزّ رجل تفتخر به طائفتنا وتتخذه لها اماماً ومثالًا . ويا ليتني كنتُ لديكم لاشارككم في بذل العناية لحفظ حياته الغالية ! »

وكتب القس افرام نقّاشة[1] من الموصل بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٤ يهنئ الكنت نصرالله دي طرازي قال :

« . . . اما بعد فما استحسن النـاس سيما طائفتنا السريانيـة شيئاً من امور السياسة الروحانية كما استحسنوا الانعام الذي خوَّله الله لشخصك النبيل على يـد خليفته على الارض قـداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر اذ سمّاك كنتاً رومـانياً . مع ان هـذا الشرف لا يعطى الا لامراء اوربا الكبار . لعمري ان هذا الانعام قد صادف من كان اهـلًا له . والآن أُظهر ما كنت افكر في نفسي حين تشرفت بزيارتك وتردّدت الى دارك العامرة . وشاهدت فيـك كما في سائر ابناء عائلتـك المحروسة الاطوار اللطيفة . فكنت اقول اني راءٍ فيك اكثر مما كنت اسمعه عنكم جميعاً . وانك مفطور طبعاً بجلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم المحتد وبكل ما هو خليق بالاشراف . ولهذا فحالما طرأت سماعي هـذه البشارة السعيـدة طربت نفسي فصرختُ على الفور وقلت : لعمري هكذا يُصنع برجل يريد الملك اكرامه (استير ٦ : ١١).

« . . . ولاجل هذا ارفع يدي الى الله عز وجل وابتهل اليه قائلًا : اللهمَّ احفظ كنتنا الشريف هذا واحرس انجـاله الكرام انطون الفيكنت وسليم افندي وفيليب الكافلير . ولاسيما السيّـدة منّة الحكيمة الهمامـة التقية مع بناتها السيدات الكريمات وسائر من يلوذ بعـائلة دي طرازي المحروسة . ربّنا زِد الكنت نصراً وعزّاً وفخراً وأَولهِ هو وخاصته عافيةً دائمة ونجاحاً وتقى آمين يا رب العالمين »

وكتب القس افرام نقّاشه من دير الشرفة رسالـة بتاريخ ٢٣ كانون الاول ١٨٩٩ الى عميد آل طرّازي يهنئه بعيد الميلاد المجيـد ومطلع القرن العشرين نقتطف منها ما يلي :

---

١) ارتقى الى مطرانية حلب باسم ديونوسيوس افرام نقّـاشة في ٥ نيسان ١٩٠٣

« اما بعد فاذا كان ترنيم الملائكة : المجد لله في العلى وعلى الارض السلام والمسرة الصالحة بين البشر ، يدعو في هذه الايام الناس اجمع الى الالفة والمسرة ، فكيف لا انتعش انا فرحاً وأُقرئكم السلام واقدم المعايدة لكم خصوصاً يا آل طرازي الكرام ؟ والعالم كله يعرف انكم فخر طائفتنا السريانية والمجدُّون في رفع شأنها وتقدمها ونجاحها . ولهذا فاني من محل انفرادي في شرفة كسروان رفعت اكفي الى العلى ودعوت لكم ان تزدادوا عافية وفضلًا وتوفيقاً . . . فاهنئكم بهذا العيد وبعيد رأس السنة وبالقرن الجديد . . . واسأل الرب ان يحفظكم . . . بالتوفيق والاقبال والهناء مع العمر الطويل . . . »

وعلى اثر وفاة الكنت نصرالله دي طرازي عام ١٨٩٥ توافدت على أُسرته رسائل التعزية من بني السريان وغيرهم من سائر الملل . نقتصر منها على العبارات التالية التي كتبها من حلب الخورفسقفوس جرجس شلحت عضو المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٥ وهي :

« . . . يا حبَّذا لو كان موقفي هنا موقف خطيب الكنتُ . . اشرح ما شمل القلوب من الاشجان حين اذ صكَّ الاسماع . . . خبر وفاة عميد ذلك البيت الشريف الذي تعتزّ الملّة السريانية بانه اعظم بيوتها العريقة في المجد والفضل . واعدّ هذا الفقيد المفدّى ناشرًا على رؤوس الاشهاد طراز محاسنه ذاكرًا فعاله ومآثره التي تحاكي عدد النجوم كثرة . . . »

وكتب الخورفسقفوس جرجس عينه الى الفيكنت فيليب دي طرازي يعزّيه بوفاة شقيقه الفيكنت سليم . وشفع كتابه بمرثيةٍ اختتمها بالابيات الآتية :

يعزّ عليّ ان أُبدي التعازي ... وقلبي من أسى يحكي السعيرا
ولما كنتُ لا أُلفي مناصاً ... كتبتُ بادمعي هذي السطورا
تعزّي مَن لنا فيه اعتياضٌ ... وإنْ كان الفقيد فتى خطيرا

ولا عجبٌ اذا عيني أُقرّتْ   فانْ غـاب الاميرُ ترى أميرا

وكتب فقيد اللغة العربية القس توما ايوب من حلب بتـاريخ ٦ ايار ١٨٩٧ الى عميد اسرة دي طرازي قال :

« . . . شكري لسيدي ما لقيتُ منه ومن أُسرته الكريمة من الحفاوة والايادي البيض لا استطيع الى توفيته سبيلًا . وأَراني ولو اسهبتُ فيـه مقصرًا كليلًا . كيف لا ونعمكم اللازمة الذكر ومننكم الواجبة الشكر على الطائفة السريانية وأَحبارها وكهنتها ممَّا يعجز الواصف عن عدّها فضلًا عن حدّها . على اني اقتصر على الدعاء الى الله ان يمتع بكم ويكلأَكم من غوائل الدهر ويبقيكم متفيّئين ظلال الرفـاه والفخر مـا تحقّق نصرٌ وتألق فجر .

« لقد اتاح لي الله ان ازور بيروت الزهراء واشاهد مرأى العين مـا كنتُ اسمعه من الداني والقاصي عن مآثر أُسرة دي طرازي الفخمة . فكان ما رأيته أَعظم وأَجلَّ مما سمعتهُ . فقد رأيتُ تلك الخلال الكريمة حليـة الدهر وزينة العصر . رأيتُ العائلة المسيحية العائلة الجديرة ان تفتخر بهـا الكنيسة لمبارّها وكرم عنصرهـا . ثم قفلتُ الى الوطن أَتلو على رؤوس الاشهاد ما رأته عيني وسمعت به أُذني من المفاخر الحسناء . ولا اجد تعزية اذا عرا خطبٌ او ادلهمَّ مصابٌ الا في ذكرى ايام زَجيتها في بيروت قرير العين مجبور الخاطر بالتفاتكم اليَّ انا العبـد غير المستحقّ . هذه فريضـة الشكر والثناء ارفعها الى حضرة الفيكنت الجليل ووالدته المحترمة وعقيلته المكرّمة وسائر من انتمى الى الاسرة العريقة في النبل والفضل . . . »

ونظم العلّامة الدكتور لويس صابونجي قصيـدة طويلة بعث بهـا الى الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧—١٩٠٠) يهنّئه بولادة نجلـه الكنت فكتور عام ١٨٩٤ واختتمها بقوله :

هُنِّئتَ يا انطون اذ أَبلغتني   نبـأً سُررتُ بـهِ سرورًا زائدا



الكنت ڤكتور دي طرّازي

هُنِّئتَ بل أُسعدتَ بالنجل الـذي فيه اسمُ نصرالله[1] يبقى خالـدا
نجـلٌ تفـاءلنا بخير قـدومهِ وقـدومهُ بالخير جـاءك واردا
مَنَّ الالـهُ بهِ عليـك ونجمـهُ سيكون في فلك النجابة راصـدا
سيكون فكتور النضير لآلـه بالحسن والاحسان غصناً مـائدا
سيكون ذُخرًا للاحبـة عندمـا يُلفون منـهُ في الشدائـد ناجدا
سيكون للفقراء غوثـاً كلّما ذكروا نـدًى لجدوده ومحـامدا
سيكون لـلآباء فرعاً طـاهرًا سيكون للابنـاء أَصـلًا راشدا
أبقـاك ربي بالصفـاءِ ممتعاً لترى وليـدك في حياتك والـدا
ويرى ثمـارَ بنيـه في أَحفـاده فيسبّح الرحمـانَ فيهم حامـدا

وكتب الدكتور القس لويس صابونجي ايضاً بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ من مدينة لوس انجلوس الى الفيكنت فيليب يقرّظ جهوده المستمرّة ونجاحه الباهر في تأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت قال :

« ... انتقلت صداقتي العريقة اليكم منـذ كنتم طفلًا . لانني انا الذي اخذتكم على يدي وعمدتكم في كنيسة الرهبان الكبوشيين ... بناء على ذلك يسوغ لي القول ان صـداقتي الخـالصة لحضرتكم مقرونةَ بهمتي المعهودة قد انتقلتا الى جسمكم اللطيف وقت العماد . وكما جاء في الامثال « همم الرجال تنقل الجبال » هكذا حضرتكم بهمتكم الشمّاء ما نقلتم الجبال العالية بل نقلتم محصول العقول السامية من دماغ العلماء الجهابذة وجمعتموه في دار عمومية الكتبِ نفيسة . وهذا العمل المنيف سوف يخلّـد ذكركم الحميد مع ذكر الملـك الاثوري اشور - بني - بال الـذي انشأ اول مكتبة عمومية في نينوى . وسيخلّد ذكركم ايضاً مع فراعنة الديار المصرية

١) لما ولـد الكنت فكتور سُمّي في العماد « نصرالله » احيـاء لاسم جده الكنت نصرالله وجد جده المقدسي نصرالله . وقد تغلّب عليه اسم فكتور وهو ترجمة نصرالله في اللغة الفرنسية .

ومشاهير البطالسة ومَن حـذا حذوهم الممدوح في انشاء مكاتب عمومية لتنوير العقول البشرية . لله دركم ! انا لا أحسدكم على هذا الشرف الرفيع بل أغبطكم عايه بقلب يطفح سرورًا . لانكم اول سوري نبيل صرف فكره المنير الى هذا العمل الجليل[1] وسعى لاخراجه الى حيز الوجود بنجاحٍ عظيم . . . »

وكتب الاب الهمام الخورفسقفوس جرجس ابرهمشا من القاهرة بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٣٢ الى صديقٍ له في بيروت قال :

« . . . لقد طابت نفسي انشراحاً للافادة التي تفضلتم بهـا عن سعادة

---

١) نشرت مجلة « رسالة السلام » البيروتية صفحة ٢٠٢–٢٠٩ في عددهـا الخامس من المجلد الحادي عشر بتاريخ ايار **١٩٢٩** مقالةً عنوانها « اشهر الاعصر الادبية عند الامم » . بحث فيها كاتبها عن عصر بريكلز عند اليونان واوغسطس عند الرومان والمأمون عند العرب ولاون العاشر عند الايطاليين ولويس الرابع عشر عند الفرنسيس. فلما انتهى البحث به الى من يستحق ان يُترك اسمه لعصرنا في لبنان قال ما حرفهُ :

« فالسيد الذي يستحق ان نلقّب عصرنا باسمه هو رجل له فضل كبير على الكتّاب في اواخر القرن الماضي وايامنا هذه . . . ذلك الرجل الجدير بهذا الشرف هو الفيكنت فيليب دي طرازي . وهاكم حالاً الاسباب التي دفعتنا الى ان نلقب عصرنا بعصر طرازي . اولاً لما لـه من الافضال على الصحافة وعلى رجالها بكتابه « تاريخ الصحافة » . ثانياً لما له من الافضال على الشبيبة الراقية بتأسيسه المكتبة الوطنية العمومية . اننا لم ننظر الى اصله الطيب ولا الى اخلاقه الكريمة ولا الى علومه الغزيرة ولا الى كثرة الاوسمة التي وهبه اياها الملوك والاحبار والجمعيات العلمية الشرقية والغربية، بل الى تأثيره في محيطه . وأيُّ رجل أثّر في محيطه ونفع مثلهُ ؟

« ولا نبالغ ابدًا اذا قلنا انه قد قام وحده بتأسيس المكتبة الوطنية العمومية . . . ولا يشعر بفائدة هذه المكتبة وبتأثيرها في الشباب الا من كان شاباً او على الاقل من زارها ورأى الشبان المطالعين كتبها . فاول مرة دخلنا تلك القاعة راعنا ما شاهدناه من الرسوم في صدرها وهي رسوم اعاظم كتّاب لبنان تكاد تكون ناطقة . . . فخطر على بالنا فكرٌ وهو : لِمَ لم يقم احد منا يوفي طرازي حقه ويشكر له اكرامه لكتّابنا وجميله لشبّاننا ؟ وعندئذٍ حانت منّا التفاتة الى الشيخ ناصيف اليازجي فشعرنا كأنّهُ يقول لنا بحكمته المعروفة :

« لا يحمد القومُ الفتى الا متى ماتَ فيُعطى حقّهُ تحت الثرى »

الفيكنت فيليب دي طرازي . لاني أدرى الناس علماً بما لسعادته من الايادي الحسناء والمآثر الغراء في سبيل طائفتنا واعلاء شأنها والاشادة بذكرها في كل فرصة . ولو أردنا احصاء حسناته العديدة الى ملته وما أتته أُسرته النبيلة في خدمتها اعاتنا العدّ . واني ممّن يعتقدون انّ من كان في أبرشيّته مثل الفيكنت غيرة ومحبة واخلاصاً لوصل بها الى أوج العلاء . وقد تمنيتُ على الله لو يكون عندنا مثلهُ في القطر المصري لينهض بنا الى مدارج الرقي اذًا لغدونا في مقدمة الملل ! غير اننا نحن معاشر الامة الارامية لا نقدر قدر رجالنا العاملين البارزين ولا نماشيهم حسب افكارهم الصائبة التي تعود علينا بالخير والفائدة . . . أَيُنسى فضلُ الفيكنت في خدمة دير الشرفة وتنظيم مكتبته ؟ أينكر جميله وجميل أُسرته النبيلة على كنيستنا في بيروت وجمعيّتنا الخيرية ؟ أَيُجحد ما أتاه من الاحسان في سبيل مهاجري السريان الذين قذفتهم الحرب العظمى الى بيروت ؟ فقد ضمّهم الى رعايته واعتنى باسكانهم وتشغيل رجالهم وتهذيب اولادهم ثم أنفق عليهم من ماله الخاص وما برح يتعهدهم ويساعدهم في قضاء حاجاتهم . . .

« . . . اني والحق يقال لو أُوتيت سعة من المال لعملتُ تمثالًا له وجعلته في بقعة تليق به تخليدًا لذكره وتغنيّاً بمديحه . ولكنّ هذا سيقرّر عاجلًا او آجلًا ان شاء الله اقرارًا بجميله على العلم والطائفة . اطال الله بحياته الثمينة . . . »

وكتب الشيخ الجليل والشاعر البليغ فتح الله بك خياط السرياني الى آل طرازي رسائل كثيرة وقصائد عامرة . نجتزئ منها باثبات رسالة وجهها من الاستانة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٢٠ الى عميد أُسرة طرازي في بيروت قال :

« بعد لثم الراحتين الكريمتين واداء فروض الدعاء الحميم اعرض : اسعدني الحظ بعد تخلّف بشائر صحتكم الغالية عني مدةً ان أحظى

برسالتكم الغرّاء المؤرخة في ٣ من هذا الشهر . وقد جثوتُ على ركبتيَّ الضئيلتين وحمدت الله على دوام سلامتكم وعلى استمرار تعطّفاتكم الاريحية واستقرارها نحوي وقلتُ على الفور :

أمولايَ يا نعمَ المجير ومَن بهِ   مدى الدهر لم ابرح شكورًا أُفاخرُ
مقامُك مقصودٌ وقدرُك باذخٌ   ومثلك مفقودٌ وفضلك زاخرُ

« وقد وجب عليَّ اليوم ان اشكر لكم كلَّ الشكر دوام منّتكم عليَّ . . . واختم عريضتي هذه بتخميس البيتين المسطورين اعلاه تحدُّثًا بما طوّقتموني به من قلائد المنن وفرائد النعم . فان صادف منظومي المنوّه به في ساحتكم الفسيحة الارجاء . محطّ الامل والرجاء . وحاز الرضى والقبول . فذيّاك عندي أجلُّ المأمول وأسنى المسؤول فاقول :

رعى الله قوماً قد غدا غوث صحبهِ   وفاضت على العافين أنوارُ سُحبهِ
فقُل لمغيثِ الخلّ في يوم كُربهِ   أمولايَ يا نِعمَ المجيرُ ومَن بهِ
مدى الدهر لم أبرح شكورًا أُفاخرُ

لكَ الله من ركنٍ به الودّ راسخٌ   على أُسّ صدقٍ طود علياهُ شامخٌ
فلا بدع ان وفّاكَ بالوصف صارخٌ   مقامك مقصودٌ وقدرك باذخ
ومثلُك مفقودٌ وفضلُك زاخرُ

ولما انشأ الفيكنت فيليب دار الكتب الكبرى في بيروت عام ١٩٢١ قرّظه فتح الله بك خيّاط ايضاً بهذين البيتين :

هنيئاً لدار الكتب مَن انت عزُّها   وبدر علاها الالمعيُّ مديرُها
اذا باهت الآداب فيك بني الورى   فانك يا فيليب حقًّا أميرُها

وكتب السيّد داود دائخ السرياني قنشليار دولة ايطالية في الاسكندرية رسالة بتاريخ ٤ آب ١٩٢٢ الى الفيكنت فيليب دي طرازي ورد فيها :

« . . . عرفتك منذ سنين فصارت بيننا صلةُ ودٍّ وصداقة نزيهة عن كل غاية شخصيّة . وكلّما زاد تعرّفي بك ازداد اعتباري لك . واصبح هذا

الاعتبار حبًّا يجعلني ان أُسرَّ سرورًا قلبيًا كلّما سمعتُ عن اعمالك الحسناء وعن النتائج التي تكلّلها . ففي مدة الحرب كانت اعمالك الحسنة خفيَّةً تسترها يدُ الشمال . شاهدتك مرات عديدة بمعيَّة فقير تغيثه فكنتُ اذ ذاك اتوارى عنك لئلا تراني فاشغلك عن عملك . وأَراك الآن بعد الحرب كما يراك كلُّ وطنيّ قد خصصتَ ذاتك ببثّ العلوم والآداب في روح شبان هذا العصر . . . فاهنئك من صميم القلب بمقامٍ سامٍ أَحرزته وبنجاح باهر أقرَّ لك به اهل بيروت . اخذ الله بيدك وساعدك على اعمال أَعظم ممَّا عملته حتى الآن . . . »

وكتب الاستاذ الالمعي السيّد انطون فتح الله صبّاغ السرياني بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٩ يودّع الفيكنت فيليب دي طرازي قبل سفره من بيروت الى حلب قال :

« مولاي العظيم الخالد

« ايه يا بيروت المدينة الجميلة وزهرة بلادي المحبوبة التي تضمّ في مدافنها عظام الآباء والاحبَّاء . والتي طالما عرّجت على ذكرياتها في قصائدي الكبرى التي انشأتها في فلسفة الحياة والموت . اني قد رجعت اليك بعد جهادٍ دام عشرين حولًا طوَّحت بي خلالها طوائح الغربتين : غربة الارض وغربة الاوطان . وعشتُ على أَرضك الطيّبة سبعة اشهرٍ رشفتُ فيها كؤوس الغربة والمتربة واليأس والالم حتى حُثالتها . وها انا راحلٌ عنك غدًا ولعلّها رحلةُ الابد . فاذا وقفتُ لوداعك اليوم واردتُ ذكراك بعد اليوم فاني لن أَجد فيك مَن أُودّع ومَن أَذكر سوى كائنين : كلاهما عظيم وكلاهما من أَرسخ ما يكون بنفسي . وما هما سوى الطبيعة والفيكنت فيليب دي طرازي . اني سأذكر هذا الاسم العظيم كلّما ذكرت سورية والطائفة السريانية في تاريخهما القديم والحديث . بل اني ساذكر هذا الاسم الخالد ما ذُكرت العظمة على الارض . ولا غرابة في ذلك بل المستنكر ان لا

يكون ذلك.

«أَفلستَ انتَ الطائفة بكلّيتها ؟ وما هي الطائفة لولاك ؟ ليست الامم هي التي تكوّن الرجال ولكنّ الرجال هم الذين يكوّنون الامم . لذلك كان من البديهيات انّ الطائفة هي التي تتشرّف بالانتساب اليك . وليس مثلك من يتشرّف بالانتساب اليها. هذا اذا محّصنا حقائق الاشياء على ضوء المنطق المجرَّد . فانه اذا فرضنا ان انقرضت الطائفة لما خسرت الطوائف الكاثوليكية ولا المذاهب المسيحية شيئاً . لانها بانقراضها انما تندمج في اخواتها . ولكننا اذا خسرنا مثلك ، لا سمح الله ابدًا ! فقد خسرنا كل شيء . ذلك لان اخلاقك ومبادئك واعمالك انما هي جوهر تعاليم الاله المتجسد كما هي التاج المرفوع على هامة الدهر سواء بسواء . . .»

ولسنا نرى شهادة قاطعة تنطق لآل طرازي بالفضل والايادي البيض أصرح من وثيقة دوّنتها شركة مار منصور الخيرية في بيروت وبعثت بها الى رئيسها الفيكنت فيليب على اثر استقالته . ولما كانت تلك الشركة تضمّ اليها اعضاء من جميع الملل ، وفي جملتها الملة السريانية ، ساغ لنا ان نثبت تلك الوثيقة تأييدًا لما ادرجناه في هذا الكتاب من البيّنات الصادعة والحقائق الساطعة وهذا نصها :

« جناب الفاضل الهمام الفيكنت فيليب دي طرازي الافخم رئيس شركة مار منصور دي بول سابقاً .

« ايّها الاخ المحترم

« ان استقالتكم من رئاسة شورى شركة القديس منصور دي بول في بيروت كان لها تأثير محزن ومؤثر للغاية في نفوس جميع اخوانكم ابناء هذه الشركة المحبوبة لاسيما اعضاء شوراها . فانهم يذكرون بالشكر والافتخار ما لكم في سبيلها من الايادي البيضاء من يوم انضوائكم تحت لوائها وخصوصاً اثناء رئاستكم العامة عليها مدة ثماني سنين متوالية . نعم ايها الاخ المحترم لقد احييتم رسوم مؤسسي الشركة وجمعتم آثار الاولين من

اعضائها الذين اتوا في جادّتها ونهضتها كل اثر يُذكر فيُشكر . ثم سعيتم في تجديد برنامجها السنويّ وعنيتم باوقافها ومدارسها وجمعيَّاتها واحتفالاتها وسائر مصالحها الخيرية قائمين بكل استحقاق بالمهمة السامية التي تقلدها اسلافكم الرؤساء الافاضل الذين طابوا اثرًا وذكرًا وهم: يوسف برطالس الشريف نسباً وبطرس ديشان الملتهب غيرةً وبشاره خوري المتدفق كرماً . فأحرزتم جميع هذه الصفات المعتبرة كما انكم توفقتم الى استدرار البركات الروحية والامدادات الزمنية من لدن الاحبار الاعظمين ورؤساء الطوائف الكاثوليكية وسراة القوم . فضلًا عن التبرعات السخية والخدم الجليلة التي بذلتموها حبًّا الشركة التي تذكر لكم ايضاً ما امتزتم به من علوّ الهمة وشهامة النفس ونبل المقاصد وسائر المناقب الفريدة . وفي الحقيقة انكم جاهدتم في سبيل نجاحها جهادًا حسناً حتى انكم نلتم ثناءَ الجميع وصارت الشركة في عهد رئاستكم تتفاخر وتتباهى بين سائر الجمعيات الخيرية بانتظام احوالها ونموّ وارداتها واتساع دائرة اعمالها المبرورة .

وبناء عليه فمجلس الشورى في جلسته المنعقدة في مساء اليوم الرابع من شهر تموز الغابر قد قرّر كتابة هذا الرقيم معلناً شكره الحميم لجنابكم ومعرباً عن اسفه الشديد لاستقالتكم من منصب الرئاسة . وبرهاناً على ما سبق ذكره رأينا ان نزيّن قاعة الاجتماعات برسمكم الكريم الذي سيبقى اثرًا خالدًا يذكّرنا بمساعيكم المحمودة وغيرتكم الوقَّادة .

وفي الختام نتوسل الى الله سبحانه ان يوفق اموركم ويوليكم مع اسرتكم العزيزة سوابغ النعم وقرائن القِسَم . وان يمدّ بحياتكم الثمينة ويجعل التوفيق لكم اليفاً والسعد حليفاً والهناء ملازماً والزمان خادماً بمنّ الله سبحانه وكرمه »

صدر عن مركز الشركة ببيروت في ٣ آب ١٩٠٦ (مكان الختم)

امين الصندوق	كاتب الوقائع	الرئيس
حبيب فرنسيس نادر	شكري غلاييني	انطون شحيبر

ويحلو لنا ان نختم فصلنا هذا بستة ابيات شعرية ارتجل كلًّا منها شاعر من مشاهير شعراء لبنان وسورية عند اجتماعهم في دار الفيكنت فيليب دي طرازي . وقد كتبوها بخطوطهم حول رسم ابنتهِ الفتاة حنينة يوم كان عمرها لا يتجاوز العشر السنوات . وكان سادس اولئك الشعراء الاستاذ الياس بهنا الذي يتحدَّر من أُسرة سريانية في راشيا الوادي . واليك تلك الابيات واسماء ناظميها :

كتب الشيخ العلَّامة ابراهيم الحوراني في أعلى رسم الفتاة حنينة[١] دي طرازي هذا البيت :

حنينةٌ صوّرها ربُّها بديعةً كالقمر المُسفر

وكتب الشيخ سعيد الشرتوني صاحب «اقرب الموارد» في اسفل الرسم :

قد كتب الحسنُ على وجهها يا أعين الناس قفي وانظري

وكتب الشيخ عبدالله البستاني صاحب معجم «البستان» الى يمين الرسم :

فوجهها قال لاحداقها انّيَ فتّانٌ فانتِ اسحري

وكتب السيّد خيرالدين الزركلي مؤلّف «تراجم الأَعلام» الى يسار الرسم :

قد اوحت الشعر لاربابه لما بدتْ كالملاك الاطهرِ

وكتب السيّد حليم دموس ناظم ديوان « المثالث والمثاني » :

عاشت لفيليب سليل العلى مَن ذكرهُ كالارج الاعطرِ

وكتب الاستاذ الفاضل المرحوم الياس بهنا :

بخَلقها وخُلقها انها فاقت حسان العصر والاعصرِ

وأَنشد الفيكنت فيليب والد الفتاة حنينة بيتاً سابعاً جعله مسك الختام لسلسلة تلك الابيات المستظرفة قال :

والدُها سجّل شكرًا لمن قرَظها يفوح كالعنبرِ

---

١) غلب على هذه السيّدة اسم جانّ (Jeanne) وهو ترجمة فرنسية لاسمها الاصلي « حُنينة » فوجب التنويه دفعًا للالتباس



السيدة جان ابنة الفيكنت فيليب دي طرّازي

رسمها في السن العاشرة

القسم الخامس

الفصل الفرد

منظومات الفيكنت فيليب دي طرّازي
في الملة السريانية

كثيرة هي القصائد التي نظمها الفيكنت فيليب دي طرازي للملّة السريانية في اوقات مختلفة . وقد المعنا الى شيء منها في بعض فصول هذا الكتاب ولاسيما في الفصل الثاني من القسم الثاني تحت عنوان « آل طرازي وتعظيمهم لاحبار ملّتهم ». وهي اذا جُمعت تألف منها ديوان طريف جدير بالاعتبار . ولما كان ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جُلّه رأينا ان ننتقي من تلك القصائد مختارات أنشأها الناظم تكريماً للفضيلة والعلم في رؤساء ملته. ولا نرى مندوحةً عن التصريح باننا لا نعرف رجلًا سريانيًّا من فئة العالميّن سبقهُ في هذه الحلبة لا في عصرنا الحاضر ولا في العصور الغابرة . فنرى اذًا من باب معرفة الجميل ان نبدي عاطفة الشكر لصنيعتهِ ونثني اعطر الثناء على عبقريّتهِ داعين له بالعيش السعيد والعمر المديد . واليك تلك المختارات نشرها مسلسلةً وفقاً لتواريخ نظمها :

قال يهنئ السيّد ثئوفيلس انطون قندلفت بارتقائه الى الكرامة الاسقفيّة في كنيسة مار جرجس السريانيَّة ببيروت صباح ٢٠ حزيران ١٨٨٦ . وكان انشاد هذه القصيدة على المائدة في دار آل طرَّازي مقرّ البطريرك الانطاكي واساقفته الاجلاء :

أَعظِمْ بشأنك فالعُلى تتسوّرُ[١] ولأَنت في شَرَفاتها المستَنظَرُ
والك السيادة سُلّمتْ فزمامُها مُلقًى لديك وقد تباهى المِنبرُ

١) يقال تسوّر الحائط : صعد عليه

فالتاج يلمع والكنيسة تنجلي　　وبها الجلالةُ قد غدتْ لك تُسفِرُ
والوعظ يسمو والمنابر قد زَهَتْ　　يوم ارتقائك والعباد تُكبّرُ
سقياً لبيروت التي في عصرنا　　سعدتْ بحبرٍ فضلُه لا يُنكَرُ
برزتْ بحلّةِ بهجةٍ فتهلّلتْ　　ولها عنا الحظُّ السعيدُ الأَوفرُ
بل نافست كلّ المدائن اذ علا　　كرسيَّها هذا الخطيب الأشهرُ
عَلَم الفصاحة والحصافة مَن بدا　　حبرًا لـه خيرُ الثنـاءِ يُحبَّرُ
فبِبعدِ همّتـه يقرّبُ مُبعَدٌ　　وبـذكره الفوّاح مسكٌ أذفرُ
تلقى الدماثة والرصانة كلّما　　تلقاه إذ هو صامتٌ او مُنذِرُ
زُفّتْ كنيستنا لـه في حفلةٍ　　غرّاءَ والتـاريخ عنهـا يُخبِرُ
هي مِنّةٌ قد حازهـا من سيّدٍ　　هو في رعيّتِهِ الامام الأكبرُ
البطريرك الطاهر الورع الـذي　　يرعى النفوس بحكمةٍ ويدبّرُ
حفّتْ به الاحبار مثل كواكبٍ　　لاحتْ حوالَ البدرِ اذ هو يَظهَرُ
من كلّ طائفةٍ أرى مطرانَهـا　　بجليل محضرهِ يجـلُّ المَحضَرُ
أكرمْ بساداتٍ لنا بحضورهم　　عِزٌّ ونحن لـفضلهم نتشكّرُ
تشريفهم زاد الرّسامـة رونقاً　　وضيـاءَ مجدٍ كلّ نورٍ يَبهرُ
قد سابَق الشعراءَ في أوصافهم　　صيتٌ لهم نَشْرَ القداسة ينشُرُ
يا ايّهـا المولى الجديدُ المنتقى　　في حالكِ الغمرات انت النيّرُ
تزهو القوافي في مديحـك دائماً　　وَبِراحِ وصفك لا سواها تَسكَرُ
حلّتْ عليك اليوم أقدسُ نعمةٍ　　من عرش ربّك ذي العُلى لك تَغمُرُ
رقّاك بطركنا الجليلُ لرتبـةٍ　　انت الخليق بشأنها والأَجـدَرُ
ناداك يا انطون دبّرْ بيعـةً　　عني وسُسْ شعباً بحذقك يَبْشُرُ
عُكّازُ شَيبي انت ثمّ ظهيرُهُ　　وعلى الزمان بفرط عزمك أظهرُ
مـازجتني بتمام صفوِ محبّـةٍ　　زمناً طويلًا بالرّضا تستنصِرُ
كنْ لي اذا دهم الخطوبُ مظافِراً　　وأعزّ مَن بفعالـهِ أستظهِرُ
واسهر على خير الرعيّة مثلما　　ارجو فـانّي باعتنـائك أظفرُ

باليُمن أَطلبُ ان تعيش معزَّزًا ... وعلى فلاحك كلَّ عمري أَسهرُ
ولَنَحْنُ نُخلصك الهنا لك نتقي ... دُرَّ الثناء كدُرّ وعظك يُنثرُ
راجين ان تُؤْتى بكلّ رغيبةٍ ... وترى الرعيَّة بالرغائب تظفرُ
وترى بنيك كروضةٍ مخضلَّةٍ ... فيهم أَماليدُ الفضائل تُزهِرُ
وتُقيم فينا راضياً مسترضياً ... لله عنّا صانعاً ما يؤثَرُ
هذا رجاء الشعب نسأل ربّنا ... تحقيقَهُ ما راح خيرٌ يُشكَرُ

وقال يهنئ السيّد اغناطيوس جرجس الخامس البطريرك الانطاكي بورود الطغراء الهمايونيَّة المهداة اليه من الحضرة السلطانية. وقد أُنشدت هذه القصيدة يوم الاحتفال بتعليق الطغراء المشار اليها في الدار البطريركية بحلب في ٢٠ نيسان ١٨٨٧ كما ألمعنا الى ذلك في الصفحة ٥٥ :

برزتْ تميسُ بمظهرٍ وضَّاءِ ... وبدَتْ تتيهُ بعزّةٍ وسناءِ
شمسٌ تباهرُ بالسَّنى شمسَ الضُّحى ... وتفوقُها بخطورةٍ وعلاءِ
شمسٌ تجلَّتْ من مليك زماننا ... ذي القدْر والتدبير والآلاءِ
ملكٌ على عرش الخلافة جالسٌ ... ولواهُ معقودٌ على الجوزاءِ
قد خَصَّ بطركنا بأَشرف منحةٍ ... جاءَت بصدق ولائهِ كجزاءِ
هو بطريرك باسم جرجسَ خامسٌ ... وعُصارةُ الاطهار والصُّلحاءِ
سَرَت البشائرُ في البريّة عندما ... بزغتْ لديه طَلعةُ الطُّغراءِ
وافتْ تبلّغهُ رضى سلطاننا ... عنه وعن أَبنائهِ الامناءِ
عَلَمٌ له النّصر المُبين مؤيّدٌ ... قد بات يلمع في ذُرى الشهباءِ
هذا طِرازٌ بالمفاخر مُعلَمٌ ... لا بل شِعار الدولة الغرّاءِ
خفقتْ بنود المجد حول لوائهِ ... ظفرًا ولاحتْ فوق كل لواءِ
فاهنأْ بما احرزتَ يا خير الورى ... يا صفوةَ السادات والرؤساءِ
اذ انت مُتّجهُ التهانئ والثّنا ... وبلاغةٌ في أَلسُنِ الشعراءِ
ولأَنتَ افضل من نردّدُ ذكرَهُ ... ومحطُّ آمال الضئيل النائي

بل انت للسريان أعظم موئلٍ ... وملاذ أهل الذلّ يوم بلاء
لا زلت تسمو بين احبار الهدى ... كالبدر بين الأَنجم الزهراء
وبقيتَ في كنف المهيمن رافلًا ... برداء عزّ دائمٍ وهناء

وقال يرثي العلّامة الكبير السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان الذي انطفأ سراج حياتهِ الوهّاج في ٤ آب ١٨٩٠ :

الموتُ مِغوارٌ يشدّ[١] على الورى ... فيسوقهم طُرًا الى بطن الثَّرى
إنْ يَنوِ مضار الهلاك فانّهُ ... لم يَغلُ غيرَ الدهر فيه مُضمَرَا[٢]
ينضو[٣] على اهل الصرائم صارماً[٤] ... إن يمض في الاوصالِ عاد مشهّرَا
فتراه حرّانَ[٥] الجوانح هائمًا ... بدماء قومٍ لن تُباع وتُشترى
ليثٌ له في كل يومٍ صولةٌ ... فتاكةٌ ومَساءَةٌ لن تُغفرَا
لا يوم الا فيه صرخةُ نادبٍ ... وعويلُ باكيةٍ ودمعٌ قد جرى
او عاد للأَرض الذين طوتهُمُ ... لرأيتَ فيها نشرُهم متعذّرَا
نسعى على اثر الأُلى سلفوا وما ... احدٌ يكون بسعيهِ متأخرَا
في الأَمس كانوا مثلنا وغدًا سنُض ... حِي مثلَهم تحت التراب بلا مِرا
فالموتُ حصّادُ النفوس ولم يكنْ ... في الارض يتركُ يابساً او اخضرَا
ما انفكّ ذا كدٍّ يُغيرُ مُداهياً ... حتى دها العَلَم الرفيع الأشهرَا
قد هدّ ركناً للكمال موثّقاً ... واختار من بين الكبار الاكبرَا
وبنا أهاب[٦] الى رثاءِ محقّق ... قد كان أخلق بالمديح وأجدرَا
ذاك الذي أبدى لنا من عِلمِهِ ... غُررًا تُنافِس في سناها الجوهرَا
ذاك الذي شهد العداةُ بسَبْقهِ ... أهلَ العلوم بكلّ علمٍ في الورَى
ذاك الذي صرف الحياة بطاعة المولى ولم يعرفْ خنًى[٧] او مُنكرَا

---

١) شدّ على العدوّ : حمل عليه
٢) الفرس القليل اللحم
٣) يسلّ
٤) الصرائم : العزائم . والصارم : السيف
٥) شديد العطش
٦) اهاب بنا : دعانا
٧) الخنى : الفحش في الكلام

ذاكَ الذي خدم العلوم مُقدَّماً ومضى شهيداً للعلوم مؤخَّرا
الحبرُ اقليميسُ داودُ الذي برَداهُ أصبح كلّ وجهٍ أغبرا
الفيلسوفُ الثاقب الآراءِ مَن برثائهِ كلٌّ يكونُ مقصّرا
ما زال يدأبُ في المعارف وسعَهُ حتى غدا فيها الشّهابَ الأنورا
فالدرسُ كان أليفَه وحليفَهُ واللُّطف فيه والتُّقى قد صُوّرا
قد حلَّ من عُقَد المشاكل جُلَّها وبرأيه صبحُ الحقائق أسفرا
كشف الستائر عن مسائل جمّةٍ كانت محجّبةَ الحقيقة أعصُرا
أحيا رسوماً للكنيسة اوشكتْ لتقادُم الايام ان لا تُذكَرا
تُنبيك عنها أمّةُ السريان إذْ أحيا لها الأَثَر القديم وقرَّرا
والشرفة اعترفت له بجميلهِ فيها لاحكام المجامع سَطَّرا[1]
وله من الكتب المفيدة جملةٌ شهِدتْ له بالسبق في ما حرّرا
ومن اللغاتِ على اختلاف صنوفها خمساً وعشراً مثل أهليها درى[2]
واذا تحرّيتَ العلوم بأسرها ألفيت كلَّ الصيد في جوف الفرا
حبرٌ اذا انفقتُ عمري كلَّهُ برثائهِ لم أقضِ حقًّا قُرّرا
في امّة السريان خلَّد صُنعُهُ صيتاً لديه صيتُ قيصرَ قصَّرا
كانت شمائلُهُ تؤيّد أنهُ ما مسَّ مرءًا بالأَذاةِ وما افترى
ولّى عن الدنيا ولكنْ ذِكرُهُ فيها يدومُ مُكرَّرًا ومُقطَّرا
أبكى المنابرَ والمحابرَ مثلما أبكى المحاجر لهفةً وتحسُّرا
بكت الارامل واليتامى فقدَهُ اذ كان غوثاً في البلاءِ وقد طرا
وتنهّدتْ وتلهّفتْ وتأسّفتْ لما قضى وجرى القضاءُ بما جرى

---

١) اشارة الى المجمع الذي عُقد عام ١٨٨٨ في دير الشرفة وكان الفقيد قد وضع احكامه كلها

٢) المراد بذلك انه كان يحسن الكتابة والتكلم بخمس عشرة لغة وقد أثبت الناظم ذلك في كتابه « القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » المطبوع عام ١٨٩١ في عشرين لغة مختلفة

فلتبكهِ العلماءُ أصحابُ الحِجى   اذ كان بينهم الشهابَ الأزهرا
فلتبكهِ الحدباء[1] مسقط رأسهِ   فبموتهِ فقدت عماداً أكبرا
فلتبكهِ الشهباء[2] حيث بها سَما   لرئاسة الكهنوت مرفوع الذُرى
فلتبكهِ الزهراء بيروت التي   من أُنسهِ نالت نصيباً أوفرا
فلتبكهِ الزوراء[3] مع ادبائها   بل كل مصرٍ كان فيه مُنذرا
فلتبكهِ الفيحاء[4] اذ فيها قضى   انفاس عمرٍ بالفضائل أزهرا
فلتبكينه رومةُ العظمى وفا   تبكانها بسخين دمعٍ أَحمرا
اذ حاز فيه شهرةً ممتازةً   في عهد مجمعه[5] الذي شدّ العرى
فُجعت به الدنيا ولازمها أَسى   بفؤاد كلّ محصّلٍ قد سُعّرا
سالت عليه مدامعٌ لو جُمّعت   لتوهّمتها الناس تزخر أبحرا
ضجّت لمصرعه الشآمُ كآبةً   بل كاد قلب الصخر ان يتفطّرا
ولخطبه اكتست الكنيسة حلّةً   سوداء تندب راعياً ومدبّرا
ضاقت على رحبٍ بقومٍ قد أَتوا   متلهّفين من المدائن والقُرى
وبظلّ مذبح قلب عيسى ربّنا   أثووه خدراً ضمّ ليثاً مُخدِرا[6]
وهناك بات مزار كل أخي نُهى   يُبكى عليه لفقدهِ متحسّرا
ابداً يحجّ اليه أرباب الحجى   من كل ذي خُطَبٍ تهزّ المنبرا
ويكون محفوفاً بكلّ كرامةٍ   ابداً ويبقى للمراحم مَظهرا
مني عليه ألف ألفِ تحيّةٍ   ممزوجةٍ بالدمع ما قمرٌ سرى
وعليه من لدن المهيمن رحمةٌ   ما راح يُذكر فاضلٌ فوق الثرى

---

١) لقب مدينة الموصل
٢) لقب مدينة حلب
٣) بغداد
٤) دمشق
٥) مثّل الفقيد الملل الشرقية في المجمع الفاتيكاني بمثابة لاهوتي وترجمان
٦) الخدر : اجمة الاسد – ومخدراً من اخدر الاسد اي لزم الخدر

وقال يهنئ السيد اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه الى السدّة الانطاكية في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٣ واختتم القصيدة بتاريخ شعريّ :

نادى البشير بصوت الفوز والجذلِ ... الحمد لله نلنا غاية الأملِ
ها قد ظفرنا بما كنّا نؤمّلهُ ... ونبتغيه لدى الأصباح والأُصُلِ
جاد الاله علينا من مراحمهِ ... ببطريركٍ جليلٍ طاهر الخُلَلِ
ببطريركٍ بدتْ أنوار طلعتهِ ... تقول للقوم وافى السَعْدُ بالعجلِ
بهنامَ ذيّالك الحبر المغبَّط من ... بفضله صار مصباحاً على القُلَلِ
هذا الذي سارت الرُكبانُ ذاكرةً ... آثار نعماهُ في حلٍّ ومُرتَحَلِ
طابت به بعد طول الحزن ملّتُنا ... ففاخرت في البرايا سائر المِلَلِ
مولى له في ديار الشرق منزلةٌ ... عُليا وذكرٌ غدا أحلى من العسلِ
حبرٌ تميّز اخلاقاً مطهَّرةً ... بجزمه صار فينا مضرب المثلِ
لذلك اختاره احبار أُمتنا ... لمنصبٍ يا لهُ من منصبٍ جللِ
وبالرضا انتخبوهُ راعياً وأباً ... فلم يكن ثمَّ من خِلْفٍ ولا جدلِ
قالوا له باتفاق الرأي قاطبةً ... انت الإمامُ فسُدْ وأْنهَ ومرْ وقُلِ
وسلّموه العصا حتى يسوس بها ... رعيّةً نهجتْ في أقوم السُبُلِ
وتوَّجوه بتاجٍ كلّ بهجتهِ ... في نُصرة الحقّ لا في جوهرٍ وحلي
رقّوه كرسيّ انطاكيّةٍ خلفاً ... لسادةٍ مجدهم أربى على زُحَلِ
فتلك سلسلةٌ في الدهر ما انقطعتْ ... وكان أوّلها من هامة الرُسُلِ
فقام بالحزم يرعى المؤمنين على ... نور الهداية يقظاناً بلا غَفَلِ
وعزّز الحقّ والآداب معتصماً ... بالله لا بشفار الهند والأسلِ
وشاد للعلم اركاناً موطّدةً ... وأجمل السعي في قولٍ وفي عملِ
نِعمَ الإمام الذي في كلّ مُعضلةٍ ... تراه بالحزم معصوماً من الزَللِ
سامي الفضائل فكّاك المشاكل محمودُ الشمائل ذو نَهجٍ بلا مَيَلِ
موفّق السعي والاعمال متّصفٌ ... بالنُبل والحلم والارشاد والحِوَلِ
كريم أصلٍ بعيد الشأو في فِطَنٍ ... مؤيّدٌ حازمٌ ناهيك من رَجُلِ

هو الطبيب لداءِ النفس إنْ مُنِيَتْ بعلّةٍ راح يشفيها من العِلَلِ
هو النصيرُ لمن حلَّ الشقاءُ به وغوثُ كلّ فتى بالنائبات بُلي
في كَنفه لشريد الدهر ملتجأٌ ما أمّه مجتدٍ يوماً ولم يَنلِ
جلّ الذي قد حباهُ من مكارمهِ محامدًا قصَّرتْ عن وصفها جُمَلي
أيا نذيرَ الهدى يا خير من شخصَتْ آمالنا فيه مثل الأعينِ النُّجُلِ
لسنا نهنّيك في ما حُزتَ مرتقياً بل الهناءُ لكلّ الناس فيك وَلي
ملكتَ سُدّة حقٍ نستغيث بها لا بالصوارم عند الحادث الجللِ
رفعتَ شأناً لنا بين الانام كما شملتنا باعتناءٍ جلّ عن مَثَلِ
نلنا الأماني بيومٍ صرتَ بطركنا فيه لذاك حمدنا منَّة الازلي
شرقاً وغربا بنو آرامَ قد نشروا أعلام مدحك فوق السهل والجبَلِ
باهوا بفضلك اهل العصر قاطبةً بل فاخروا فيك كل الاعصر الأُوَلِ
تسعى اليك القوافي كالقوافل إذْ بك التهاني لشعبٍ عنك لم يَمِلِ
اليكها بنتَ فكرٍ بالوقار بدتْ في ثوب عزّ بهيٍّ منك مُنتحَلِ
تمايلتْ مثل غصن البان زاهيةً لكن نراها لدى علياك في خجلِ
تضمّنت فيك بعض الوصف فاكتسبت مجدًا يطاول مجد السبعةِ الطُّوَلِ
أهدت اليك مديحاً يُستطاب كما دُرَّ الثنا نسقتْ في أجمل الجُمَلِ
لا زال فضلك في ذا العصر منتشرًا حتى تدوم كبدرٍ فيه مكتمَلِ
بحفظ مولاك يا مولاي سُدْ ابدا قرير عينٍ بلا بؤسٍ ولا وَجَلِ
ختمتُ شعريَ مع مدحٍ نؤرّخهُ حوى ثناك وهذا منتهى أملي
١٨٩٣

وقال مؤرّخاً جلوس البطريرك المشار اليهِ على السدّة الانطاكية عام ١٨٩٣ بهذه الابيات :

يا حبذا الحبر الذي سيعود في ايّامهِ مجدٌ لانطاكيّةِ
طابت نفوس الخلق حين جلوسه واعتزَّ مفتخرًا سريرُ الغبطة



السيدة جان ابنة الفيكنت فيليب دي طرّازي

رسمها في الوقت الحاضر

فـالله رقّاه لأشرفِ منصبٍ اذ قال سُس شعبي ودبّر بيعتي
ولذا الصفا شمعونُ أرّخ قائلاً ناداهُ يا بهنـامُ انت خليفتي
١٨٩٣

وانشد يهنئ السيّد المومأ اليه بالوسام العثماني الاول عام ١٨٩٤ مؤرّخاً :

وافاك يا حبر الكنيسة والهدى نوطُ افتخـارٍ كالغزالة مُشرقُ
فالكون تاه وبات يزهو من سنى تاريخهِ غربيُّـهُ والمَشرقُ
١٨٩٤

وقال يهنئ السيّد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطـاكي ببلوغه السنة الخامسة والعشرين (١٨٨٧-١٩١٢) من عهد اسقفيتّهِ :

قِفْ في الرُّبى بين الفرات ودجلةٍ وقل السلام عليك يا ذا الغبطةِ
وانظم بمدح البطريرك المصطفى دُرَراً لها الشهُبُ الدراريُّ ذلّتِ
عدّدْ محـامده وردِّدْ فضلــهُ واذكر مناقبَهُ بكلّ تجلّةِ
اعني به خلفَ الحواريّين[1] مَن هو خير نبراسٍ بداجي الظلمةِ
افرام راعينا الـذي يوبيلُـهُ شملَ القلوب جميعَهـا بالبهجةِ
ثاني البطارك باسمهِ من عهد شمـ ـعونَ الصفا في عرش انطاكيّةِ
لكنّه بفعالـهِ وصفاتـهِ هو اولٌ فيهم وبُعْـدِ الهمّةِ
حـبرٌ سما برئاسةٍ وقداسةٍ ورصانةٍ وصريـمةٍ[2] وعزيمةِ
حبرٌ بسِفر المجـد عُلّق ذِكرُهُ فطوى البسيطة مستفيض الشهرةِ
ما شابَهُ عيبٌ ولا دَخلٌ[3] ولا نقصٌ يمسُّ كمالـه في الشيبةِ
وغدا بعلم الدين مصباح الهُدى يَهدي الضلول الى قويم الخطّةِ
ومن اللّغات أنيـلَ عشراً نابغاً فيها وأحرزهـا بأوسع فكرةِ
وبهـا أفـاد مصنفاً ومؤلفاً لذوي البصائر فالعقول تروّتِ

---

١) الحواريون هم رسل السيّد المسيح عزّ شأنه
٢) العزيمة ٣) خديعة ومكر

وبنى بهمّتهِ الكنائس والمدا | رسَ ثم مطبعةً بدير الشرفةِ
فاذا استُجيرَ بدا كسهمٍ نافذٍ | واذا استُشير مضى كسيفٍ مُصلتِ[١]
من مصرَ حتى أرض بابل صيتُهُ | قد ذاع مشكورًا بكل مدينةِ
وله بأرض الغرب ذكرٌ عاطرٌ | وبندوةِ العلماء ريَّا سُمعةِ
جمعَ القلوب على الوئام فحبّذا | عملٌ نفى عنها ذريءَ النفرةِ[٢]
أتباع عيسى أحرزوا فخرًا بهِ | منذ ارتقى للسدَّة الرسليَّةِ
فغدا إماماً بالمعارف والحِجى | وعلى الرعاة سما بحكم الرتبةِ
في كنفهِ الاحبار يلمع نورهم | مثل الكواكب في سماء البيعةِ
أرجو من الله الكريم يزيدهم | عددًا وإنماءً بكلّ فضيلةِ
ويُطيل مدّتهم بوارف ظِلّهِ | ويصونه ويصونهم بالنعمةِ
يزهو به تاج الكرامة مثلما | يزهو لديه صولجان السُلطةِ
جئنا نهنّئهُ بعيدٍ باهرٍ | والعيد مرجعهُ لكلّ الملّةِ
في الاسقفيَّةِ رُبعَ قرنٍ كاملٍ | قد جاز منصرفاً لخير رعيّةِ
سرَّتْ بني السريان بهجةُ عيدهِ | فتسابقوا شكرًا لهذي المنّةِ
فترنّحوا في الخافقَين تميدُهُم | كأسُ المودّةِ لا كؤوس الخمرةِ
وردتْ تهانئهم وجاءَ وفودُهُم | يقضون واجب طاعةٍ ومحبّةِ
ضاقت بهم بيروت لما أقبلوا | وغدا لنا اليوبيلُ روضَ مسرّةِ
عُرضتْ هداياهم فكانت متحفاً | للزائرين وقرّةً للمُقلةِ
والناس من كل الطوائف أظهروا | فرحاً فزاد بهم جمالُ الحفلةِ
أبقاه ذو الملكوت مغبوطاً الى | يوبيلهِ الذهبيّ تلكمُ مُنيتي
بالعزّ متّعهُ ومتّعنا بهِ | دهرًا بجاه العزَّةِ الصمديّةِ
لا زال في أفق الكنيسة كوكباً | يرعى خراف المؤمنين بحكمةِ

---

١) مجرّد من غمده
٢) ذريء اي مبذور . والنفرة الشقاق والخصام

وقال يهنئ السيّد اغناطيوس افرام الثاني الموما اليه بوسام « جوقة الشرف » المهدى اليهِ من الدولة الفرنسيّة . وقد التزم ان تكون القافية في جميع الابيات لفظة واحدة يختلف معنى كل منها عن معنى الاخرى . وقد اشرنا الى هذه القصيدة المستبدعة في الصفحة ٥٦ :

سما اليك كمن يسمو الى الشَّرَفِ ... وسام فخر يسمَّى جوقة الشرفِ (١)
فلم يزدكَ جلالًا انت مَطلعُهُ ... فمثلهُ نلت سبّاقاً الى الشرف (٢)
قد زنتَ يا حَبرُ حِبرًا لا يباع ولا ... يُشرى بما لذوي يُسر من الشرفِ (٣)
هو الوسامُ الذي في الجيدِ شارتهُ ... بَدَت لنا ذاتَ لونٍ ناصع الشرفِ (٤)
لا غرو ان باهر السيّار فهو اخو ... قدْر بصدرك ما ضاهاهُ من شرفِ (٥)
فقد أصار بني آرام في جَذَلٍ ... من الرُها ونصيبينٍ الى شرفِ (٦)
وقد رأينا فرنسا اليومَ رافعةً ... معنا فروضَ الهنا للبطرك الشرفِ (٧)
فاوفدتْ من سراة القوم مؤتمنًا ... حيّاك والدهرُ يعنو مرغم الشرفِ (٨)
لو كنتَ في نجدَ امّتها بمركبةٍ ... تطير في الفَلك السامي على شرف (٩)

---

١) وسام افتخار انشأه نابليون الاول في ١٩ ايار ١٨٠٢

٢) الشوط والغاية

٣) الحبر بالفتح السيد وبالكسر الوسام . والشرف : اليسر وخيار المال

٤) المغرة او نبت احمر تصبغ به الثياب

٥) القدر والقيمة

٦) اوردنا ذكر الرها ونصيبين لانهما المدينتان اللتان امتازتا منذ القرن الثاني للميلاد بمدرستيهما الشهيرتين . ففي مدرسة الرها نبغ فطاحل كتبة السريان كبرديصان ومار افرام وربولا واسحق الكبير واهيبا وفيلكسين ويعقوب وغيرهم . وتزينت منابر التعليم في مدرسة نصيبين بيعقوب اسقفها ونرساي واليشاع وابرهيم الربان ويوسف الاهوازي وقيورا الرهاوي ومار سهدونا الشهير وباباي الكبير الخ . . . ويراد هنا بشرف موضع في دمشق على طريق حاج الشام يعرف بشرف البعل

٧) الشريف ٨) الانف

٩) جبل قرب جبل شريف وشريف اعلى جبال بلاد العرب

او كنتَ في المغرب الاقصى اليك سعت على جيـاد المعالي لا على الشرفِ [١]
انتَ الخطيب الذي أعيَتْ فصاحتُهُ خطيب قرطبَة المشهور من شرفِ [٢]
بنيتَ لـلحق برجاً عزَّ جانبُـهُ كمعقلٍ قد دعاه النـاسُ بالشرفِ [٣]
أدركتَ منزلةً في الفضل ساميـةً فاقت مكانةَ ذي مجدٍ وذي شرفِ [٤]
حفظتَ آثار اجـدادٍ لنـا سلفوا تظلُّ انباؤها كالشنف في الشرفِ [٥]
بكَ العلومُ زهت والنفس فيكَ زكتْ طهراً كريّا نسيمٍ في رُبى شرفِ [٦]
منار شرفتـك القعساء اشرف من منارة الشرف الاعلى بل الشرفِ [٧]
باتت ديارك عزَّ الوافـدين كما بنو تميمَ اقـاموا العزَّ في شرفِ [٨]
تُدني القصيَّ من النُعمى وتبذلهـا لمن بحاجتهِ يصبو الى الشرفِ [٩]
ان راعَ ذا الفقر اشفاءٌ على خطر فانتَ احرزُ مَن يُرجى لدى الشرفِ [١٠]
او اوقعَ الدهر اهل العمر من شرفِ فانت منقذهم من آفـة الشرفِ [١١]
قـد نالهم منـك احسانٌ يصير بهِ من كان ذا ضعةٍ منهم اخا شرفِ [١٢]
مَن منهمُ اثقلت بؤساه منكبـهُ زحزحتَ اثقالَ بؤساه عن الشرفِ [١٣]

---

١) سنام البعير وهو حدبة في ظهره

٢) موضع كثير الزيتون والتين كريم التربة دائم الخضرة في اشبيليـة بالانـدلس اشتهر منه ابو اسحق الشرفي خطيب قرطبة وصاحب شرطتها . ومنه ياقوت بن عبـد الله الشرفي الموصلي الكاتب توفي سنة ٦١٨ للهجرة

٣) قلعة تدعى ايضاً شرف قلحاح لانها قائمة في جبل معروف بجبل قلحاح

٤) علو الحسب

٥) الاذن

٦) ماء لبني نمير في نجد

٧) الشرفة هو اعظم معهد علمي ينتمي الى البطريرك الممدوح مشيد على قمة في جبل لبنان تعرف بالشرفة . والشرف الاعلى جبل قرب زبيد عليه حصن منيع يعرف بالشرف او حصن الشرف

٨) شرف او شرف الارطى منزل لتميم

٩) الاشفاء على خطر من خير

١٠) الاشفاء على خطر من شر

١١) الزبدة اي الشدّة

١٢) المجد

١٣) المنكب

لآلِ كِندةَ في امصارهم شرفٌ ففقتهم شرفاً لم يُروَ عن شرفِ[1]
تشدو بذكرك انحاء العراقِ وفي قطر الشآم لك الحسنى وفي شرفِ[2]
لاذت بقدسك احبارٌ نُجلّهمُ لانهم صفوة الاطهار والشرفِ[3]
فالدين عندك مرفوع اللواء وقد اولاك خفضاً لعيش تالي الشرفِ[4]
نزاك في هيكل الرحمان معتلياً عرش الوقار وهذا منتهى الشرفِ[5]
فالمرء بالجِدّ لا بالجَدّ رفعتُهُ ولو تسلسل من غسّانَ او شرفِ[6]
رويُّ نظميَ في علياك مبتكرٌ لذاك نافس آل النظم في الشرفِ[7]
قد كان من قبلُ شعري تافهاً قلقاً واليوم مدحك اعلاني على الشرفِ[8]
احياك ربك ذا مغنًى يُريك بهِ بندًا من النصر خفّاقاً على الشرفِ[9]

وأنشد يؤرّخ جلوس البطريرك المشار اليهِ على السدّة الانطاكية عام ١٨٩٨:

على الكرسي تجلّى بطريركٌ بفطنتهِ تملّكَ كلَّ قلبِ
سما بقداسةٍ وجزيل علمٍ وفرط حصافةٍ وصفاء لبِّ
لذا احبارنا نصبوه حبرًا عليهم بالرضى ومحض حبِّ
فعمَّ جلوسُهُ الانحاءَ بشرًا وسرَّ الكلُّ من عُجمٍ وعُربِ
ستلهج باسم افرام البرايا مدى التاريخ من شرقٍ وغربِ

١٨٩٨

---

١) الشرف الاول والثالث كبد نجد وكان من منازل الملوك من بني اكل المرار من كندة . اما الشرف الثاني فمعناه المجد

٢) محلة بمصر تسمى (جبل الرصد) نبغ منها المحدثون الشرفيون كعلي بن ابرهيم الضرير الفقيه وسعيد بن سيد القرشي وعتيق بن احمد

٣) اي الاشراف جمع شريف

٤) هو قولك شريف الدين على حد قولك عزّ الدين الخ . . .

٥) العلو والرفعة ٦) اسم علم لبعض مشاهير الرجال

٧) لفظة الشرف

٨) لقب الشاعر المشهور ابرهيم بن محمد الشرفي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٦ للهجرة

٩) اعلى المنزل كالشرفة

وانشد يؤرّخ عيد السيّد البطريرك المومأ اليه عام ١٩٠٨ :

هُنئتَ يا راعي الرعـاة بموسمٍ وافـاك بالإِجـلال والإِسعادِ
عيدٌ عليك يُعاد وهو مبـارَكٌ رَقَبَتْ سنـاهُ نواظرُ الرصّادِ
سجعت به كلّ البلابل سَحرةً وزهتْ بمطلعـهِ زهورُ الوادي
أمّتك فيه تهـانئٌ من أمّةٍ قد قمتَ ترعاهـا بكلّ رشادِ
وجميع سُريان البريّـة أرّخوا أليوم عيـدُك غرّةُ الأعيـادِ
١٩٠٨

وأنشد يؤرّخ باسم الملّة السريانيّة عودة غبطة السيّـد اليـاس بطرس الحويّك البطريرك المارونيّ الـذي اوفدته الشعوب اللبنانية عام ١٩١٩ الى باريس ليدافع عن استقلالها لدى مؤتمر السلام :

اهـلًا بمن عـاد من باريس منتصرًا وكلُّ قلبٍ بتقواهُ قـد اتّعظا
نلقـاه ملتهباً وجـدًا على وطنٍ عليه أضرم شرُّ التُّرك شرّ لظى[١]
سعى حثيثاً الى استقـلالنا ولـذا رعى الالـه مساعيـهِ كما لحظا
هـذا الامامُ عظيمٌ في فضائلـهِ إنْ صام او رتّلَ الانجيل او وَعَظا
يا حبـذا بطريركٌ أرّخوه نرى في عصره مجـد لبنانٍ لـه حُفِظا[٢]

وكان الفيكنت فيليب قد دعا الى مأدبةٍ في منزله الحبرين الانطاكيين اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الكاثوليك واغنـاطيوس اليـاس الثالث بطريرك السريان الارثذكس . ونظم القصيدة التاليـة تكريماً لهما واجلالًا لمقامهما . قال :

قرّت العينُ برأى البطركَينْ فـأذيعوا الحمد فوق الخافقَينْ
وارتعوا باليُمن في ظلّيهما فهما في أُفقنـا كالفرقـدَينْ

---

١) سعير

٢) اشارة الى آية اشعيا النبي (٣٥ : ٢) وهي : « مجد لبنان أُعطي لـه » . وقـد اتخذها بطاركة السريان الموارنة شعارًا لهم.

وهما للقوم مِشكاة التُّقى ولنفع النفس خير السيّدينْ
يا بني آرام هُبُّوا وابذلوا كلَّ غالٍ لانضمام البيعتينْ
نحن أحفادُ الأُلى قد عزَّزوا كلَّ علمٍ راسخٍ في العالَمينْ
نحن أَحفاد الأُلى آثارهم تُدهش الفكر وتجلو المقلتينْ
نحن أحفادُ الأُلى شادوا لنا مَعلَمَ الحقّ بارض الرافدَيْنْ
دَرَجوا من هذه الدنيا وشكرُ هُمُ يبقى مدى الأَزمانِ دَيْنْ
كاد يُنسى مجدهم في عصرنا ونراهُ أَثرًا من بعد عَينْ
فأتى من جدّد المجد بما قد بناهُ بنُضارٍ ولُجينْ
ولتوحيد قلوبٍ قد سعى فتلاشى بَعْدَ هذا كلُّ بَينْ
أَنشأَ الله لابناء الهدى بيعةً واحدةً لا إِثنتينْ(١)
فرّق الخنّاسُ دهرًا بيننا وتمادى البُعدُ بين الاخوَينْ
انّما الآن تصافحنا وذا البُعدُ يا إخواننا عيبٌ وشَينْ
حبَّذا يومٌ به احبارُنا في رئيس يجمعون السلطتَينْ
فيكون الكلُّ شعباً واحدًا ولراعٍ واحدٍ لا راعيَينْ(١)
لا رعى اللهُ زماناً أُضرمتْ فيه نيران خِصام الملّتينْ
غفَرَ اللهُ لمن قِدماً جَنى وتناسُوا ما جرى أَنّى وأَينْ
هوذا افرام في ايامنا خيرُ ساعٍ لاتّحاد الفرقتَينْ
ونرى بالحبر إلياس انّنا ضامناً ينفي انقسام الأمّتَينْ
حقَّق الله أماني شعبه بهما للجمع بين الفئتَينْ
وبقلبٍ خاشعٍ ندعو بان يعضدَ الباري جهادَ البطركَينْ

---

١) تلك هي الضالة التي ينشدها كل مفكر سرياني كالفيكنت فيليب دي طرازي تائق شديد التوق الى اتحاد الملّتين السريانيّتين معاً عملًا بالآية الانجيلية الكريمة«وتكون الرعية كلها واحدةً والراعي واحدًا» . وقد اثبتنا ذلك في كتابنا « الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية » الذي نشرناه عام اول .

الخاتمة

نقف عند هذا الحدّ في ما رأينا ان نثبته من الحقائق الراهنة التي اشرنا اليها في مقدّمة الكتاب . وكان بوسعنا ان نتبسّط في الموضوع لزيادة الفائدة انما اجتزأنا بما قلّ ودلّ تفادياً من الاسهاب . وقد أيدنا ما كتبناه بوثائق صحيحة وحجج صريحة لا تَدَع مجالًا للارتياب كما يتضح ذلك لالي البصائر وأهل النقد . وهو يتفق مع الغرض المشكور الذي توخّاه حضرة صديقنا الورع الجليل مؤلف « الذكرى الذهبيَّة » أمدّه الله تعالى بالتوفيق والعمر الطويل .

واننا في الختام نؤدي مفترض الحمد والشكر للعزّة الصمدية التي قيَّضت لنا ان نضيف هذه الحلقة الجديدة الى سلسلة الحلقات السابقة التي خدمنا بها ملّتنا السريانيَّة العزيزة . وناهيك انها تشتمل على وقائع خطيرة وفوائد جزيلة لا يعثر عليها القارئ الا في هذا المؤلف . وقد تحرّينا في اثباتها دقة البحث والصدق والصراحة كمألوف عادتنا في ما وضعناه حتى الآن من الكتب ونشرناه من المقالات . فانتقدنا بلا محاباةٍ ما وجب انتقاده وأثنينا بحقٍ ونزاهة على ما وجب الثناء عليه . نسأله تعالى ان يهيّئ لنا الوسائل للنهوض بمثل هذا العمل خدمةً للتاريخ وتعزيزًا للحقيقة وتخليدًا لمآثر مشاهير الملّة وفضلائها . فهو سبحانه موئلنا وعليه في كل امرٍ معوّلنا .

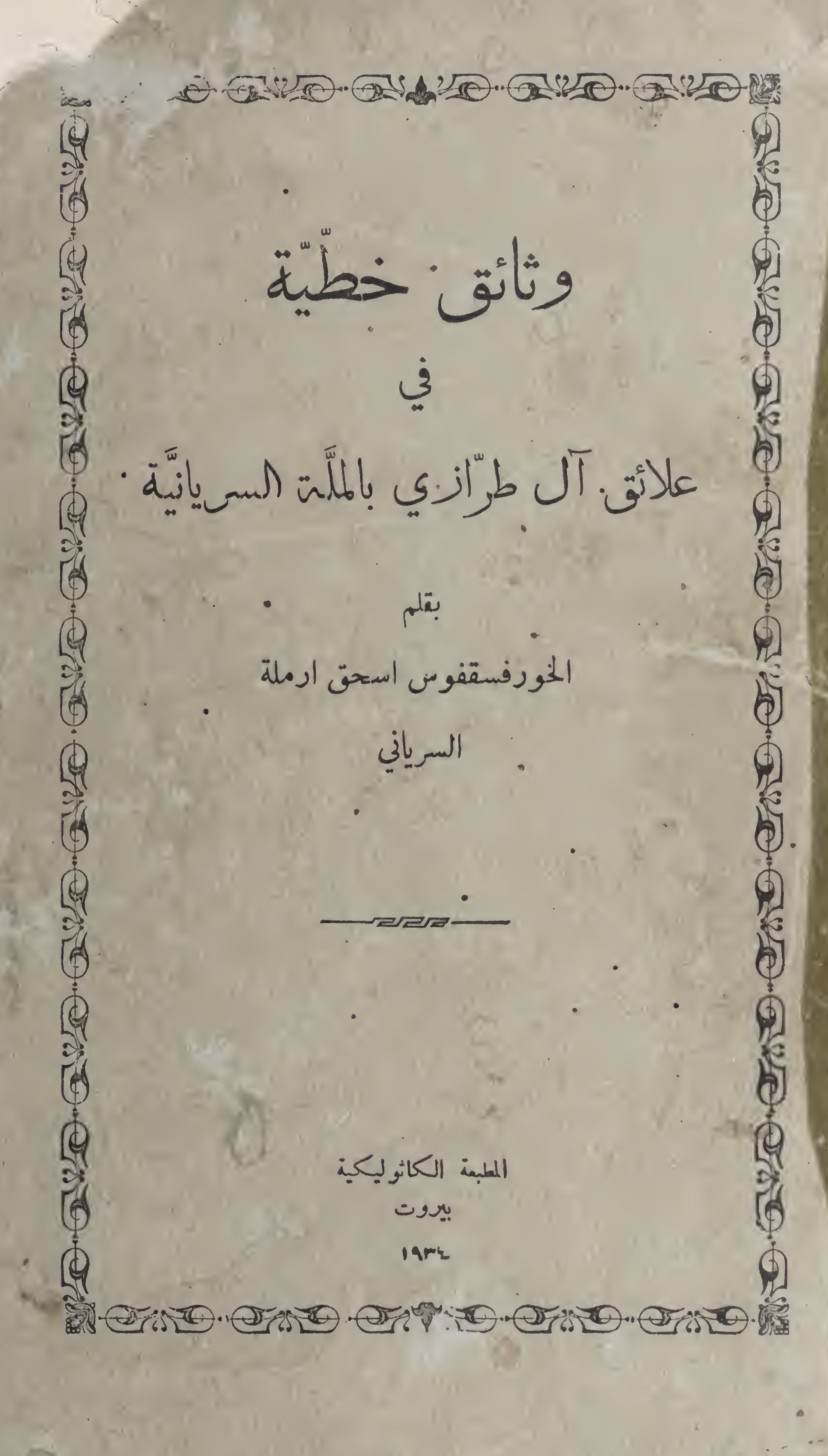
انتهى

فهرس

صفحة

القسم الثالث آل طرازي والملة السريانية عموماً





وثائق خطّيّة

في

علائق آل طرّازي بالملَّة السريانيَّة

بقلم

الخورفسقفوس اسحق ارملة

السرياني

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٣٤